المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 51



جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح

لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي
565 هـ - 634 هـ

دراسة وتحقيق
ثريا لهي



منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 51

جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح

لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي
565 هـ - 634 هـ

دراسة وتحقيق

ثريا لهي

الكتـــاب جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح
المؤلـــف أبو الربيع سليمان الكلاعي
المحققـــة ثريا لهي
النـاشـــر منشورات كلية الآداب بالرباط
سلسلـــة رسائل وأطروحات رقم 51
الغـــلاف إعداد عمر أفا
الخطـــوط بلعيد حميدي.
الحقـــوق محفوظة للكلية بمقتضى ظهير 29-07-1970
الـطبـــع مطبعة النجاح الجديدة – الدارالبيضاء.
الطبـــعة الأولـى 2001
رقـــم التصنيف الدولي 0334-1113
رقـــم الإيداع القانوني 2001/1431.
ردمـــك 9 - 050 - 59 - 9981 .

طبع هذا الكتاب ضمن
الحساب خارج الميزانية

الإهــداء

إلى التي ذاقت مرارة الحياة لما تيتمت
إلى التي بتعليم البنات آمنت
فسهرت وربت، وصبرت وعلمت
إلى روح أمي
رحمها الله

أصل هذا الكتاب أول أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب الأندلسي تتقدم بها باحثة مغربية من كلية الآداب جامعة محمد الخامس. نوقشت في 4 يونيو 1991 وحصلت الباحثة على شهادة دكتوراه الدولة بميزة حسن جدا. وكانت اللجنة تتكون من :

ـــ الدكتور محمد الكتاني رئيسا
ـــ الدكتور محمد بنشريفة مقررا
ـــ الدكتور عزت حسن عضوا
ـــ الدكتور محمد بنشقرون عضوا

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذي الكبير الدكتور محمد بن شريفة مثلي الأعلى في العلم والعمل، الذي رافق مسيرة هذا البحث بإشرافه المتواصل من البدء إلى الانتهاء.

جازاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى السيد قيدوم الكلية سعيد بنسعيد العلوي على إدراجه هذا المؤلف ضمن مطبوعات ومنشورات كلية الآداب بالرباط.

وشكر جزيل أتقدم به إلى العاملين بمصلحة النشر بالكلية على ما يبذلونه من جهود في سبيل طبع ونشر هذه المؤلفات. جزاهم الله خيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

أخبرنا الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث

الأوحد العلامة الأجل أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم

الكلاعي قراءة عليه في شهر رمضان المعظم سنة تسع......

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء

الحمد لله الذي [illegible] على التكبير فكرا مستشرفا العبر. و[illegible]

فيما يوليه أو يزويه على مرتبة الشكر وحسن المصطبر. أحمده

على نعمه التي أفاض علينا منها أنق من قطار المطر، وأكثر من الرمل

والحصى والشجر. وأستوهبه تبارك اسمه فراغا يفسح للتحميد

مسرح الفكر. ولسانا إذا أمت به إلى تسبيحه وتحميده تأتى وبرز

وقلبا متى اقتضى انبعاث الجد إلى عز مورده العي أثر قبل الورد

الصدر. ومعرفة بقدر عارفة الإسلام الذي أظهره على الدين كله

فظهر وبهر ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون

ثم الصلاة على سيدنا محمد رسوله الذي ابتعثه بأسنى المقاصد

والأنحاء، وأيده بجوامع الكلم فقصرت عنه فصاحة الفصحاء، وأمده منه

بنور الذي لا يلحق متطاير أيامه، ولا يمحو بأمر آياته عارض الإمحاء

صلى الله عليه وعلى عترته الغر الصرحاء، وأهل بيته المحرزين شرف الانتماء

وسائر صحابته المنتجين بمناصحة النصيحة أخوة الأنبياء. صلاة توازننا

في المنزلة الأسنى يوم الأعرض الأهول بخوف البرحاء

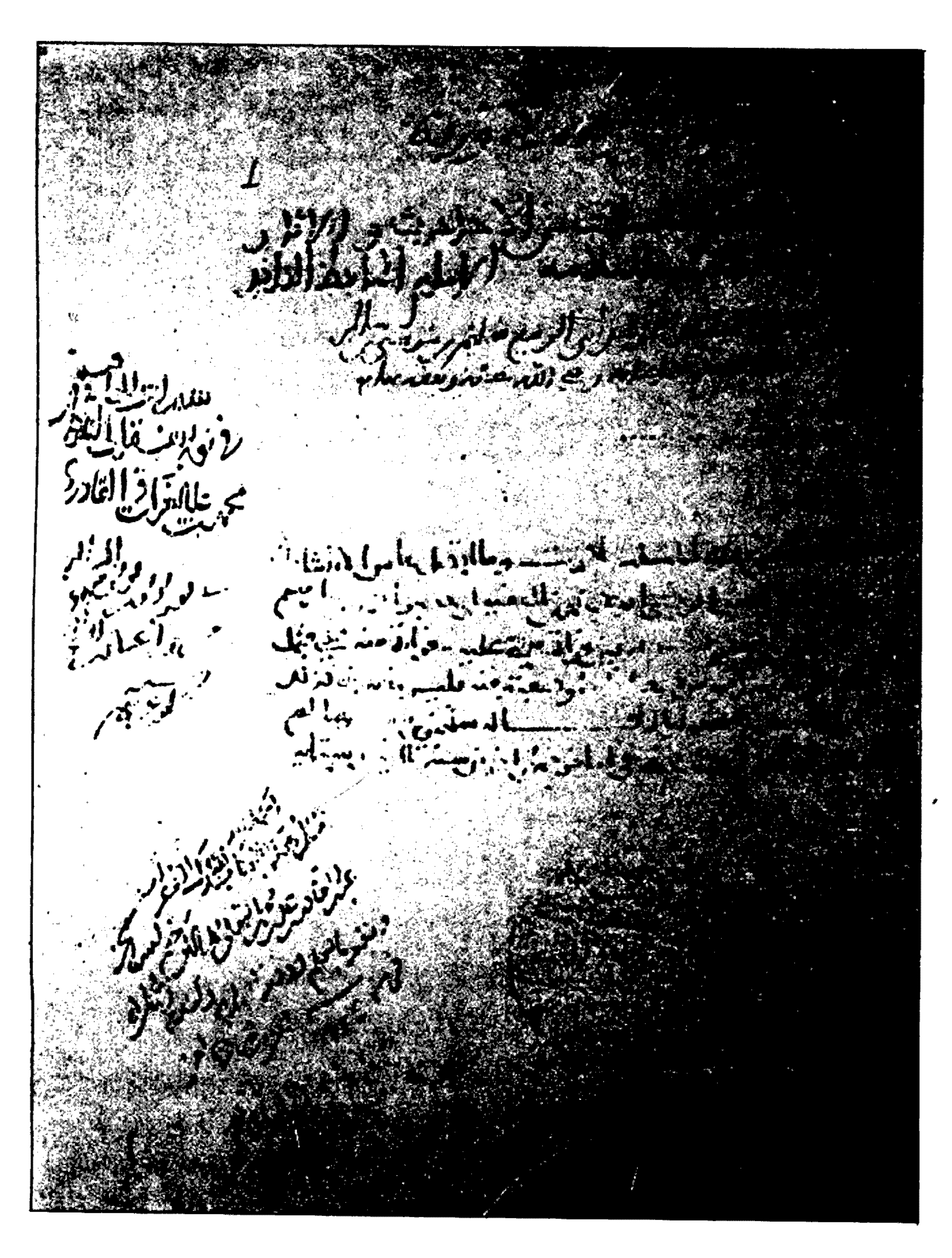
أما بعد فإن أحق ما أبلى المرء فيه أقلامه، واشتغل الخاطر

[illegible] واستغرق الشغل فيه كلامه وكيفية تمجيد الله [illegible]

كتاب جهد النصيح وحظ المنيح [illegible]
أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح إنشاء [illegible]
الأجل الخطيب الأعلم المحدث الأوحد العلامة الأكمل أبي الربيع سليمن بن
موسى الكلاعي رحمه الله وغفر له ولجميع المسلمين

رواية الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن [illegible]
ابن محمد بن زياد العبدري سماعا منه
رواية الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو بكر محمد [illegible]
ابن صالح القرشي سماعا منه

شاهدت في أصل الشيخ الفقيه العالم الأوحد شمس الدين أبي عبد الله محمد [illegible]
ما حكايته بخط المصنف المذكور حرفا بحرف ○ قرأ [illegible]
الفقيه الجليل النبيه الزكي الأصيل أبو عبد الله محمد بن الفقيه الأجل [illegible]
أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري حفظه الله [illegible]
على طاعته وتقواه فليروه عني بذلك إن شاء الله نفعنا الله وإياه [illegible]
سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي وكتب بخطه في شهر [illegible]
المعظم من سنة تسع وعشرين وستمائة [illegible]
نقله كذلك كاتبه [illegible]
القرشي في [illegible]
[illegible]



إجازة بخط أبي الربيع الكلاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

أخبرنا الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث الأوحد والعلامة الأحفل أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي قراءة عليه في شهر رمضان المعظم سنة تسع وعشرين وستمائة :

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَاءِ. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ فِكْراً مُسْتَشْرِفاً لِلْعِبَرِ، وَحِرْصاً فِيمَا يُولِيهِ أَوْ يَزْوِيهِ[1] عَلَى مَزِيَّةِ ٱلشُّكْرِ وَحُسْنِ المُصْطَبَرِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْهَا آنَقَ مِنْ فَضْفَاضِ ٱلْحِبَرِ[2]، وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلرَّمْلِ وَٱلْحَصَى وَالشَّجَرِ، وَأَسْتَوْهِبُهُ تَبَارَكَ اِسْمُهُ فَرَاغاً يَفْسَحُ بِتَمْجِيدِهِ مَسْرَحَ ٱلْفِكَرِ، وَلِسَاناً إِذَا أَهَبْتُ بِهِ إِلَى تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ تَأَهَّبَ وَبَدَرَ، وَقَلْباً مَتَى اقْتُضِيَ انْبِعَاثُ ٱلْجِدِّ إِلَى غَيْرِ مَوْرِدِهِ العِدِّ آثَرَ قَبْلَ الْوِرْدِ الصَّدَرَ، وَمَعْرِفَةً بِقَدْرِ عَارِفَةِ ٱلإِسْلاَمِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ. فَظَهَرَ وَبَهَرَ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ. ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ٱلَّذِي ابْتَعَثَهُ بِأَسْعَدِ الْمَقَاصِدِ وَٱلأَنْحَاءِ، وَأَيَّدَهُ بِجَوَامِعِ ٱلْكَلِمِ فَقَصَّرَتْ عَنْهُ فَصَاحَةُ ٱلْفُصَحَاءِ، وَأَمَدَّهُ مِنْهُ بِالنُّورِ ٱلَّذِي لاَ يَلْحَقُ مُتَظَاهِرَ آيَاتِهِ، وَلاَ يَمْحَقُ بَاهِرَ إِيَاتِهِ[3] عَارِضُ ٱلإِمِّحَاءِ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِتْرَتِهِ ٱلْغُرِّ ٱلصُّرَحَاءِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ٱلْمُحْرِزِينَ شَرَفَ ٱلْبَطْحَاءِ، وَسَائِرِ صَحَابَتِهِ ٱلْمُنْتَحِينَ مَقَاصِدَهُ ٱلْمُنْجِيَةَ أَكْرَمَ ٱلإِنْتِحَاءِ، صَلاَةً تُؤَمِّنُنَا فِي ٱلْمَوْقِفِ ٱلأَهْوَلِ، وَٱلْيَوْمِ ٱلأَعْرَضِ ٱلأَطْوَلِ، مَخُوفَ ٱلْبُرَحَاءِ[4].

---

(1) يزويه : يصرفه ويقبضه.

(2) الحبر : مفردها حبرة بكسر الحاء وفتحها، وفتح الباء والراء وهي نوع من البرود اليمانية.

(3) إياة : هالة الضوء المحيطة بالشمس.

(4) البرحاء : الشدة والشقاء.

أَمَّا بَعْدُ، فَخَيْرُ مَا أَجَالَ ٱلْمَرْءُ فِيهِ أَقْلاَمَهُ، وَاسْتَجْلَى ٱلْخَاطِرُ بِمُزَاوَلَتِهِ ظَلاَمَهُ، وَاسْتَعْمَلَ ٱلْمُتَكَلِّمُ فِيهِ كَلاَمَهُ، وَظِيفَةُ تَمْجِيدٍ لِلَّهِ يُؤَدِّيهَا، وَنَصِيحَةُ إِرْشَادٍ وَتَسْدِيدٍ إِلَى أَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ يُهْدِيهَا، وَإِذَا تَهَيَّأَ لَهُ بِذَلِكَ بَعْضُ ٱلْوَفَاءِ، وَبَلَغَ بِهِ ٱلسَّعْيُ إِلَى حَيْثُ يُخِيلُ مُقَارَبَةَ ٱلإِكْتِفَاءِ. فَنِعْمَةٌ لِلَّهِ وَحْدِهِ عَلَيْهِ بِهَا ٱلْمَنُّ، وَوَسِيلَةٌ عَسَى أَنْ يَصْدُقَ بِقَبُولِهَا فِي كَرَمِهِ ٱلظَّنُّ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْتَقِيَ وَاثِقاً بِعَوْنِهِ إِلَى هَذَا ٱلْمَقَامِ، وَأَنْتَقِيَ فِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ حُرِّ ٱلْكَلاَمِ، مُوَشِّحاً لَهُ بِالأَلْفَاظِ ٱلَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا كِتَابُ ٱلْفَصِيحِ، مُسَاجِلاً فِي ذَلِكَ لأَبِي ٱلْعَلاَءِ ٱلتَّنُوخِيِّ وَلَكِنْ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ[5].

وَقَدْ سَمَّيْتُهُ تَكْمِيلاً لِمَبْنَاهُ، وَتَعْيِيناً بِعُنْوَانِهِ لِمَعْنَاهُ: «كِتَابَ جُهْدِ ٱلنَّصِيحِ وَحَظِّ المَنِيحِ مِنْ مُسَاجَلَةِ ٱلْمَعَرِّي فِي خُطْبَةِ ٱلْفَصِيحِ». وَإِنَّهُ لَسِجَالٌ لِلنَّظَرِ ٱلسَّدِيدِ بِتَوْهِينِ تَعَاطِيهِ حُكْمٌ وَإِسْجَالٌ، وَإِلاَّ فَأَبُو ٱلْعَلاَءِ أَبُو ٱلْعَلاَءِ وَمَنْ لِمُسَاجِلِهِ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ أَوِ ٱلْغِلاَءِ[6]:

وَابْنُ ٱللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ ٱلْبُزْلِ ٱلْقَنَاعِيسِ[7]

[البسيط]

وَلَوْ لَمْ يُقَيِّدْ إِلاَّ مَا يَحْسُنُ بِهِ ٱلإِعْتِنَاءُ وَيَتَأَكَّدُ ٱلتَّحْصِيلُ لَهُ وَٱلإِقْتِنَاءُ، لَقَلَّتْ حَاجَةُ ٱلنَّاسِ ٱلْيَوْمَ إِلَى ٱلْقَرَاطِيسِ وَلَكِنَّهُ قَطْعٌ لِزَمَانِ ٱلْفَرَاغِ، بِمَا يُوهِمُ حُسْنَ ٱلْمَسَاغِ، وَدَعْوَى فِي ٱلْبَلاَغَةِ لَعَلَّ فِيهَا لِلْمُنْصِفِينَ وَٱلْمُسْتَوْصِفِينَ بَعْضَ ٱلْبَلاَغِ، وَسَيَتَشَعَّبُ بِي ٱلْكَلاَمُ إِلَى شُعَبٍ، قَدْ يَظُنُّهَا ٱلنَّاظِرُ أَوِ ٱلسَّامِعُ خَارِجَةً عَمَّا ذَهَبْتُ

---

(5) المنيح: ثامن قداح المسير، وقيل هو الذي لا نصيب له.

(6) الغلاء: بكسر الغين ومد اللام من غاليته مغالاة وغلاء إذا راميته وعند ابن سيدة: «سهم الغلاء محدود: السهم الذي يقدر به مدى الأميال والفراسخ والأراضي التي يستبق إليها.

(7) اللبون: الصغير من الإبل ـــ لز: ربط ـــ قرن: حلبل ـــ البزل: جمع بازل: البعير القوي ـــ القناعيس: جمع قنعاس: الشديد.
والبيت لجرير في هجاء عمر بن لجأ (ديوان جرير: 323).
وفي اللسان [لز] و[قعس]. وهو من الشواهد النحوية في باب ال. انظر كتاب سيبويه: 265/1، والمغني اللبيب، الشاهد 75.

إِلَيْهِ مِنْ مَذْهَبٍ، وَٱلإِطَالَةُ لِذَلِكَ مُقْتَضِيَةٌ، وَمَا كُلُّ ٱلْمَقَاصِدِ لِكُلِّ ٱلنَّاسِ مُرْضِيَةٌ، وَتَبَدُّدُ مَعَانِي ٱلأَلْفَاظِ ٱلَّتِي تَضَمَّنَهَا ٱلْفَصِيحُ، وَقُصِدَ بِهَا ٱلتَّوْشِيحُ، مِمَّا يَعْذِرُ ٱلظُّنُونَ وَٱلأَوْهَامَ، وَيَضْطَرُّ إِلَى ٱلتَّشَعُّبِ ٱلْكَلاَمَ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْمَرْجِعَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُكْمِ سَابِقِ ٱلْمُعَوَّلِ إِلَى ٱلْقَصْدِ ٱلأَوَّلِ، حَسْبَمَا يَقِفُ عَلَيْهِ مَنِ ٱسْتَبْطَنَ حُسْنَ ٱلظَّنِّ وَاسْتَظْهَرَ بِحُسْنِ ٱلْمُتَأَوَّلِ. نَسْأَلُ ٱللَّهَ مَعُونَةً تَتَسَدَّدُ بِهَا هَذِهِ ٱلأَلْسُنُ، وَلاَ تَتَرَدَّدُ مَعَهَا إِلاَّ فِيمَا يَحْسُنُ، إِنَّهُ ﴿لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[8].

---

(8) الآية 120 من سورة التوبة.

1 ــ بَابُ فَعَلْتُ بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ

جَلَّ جَلاَلُ رَبِّنَا ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ، عَنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلتَّقْدِيرِ، أَوْ يَشِذَّ عَنْ مُحِيطِ عِلْمِهِ وَمُسْتَوْلَى إِدْرَاكِهِ خَبِيُّ ٱلنَّقِيرِ[1]، أَوْ خَفِيُّ ٱلْقِطْمِيرِ[2]، فَأَسْتَوْهِبُهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ سَدَادَ ٱلْعَمَلِ وَٱلْقَوْلِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْحَوْلِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَزَّ وَجْهُهُ غَافِرُ ٱلذَّنْبِ، وَقَابِلُ ٱلتَّوْبِ، شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ، ذِي ٱلطَّوْلِ لاَ إِلاَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ[3]. وَإِذَا نَمَى فِي يَدَيْكَ ٱلْمَالُ، فَاشْكُرْ مَنْ لَهُ ٱلإِحْسَانُ وَٱلإِجْمَالُ، فَمَا بِسِوَى فَضْلِ ٱللَّهِ يَنْمِي ٱلنَّامِي، وَلاَ بِغَيْرِ وِقَايَتِهِ يَخْلُصُ رَاكِبُ ٱلْمَوَامِي[4] لاَ تَقُلْ ذَوَى ٱلْعُودُ فَإِنَّمَا يَذْوِي وَيَنْضَرُ بِقُدْرَةِ ٱلَّذِي يُبْدِئُ وَيُعِيدُ. وَإِذَا غَوَى ٱلرَّجُلُ فَإِنَّمَا يَغْوِي بِمَا سَبَقَ لَهُ بِهِ ٱلْكِتَابُ، فَلْيَسْتَثْبِتِ ٱلْمُؤْمِنُ، وَلْيَسْتَيْقِنِ ٱلْمُرْتَابُ. كُلٌّ إِلَى قَدَرِ ٱللَّهِ مَنْسُوبٌ، وَفِي آثَارِ عَامِلِهِ ــ خَيْراً كَانَ أَوْ شَرّاً ــ مَحْسُوبٌ :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ ٱلنَّاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوِ لاَ يَعْدَمْ عَلَى ٱلْغَيِّ[5] لاَئِمَا

[الطويـل]

عَسَيْتَ يَا هَذَا أَنْ تُفْلِحَ إِذَا فَسَدَ ٱلنَّاسُ فَسَعَيْتَ فِي أَنْ تَصْلُحَ وَتُصْلِحَ لاَ تُبَالِ بِمَنْ يَفْسُدُ، وَوَسِّعْ صَدْرَكَ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ وَيَحْسُدُ، فَكَفَى بِٱلْبَغْيِ اِعْتِدَاءً،

---

(1) النقير : النكتة التي في ظهر النواة.

(2) القطمير : القشرة الدقيقة بين النواة والتمر.

(3) إشارة إلى الآية : 3 من سورة غافر. وهي : ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾.

(4) الموامي : ج. موماة : وهي المفازة التي لا ماء بها ولا أنيس.

(5) البيت من قصيدة المرقش الأصغر التي مطلعها :

أَلاَ يَا اسْلَمِي لاَ صُرْمَ لِي ٱلْيَوْمَ فَاطِمَا ... وَلاَ أَبَداً مَا دَامَ وَصْلُكِ دَائِمَا

انظر المفضليات، ص 247، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

وَكَفَى بِالْحَسَادَةِ لَوْ عَقَلَ صَاحِبُهَا دَاءً. دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ عَيْنُ ٱلْمُنِيبِ، وَأَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ عَيْنٍ لاَ تَدْمَعُ، وَتَوَجَّهَتْ دَعَوَاتُ ٱلْمُضْطَرِّينَ إِلَى ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُجِيبِ وَٱلْعِيَاذُ بِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ مِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ. فَٱبْكِ مَا حَمَلَتْ عَيْنُكَ ٱلْمَاءَ، وَاضْرَعْ أَبَداً إِلَى ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمَاءَ، فَكَثِيراً مَا يَرْحَمُ ٱلضَّارِعِينَ إِلَيْهِ وَيُمَهِّدُ جَنَابَ كِفَايَتِهِ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ. رَعَفْتُ[6] لِكَثْرَةِ ٱلدَّمِ، فَعَرَفْتُ عُقْبَى ٱلنَّدَمِ، حِينَ أَقْدَمْتُ بِبِطْنَةِ غَبِيٍّ جَاحِدٍ، وَأَكَلْتُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مِعًى[7] وَاحِدٍ، وَلَوْ أَنِّي أَرْعُفُ[8] بِطَعْنَةِ آكِلٍ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، مُحْتَسِباً سُقُوطِي مُجَدَّلاً فِي سَبِيلِهِ عَلَى ٱلدَّقْعَاءِ[9]، لَعَثَرْتُ[10] عَلَى كَنْزٍ مِنَ ٱلثَّوَابِ، وَلَوَدِدْتُ لِفَضْلِ مَا إِلَيْهِ رُدِدْتُ أَنْ أُعْثَرَ[11] فِي مَيْدَانِ ٱلشَّهَادَةِ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَحْقَابٍ. نَفَرَ طَائِرُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلإِسْتِئْنَاسِ لِمَا يَسْتَبْطِنُهُ مِنَ ٱلأَدْنَاسِ، أَفَلاَ يَنْفِرُ عَنِ ٱلْقَبِيحِ فَيَبُوءَ بِٱلتَّجْرِ ٱلرَّبِيحِ. لَوْ عَلِمَ ٱلشَّاتِمُ مَاذَا قَدَّمَ لَمَا شَتَمَ، لَتَمَنَّى قَبْلَ أَنْ يَشْتِمَ ٱلْهَتَمَ[12]. فَاخْزُنْ لِسَانَكَ عَنِ ٱلأَعْرَاضِ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ مَا تُعَامَلُ بِهِ هَذِهِ ٱلدَّارُ وَأَهْلُوهَا سُنَّةُ ٱلإِعْرَاضِ. وَلَئِنْ وَهَنَ ٱلرَّجُلُ بِبَعْضِ لَوَازِمِ هَذِهِ ٱلأَعْرَاضِ فَلأَنْ يَكُونَ يَهِنُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُرَى يَبْتَذِلُ نَفْسَهُ فِي مُصَافَاةِ ٱلشِّرَارِ وَيَمْتَهِنُ. كَمْ نَعَسْتُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ، مَا أَنْعُسُ إِلاَّ لِسَهَرِي فِي مَا يُطَرِّقُ إِلَيَّ مُمِضَّ ٱللَّوْمِ. وَٱللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ٱلنَّاعِسِ وَٱلْيَقْظَانِ، وَعَالِمٌ بِٱلْمُبَادِرِ إِلَى طَاعَتِهِ وَٱلْكَسْلاَنِ. رُبَّ لاَغِبٍ[13] إِنَّمَا لَغِبَ تَرَفاً، فَأَصْبَحَ لِلسَّغَبِ مُتَعَرِّفاً، فَدَعْهُ يَلْعَبُ مَا شَاءَ وَيُعَاقِبُ ٱلصَّحْوَ وَٱلإِنْتِشَاءَ، فَلاَبُدَّ مِنْ سُكْرٍ لاَ يَجِدُ

---

(6) رعفت : بفتح العين، نزل الدم من أنفي.

(7) معى : مفرد أمعاء. وفيه إشارة إلى الحديث النبوي : «المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء».
انظر صحيح مسلم : 133/6.

(8) أرعف : بضم العين : اتقدم. انظر تحفة المجد الصريح، ص 18.

(9) الدقعاء : التراب.

(10) عثر : اطلع على الشيء.

(11) أعثر : أسقط على وجهي.

(12) الهتم : انكسار الثنايا من الأسنان من أصولها.

(13) لاغب : تعب من الفعل. لغب بمعنى تعب.

لِخُمَارِهِ عِلاَجاً، وَلاَ يَرْجُو لِظُلْمَتِهِ ٱلْمُبْهَمَةِ انْفِرَاجاً ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[14].

ذَهَلْتُ وَٱللَّهِ عَنِ ٱلسَّدَادِ، وَغَفَلْتُ عَنْ وَظِيفَةِ ٱلِاسْتِعْدَادِ، وَمَا كُنْتُ أَذْهَلُ لَوْ لَمْ أَكُنْ أَجْهَلُ، وَلاَ كُنْتُ أَغْفُلُ، لَوْلاَ خُطُوبٌ تَعْلُو بِي وَتَسْفُلُ، وَهَا أَنَا لِوَجْهِ رَبِّي ٱلْحَمْدُ أَغْبِطُ ٱلَّذِينَ نَهَضَ بِهِمْ فِي خِدْمَتِهِ ٱلْجِدُّ، وَكَمْ غَمَطْتُ[15] مَنْ غَبَطْتُ، وَأَرْضَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ وَرَبِّي أَسْخَطْتُ، وَشَتَّانَ بَيْنَ ٱلْغَامِطِ وَٱلْغَابِطِ، وَأَيْنَ ٱلْمَصَاعِدُ ٱلْمَصَاعِبُ مِنْ سَهْلِ ٱلْمَهَابِطِ.

خَمَدَتْ نَارُ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ تَخْمَدْ إِلاَّ لأَمْرٍ مُنْتَابٍ، فَأَوْقِدْ نَارَ ٱلْعَزْمِ بِبِقَاعِ ٱلْحَزْمِ، وَأَمْسِكْ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ فَعُظُمُ[16] الشِّفَاءِ فِي ٱلأَزْمِ[17]، وَلاَ تَعْجِزْ فَمَنْ عَجَزَا اسْتَذْنَى وَعِيدَ ٱلْمُؤَاخَذَةِ وَاسْتَنْجَزَ، وَلاَ يَنْتَهِزُ ٱلْفُرَصَ إِلاَّ مَنْ جَدَّ وَحَرَصَ، وَلَنْ أَسْتَعْجِلَ بِأَنْ أَحْرِصَ قَدَراً وَلاَ أَسْتَقْدِمَ بِهِ مُؤَخَّراً، وَلَكِنْ، ٱلْجِدُّ أَحْمَدُ أَثَراً وَأَسْعَدُ مُدَّخَراً. إِذَا نَقَمْتَ[18] عَلَى رَجُلٍ حَالاً فَٱحْذَرْ أَنْ يَنْقِمَ عَلَيْكَ نَظَائِرَ لَهَا وَأَمْثَالاً، فَشَرُّ مَا نُسِبَ ٱلْمَرْءُ إِلَيْهِ ٱلإِنْكَارُ لِمَا طَوَى عَلَى مِثْلِهِ حُضْنَيْهِ، وَضَمَّ عَلَى مَا يُشْبِهُهُ ثَوْبَيْهِ :

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ　　عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[19]

[الكامل]

---

(14) سورة الحج : 2.

(15) غمطت : احتقرت.

(16) عظم : بضم العين والظاء : جل الشيء وأكثره.

(17) الأزم : الامساك.

(18) نقمت على رجل حالا : أنكرتها عليه.

(19) نسب البيت للمتوكل الليثي، ونسب أيضا لأبي الأسود الدولي ولسابق البربري وللأخطل والطرماح وحسان. وذكر البيت في **حماسة البحتري**، ص 174، **والأغاني** : 156/12، وهو من الشواهد النحوية على الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح أو مؤول. انظر سيبويه : 424/1، وابن عقيل : 126/2، **ومغني اللبيب**، ص 472.

خَلِّ سَبِيلَ مَنْ غَدَرَ، فَلَبِئْسَ مَا أَوْرَدَ وَأَصْدَرَ، أَيَغْدِرُ ٱلْمُؤْمِنُ بِأَخِيهِ ٱلْمُؤْمِنِ وَيَأْتِيهِ بِسُوءٍ تَوَخِّيهِ مِنَ ٱلْمَأْمَنِ، كَأَنْ لَمْ يَعْلَمِ ٱلْغَادِرُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِ قَادِرٌ، أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَعْمِدْ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ وَٱلإِسْتِغْفَارِ، كَمَا عَمَدَ فِي ذِمَّتِهِ إِلَى ٱلإِخْفَارِ، لَيَبْأَسَنَّ أَيَّ بُؤْسٍ، وَلَيَلْبَسَنَّ مِنَ ٱلشَّنَّادِ ٱلْمُعَجَّلِ وَٱلْجَزَاءِ ٱلْمُؤَجَّلِ شَرَّ لَبُوسٍ، وَلَيَهْلِكَنَّ كَمَا هَلَكَ ٱلْغَادِرُونَ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِ ٱلصَّادِقِ ٱلْحَقِّ : ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[20]. يَا عَجَباً لِلنُّفُوسِ عَطَسَ ٱلْعَاطِسُ ثِنْتَيْنِ، فَقَالُوا مَا أَحْسَنَ هَاتَيْنِ، فَإِنْ يَعْطِسْ وَاحِدَةً، تَأَوَّلُوهَا سَلاَمَةً حَاصِلَةً وَعَلاَمَةً بِٱلنَّجَاةِ شَاهِدَةً، فَهُمْ مُتَرَدِّدُونَ بِبِضَاعَةِ رَأْيِهِمِ ٱلْمُزْجَاةِ بَيْنَ ٱلنَّجَاحِ وَٱلنَّجَاةِ، وَرُبَّمَا جَعَلُوا ٱلْوَاحِدَةَ فِي بَابِ ٱلْمَطَالِبِ عُنْوَانَ ٱلْحِرْمَانِ فِي ٱلْغَالِبِ يَتَعَلَّلُونَ وَيَتَأَوَّلُونَ وَيَتَكَذَّبُونَ[21] عَلَى أَقْدَارِ ٱللَّهِ وَيَتَقَوَّلُونَ، وَٱلْقَدَرُ مِنْ تَعَلُّلِهِمْ يَعْجَبُ، وَٱلأَيَّامُ بِإِبْطَالِ تَأَوُّلِهِمْ وَتَكْذِيبِ تَقَوُّلِهِمْ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا لَهُ فِي قَضَاءِ ٱللَّهِ تَأْثِيرٌ. وَسِيَّانِ فِي حَاجَتِكَ بُكُورٌ قَبْلَ ٱلْعُطَاسِ[22] أَوْ تَأْخِيرٌ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلْجَامِعُ بَيْنَ فَضْلِ أَذًى يَدْفَعُهُ بِحِكْمَةِ ٱللَّهِ ٱلدِّمَاغُ، وَبَيْنَ ٱلدَّلاَلَةِ عَلَى أَمْرٍ يَعْتَاضُ مِنْهُ ٱلتَّمَكُّنُ أَوْ يَسْهُلُ إِلَيْهِ ٱلْبَلاَغُ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلاً، وَٱللَّهُ أَهْدَى سَبِيلاً وَأَقْوَمُ قِيلاً، وَإِنَّمَا هِيَ بَقَايَا آثَارِ ٱلْجَهَلَةِ ٱلأَوَّلِينَ، وَإِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مَمْقُوتَ ٱلسُّحْتِ[23] وَيَتَعَامَلُونَ بِٱلْعُدْوَانِ ٱلْبَحْتِ، وَيَتَّخِذُونَ آلِهَتَهُمْ بِٱلصَّنْعَةِ وَٱلنَّحْتِ. فَلاَ تَعْجَبْ لِمَا نَحَتَ ٱلنَّاحِتُونَ، وَاعْجَبْ لَهُمْ يَعْبُدُونَ مَا يَنْحِتُونَ فَمَا كَبْشٌ نَطَحَ بِأَجْهَلَ مِمَّنْ جَأَرَ[24] بِٱلرَّغْبَةِ إِلَى مَنْحُوتِهِ وَصَدَحَ، وَلاَ نُكْرَ أَنْ يَكُونَ ٱلْكَبْشُ يَنْطِحُ كَمَا لاَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ ٱلْكَلْبُ يَنْبَحُ، وَإِنَّمَا ٱلْمُنْكَرُ

---

(20) الآية 40 من سورة المعراج. وانظر أيضا : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾. الآية 19 من سورة المؤمنين. ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ الآية 96 من سورة المؤمنين.

(21) تكذب : إذا تكلف الكذب.

(22) العطاس : الصبح.

(23) السحت : ما خبث وحرم من المكاسب.

(24) جأر : رفع صوته تضرعا واستغاثة.

ٱلشَّنِيعُ ٱلْمُسْتَقْبَحُ أَنْ يَنْحِتَ ٱلْجَاهِلُ عُوداً ثُمَّ يَتَّخِذَهُ مَعْبُوداً، مَا سَمِعْتُ كَٱلْيَوْمِ جَهْلاً أَمْتَنَ، وَلاَ آنَسْتُ مِنَ ٱلْقَوْمِ رَأْياً أَنْتَنَ. فَيَا أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ قَدْ جَدَّ بِكُمُ ٱلْعُمُرُ وَبَانَ لَكُمُ ٱلأَمْرُ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ.

جَفَّ ثَوْبُ نَضَارَتِكَ مِنْ مَاءِ ٱلشَّبَابِ وَكُلُّ رَطْبٍ يَجِفُّ عِنْدَ دُنُوِّ ٱلإِنْصِرَامِ وَٱلإِنْقِلاَبِ، فَهَلاَّ نَكَلَ[25] عَنِ ٱلذَّنْبِ مُرْتَكِبُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرَى مِنْ نَاعِمِ ٱلْعَيْشِ مَنْكِبُهُ فَلاَ يُجْدِيهِ حِينَئِذٍ أَنْ يَنْكُلَ وَلاَ يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَنْ يَسْتَأْنِفَ ٱلتَّسْلِيمَ وَٱلتَّوَكُّلَ، وَلَرُبَّمَا أَجْدَاهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ ٱلتَّوَرُّطِ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَبَعْدَ أَنْ كَلَّتْ بِهِ مَطِيَّةُ ٱلأَمَلِ وَإِنَّمَا تَكِلُّ بِمَا تَحَمَّلَتْ مِنْ قَبِيحِ ٱلْعَمَلِ وَمَا كَانَتْ لِيَلْحَقَهَا ٱلْكَلاَلُ لَوْلاَ ٱلإِضَاعَةُ ٱلسَّابِقَةُ وَٱلإِهْمَالُ. يَا وَيْحَ ٱلشَّيْخِ كَلَّ بَصَرُهُ[26] بَعْدَ ٱلنُّفُوذِ، وَمَا كَلَّ[27] سَيْفُ حِرْصِهِ ٱلْمَشْحُوذِ، وَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تَجْمَعَهُمَا ٱلْكِلَّةُ وَتَعُمَّهُمَا ٱلْعِلَّةُ فَيَكِلُّ ٱلسَّيْفُ ذُو ٱلأَثْرِ، كَمَا يَكِلُّ نَافِذُ ٱلْبَصَرِ وَإِنِ ٱشْتَرَكَا فِي ٱلْكُلُولِ فَقَدْ يَنْفَرِدُ ٱلصَّارِمُ بِٱلْفُلُولِ تَظَلُّ فِي حَدِّهِ قَوَادِحَ، وَيَعْتَدُّهَا ٱلْعَاصِي بِهِ مَصَادِحَ، لَهَا جَالَ ٱلشُّجَاعُ فِي ٱلْحَرْبِ جَوْلَه، وَفِيهَا أَرْسَلَ زِيَادٌ[28] قَوْلَه :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ[29]

[الطويـل]

سَبَحْتُ فِي بَحْرِ ٱلْخَطَايَا سَبْحاً طَوِيلاً، وَأَصْبَحْتُ تُنَكِّلُنِي خُطُوبُ ٱلأَيَّامِ تَنْكِيلاً، وَإِلَى كَمْ أَسْبَحُ فِي هَذَا ٱلْبَحْرِ ٱلزَّاخِرِ، أَمَا آنَ لِي أَنْ أُعِدَّ لِلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، أَيَّ يَوْمٍ، مَا ذَكَرْتُهُ إِلاَّ شَحَبَ لَوْنِي وَحَقُّهُ أَنْ يَشْحُبَ وَأَرْسَلْتُ مِنْ عَيْنَيَّ مَا يَحْكِي هَطَّالُهُ ٱلسُّحُبَ، وَسَهَمَ وَجْهِي وَمَا لَهُ لاَ يَسْهُمُ وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَنِي مِنْ وَجْهِ

---

(25) نكل عن الشيء : تأخر عنه وامتنع منه هيبة له وجبنا.

(26) كل بصره : ضعف.

(27) كل السيف : إذا لم يقطع.

(28) زياد بن معاوية الذبياني أبو أمامة : اسم الشاعر النابغة.

(29) البيت للنابغة الذبياني، الديوان : 15، وهو من الشواهد النحوية على أن «غير» قد تأتي بمعنى «لكن». انظر سيبويه : 367/1، ومغني اللبيب : 155.

ٱلأَمَلِ ٱلتَّجهُّمُ، وَأَنْكَرْتُ أَهْلَ وُدِّي بِسِعَايَةِ ٱلْعُدَاةِ، وَوَلَغَ[30] كَلْبُ ٱلنَّمِيمَةِ فِي إِنَاءِ ٱلْمَوَدَّاتِ. وَهَبِ ٱلْكَلْبَ يَلَغُ فَمَا لَهُ يُولَغُ[31] وَيُبَلِّغُ مِنْ إِنْجَاحِ سِعَايَتِهِ مَا يُبَلِّغُ. فُقِدَ ٱلإِخْوَانُ، وَفَسَدَ ٱلأَوَانُ، وَعُدِمَ ٱلْحُرُّ ٱلْمِعْوَانُ، وَخَلاَ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ وَٱلثِّقَةِ ٱلدِّيوَانُ، وَنَهَضَ ٱلزَّمَانُ بِٱلْوَغْدِ وَهَشَّ لَهُ، وَغَدَتْ لُحُومُ ٱلأَحْرَارِ بِمَنَاسِرِ ٱلأَشْرَارِ مُنْتَشَلَه، وَدِمَاءُ ٱلأَعْرَاضِ عَلَى بَسِيطِ ٱلإِسْتِبَاحَةِ وَٱلإِقْتِرَاضِ مُرْسَلَه، وَنَاشِئَةُ ٱلزَّمَانِ بِهَذِهِ ٱلْمَطَاعِمِ ٱلْمُسَرْبَلَةِ مُتَعَلِّلَه، وَٱلْحَسُودُ وَٱلْكَاشِحُ كِلاَهُمَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدُ ٱلْقَوَادِحُ مِقْوَلَه، فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا لاَ هَنَّأَهُمَا هَذَا ٱلأَكْلُ وَلاَ أَخْطَأَهُمَا ٱلثُّكْلُ وَالوَلَه :

مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَا ... لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يُولَغَانِ دَمَا[32]

[المنسرح]

إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَفْزَعُ وَٱلْمَصِيرُ، فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ. فَإِنْ أَسَنَ[33] مَاءٌ فَعِنْدَ ٱللَّهِ مِيَاهٌ لاَ تَأْسُنُ، وَإِنْ أَجِنَ[34] مَوْرِدٌ فَمَوَارِدُ ٱلإِحْسَانِ وَٱللُّطْفِ مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ لاَ تَأْجُنُ، وَإِنَّمَا ٱلنَّفْسُ غَثَتْ[35] وَمَا تَغْثِي إِلاَّ لِطَوَارِئَ حَدَثَتْ، وَلاَبُدَّ لِلْقِدْرِ إِذَا غَلَتْ أَنْ تَسْكُنَ بَعْدَمَا جَاشَتْ وَاعْتَلَتْ، فَتَطَامَنْ لِقِدْرِ ٱلْقَدَرِ حِينَ تَغْلِي، وَثِقْ

---

(30) ولغ الكلب : إذا أدخل لسانه في الإناء ليشرب.

(31) إذا أولغه صاحبه.

(32) نسب هذا البيت لأكثر من شاعر، فقد نسبه الجوهري في الصحاح لأبي زبيد الطائي وهو في مجموع شعره : 149، وقبله :

مُرْضِعُ شِبْلَيْنِ فِي مَغَارِهِمَا ... قَدْ نَهَزَا لِلْفِطَامِ أَوْ فَطِمَا

مَا مَرَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَا ... لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يُولَغَانِ دَمَا

(اللسان : ولغ)

ونسب لعبيد الله بن قيس الرقيات وهو في ديوانه : 154 :

يَعُولُ شِبْلَيْنِ عِنْدَ مُطْرِقَةٍ ... قَدْ نَاهَزَا لِلْفِطَامِ أَوْ فُطِمَا

لَمْ يَأْتِ يَوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَا ... لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَا لَغَانِ دَمَا

(33) أسن الماء : إذا تغير لونه وطعمه وريحه.

(34) أجن : بمعنى أسن.

(35) غثت : إذا جاشت قبل القيء

بِرَبِّكَ فَهُوَ ٱلَّذِي يُمِيطُ عِنْدَ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَيُجْلِي، وَاصْبِرْ لِعَوَارِضِ ٱلْخُطُوبِ فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَا كَسَبَ ٱلْكَاسِبُ وَبِفَضْلِ ٱللَّهِ تَطِيبُ ٱلْمَكَاسِبُ، فَلْيَنْظُرِ امْرُؤ مَاذَا يَكْسِبُ وَلْيَرْتَقِبِ ٱلْجَزَاءَ عَمَّا يَحْتَسِبُ، يَنْبَسِطُ ٱلشَّرُّ وَيَنْقَبِضُ، وَيَعُسُّ ٱلْكَلْبُ وَيَرْبِضُ، فَخَلِّهِ حَجْرَةً[36] إِذَا رَبَضَ، وَأَوْلِهِ حَجَراً إِذَا تَعَرَّضَ، وَارْجِعْ إِلَى ٱلصَّبْرِ تَرْبِطْ عَلَى أَعْلاَقِهِ[37]، فَسَيَغْتَبِطُ رَأْيُكَ بِعَاقِبَةِ تَمَسُّكِهِ بِهِ وَاعْتِلاَقِهِ، وَلَعَلَّ مَنْ رَبَطَ ٱلْعَزْمَ عَلَى خِلاَفِهِ، لاَ يَحْظَى إِلاَّ بِخِذْلاَنِ ٱلأَمَلِ وَإِخْلاَفِهِ، وَانْتِشَارِ ٱلرَّأْيِ وَٱخْتِلاَفِهِ، وَٱلْعَاقِبَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[38].

---

(36) حجرة : ناحية، جمعها حجر كجمرة وجمر، ومنها المثل القائل : فلان يرعى وسطا. ويربض حجرة، ويضرب للرجل يعيش وسط قوم ماداموا في خير وإذا أصابهم شر تركهم وربض ناحية منعزلاً.

(37) أعلاق : جمع علق وهو حبل البئر.

(38) الآية 34 من سورة فصلت.

2 ـــ بَابُ فَعِلْتُ بِكَسْرِ ٱلْعَيْنِ

سُبْحَانَ مَنْ غَدَا مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ أَعْظَمَ، وَمَنْ نَظَمَتْ حِكْمَتُهُ ٱلْبَالِغَةُ ٱلْوُجُودَ فَانْتَظَمَ، وَشَمَلَتْ نِعْمَتُهُ ٱلسَّابِغَةُ ٱلْقَرِيبَ وَٱلْبَعِيدَ فَتَجَلَّلَ ٱلْكُلُّ ٱلنِّعَمَ، وَتَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُ ٱلسَّابِقَةُ إِلَى ٱلنَّهَارِ فَأَنَارَ، وَإِلَى ٱللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ تَشْهَدُ آثَارُهَا ٱلصَّادِقَةُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ ٱلأُمَمَ، ثُمَّ مَلأَ لَهَا سِجَالَ ٱلأَرْزَاقِ [مِنْ خَزَائِنِ ٱلإِرْفَاقِ][1] فَأَتْأَقَ[2] وَأَفْعَمَ، وَفَهَّمَ مِنْهُمْ حَقَائِقَ ٱلأَشْيَاءِ مَنْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَسَّرَ جَمِيعَهُمْ إِلَى خَاصِّ ٱلْمَرَاشِدِ وَنَافِعِ ٱلْمَقَاصِدِ وَأَلْهَمَ، فَعَلَّمَ بِهِدَايَتِهِ نَوْعَ ٱلإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَاسْتَعْمَلَ سَائِرَ ٱلْحَيَوَانِ بِمُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ ٱلَّتِي سَبَقَ بِهَا ٱلأَزَلُ وَتَقَدَّمَ، فَادَّخَرَتِ ٱلنَّحْلُ مَشُورَهَا[3] لِتَطْعَمَ، وَقَضِمَتِ ٱلدَّابَّةُ شَعِيرَهَا، وَلَوْلاَ قُدْرَتُهُ مَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقْضِمَ، وَهَلْ قَضِمَتْ نَارُ[4] عَدِيٍّ مَا قَضِمَتْهُ مِنْ غَارٍ[5] وَهِنْدِيٍّ[6] إِلاَّ بِقَدَرٍ مَكْتُوبٍ وَحِكْمَةٍ تَحَمَّلَتْ مَا يُعْيِي ٱلأَذْهَانَ مِنْ إِتْقَانٍ وَتَرْتِيبٍ، ٱللَّهُمَّ فَزِدْنَا فِي حِكْمَتِكَ بَصِيرَةً وَلاَ تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يُهْمِلُ مِنْ شَعَائِرِ خِدْمَتِكَ شَعِيرَةً فَإِذَا بَلَعَ لَيِّنَ ٱلطَّعَامِ، تَوَلَّى شُكْرَ سِوَاكَ عَنْ ذَلِكَ ٱلإِنْعَامِ، وَمَا كَانَ يَبْلَعُ، لَوْ أَنَّ قُدْرَتَكَ تَمْنَعُ، وَاهاً لَهُ سِرِطَ

---

(1) تكملة من طرة الكتاب، الورقة 72.

(2) أتأق : ملأ.

(3) مشورها : ما استخرجته من العسل.

(4) عدي : هو الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي. وقد أشار أبو الربيع في قوله هذا إلى بيت عدي :

رُبَّ نَارٍ بِتُّ أَرْمُقُهَا ... تَقْضِمُ ٱلْهِنْدِيَّ وَٱلْغَارَا

الشعر والشعراء، ص 156، اللسان [غور].

(5) الغار : نبات طيب الريح على الوقود.

(6) الهندي : العود الذي يستعمل في البخور وفي صناعة العطور.

ٱلطَّيِّبَاتِ مِنْ رِزْقِكَ وَأَهْمَلَ ٱلْوَاجِبَاتِ مِنْ حَقِّكَ، وَنَسَبَ عَوَارِفَكَ إِلَى خَلْقِكَ، وَنَسِيَ مَا يَتَعَاهَدُهُ حِينَ يَسْرِطُهَا مِنْ إِحْسَانِكَ وَرِفْقِكَ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ زَرِدَ ٱلْمَأْكَلَ فَإِذَا طُلِبَ بِشُكْرِ ٱلْمُوكِّلِ نَكَلَ. أَفَأَمِنَ أَنْ تَأْتِيَهُ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ يَصْرَدُ[7] لَهَا قَبْلَ أَنْ يَزْرَدَ، وَيُمْضِيَ عَلَيْهِ ٱلْقَدَرُ فِيهَا مَصْقُولَهُ ٱلْفَرْدَ[8]. لَقِمَ فَلاَ هَنَاهُ مَا يَلْقَمُ، وَأَشِرَ[9] لِرَاتِبِ الصِّحَّةِ فَسَيَرَى حِينَ يَسْقَمُ. مَا جَرَعْتُ ٱلْمَاءَ إِلاَّ ذَكَرْتُ حِينَ أَجْرَعُهُ كَرَمَ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي بِهِ طَابَ وِرْدُهُ وَعَذُبَ مَشْرَعُهُ. أَفَرَأَيْتَ إِنْ غَصِصْتُ بِشَرْبَتِي مَنِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي ضَرَرَ مَا بِهِ أَغَصُّ، أَوْ مَصِصْتُ مَلْذُوذاً هَلْ غَيْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ أَمَصُّ، أَوْ مَسِسْتُ جِسْماً فَهَلْ يُصَدِّقُ إِذَا وُفِّقَ ٱلْحِسُّ أَنَّ غَيْرَهُ أَوْجَدَ مَا أَمَسُّ، أَوْ شَمِمْتُ طِيباً أَسِوَاهُ طَيَّبَ مَا أَشَمُّ. فَلْيَرْغَمِ ٱلْجَاحِدُ وَلَوْ أَنَّ أَنْفَهُ أَشَمُّ، مَا أُبَالِي بِمُنَابِذِي وَقَدْ عَضِضْتُ عَلَى ٱلْحَقِّ بِنَاجِذِي، وَإِذَا كُنْتُ عَلَى ٱلصَّوَابِ أَعَضُّ، فَحَظُّهُ ٱلنَّقْصُ. هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ. سَفِفْتُ ٱلدَّوَاءَ لأَقْمَعَ ٱلأَدْوَاءَ[10] وَٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي شَاءَ لِي حِينَ أَسَفُّهُ ٱلْخَيْبَةَ أَوِ ٱلشِّفَاءَ، هَذَا ٱلَّذِي زَكِنْتُ[11] مِنَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْخَلْقِ وَقَامَ لِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوُجُودِ بُرْهَانُ ٱلْحَقِّ، فَبُعْداً لِلَّذِينَ يُخَالِفُونَ مَا أَزْكَنُ وَيَخُوضُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِمَا لاَ يَحْسُنُ، لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَهْجُرَهُمْ مَا بَقِيتُ، وَأَزْجُرَهُمْ كَمَا يُزْجَرُ ٱلْكَلْبُ ٱلْمَمْقُوتُ، وَأُبَرِّحَ بِهِمْ حَيْثُ ظَعَنُوا، وَأَطْعُنَ عَلَيْهِمْ أَضْعَافَ مَا فِي ٱلْقُدْرَةِ طَعَنُوا :

وَلَـنْ يُرَاجِـعَ قَلْبِـي وُدَّهُـمْ[12] أَبَـداً
زَكِنْتُ مِنْ بُغْضِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي زَكِنُوا[13]

[البسيط]

---

(7) يصرد : يبرد، والصرد : شدة البرد.

(8) الفرد : الذي لا مثيل ولا نظير له.

(9) أشر : مدح وبضر.

(10) الادواء : جمع داء.

(11) زكنت : علمت.

(12) فوق الكلمة كتب : حبهم، للإشارة إلى أن البيت يروى بهما معا الورقة : 74.

(13) روى ابن السيد هذا البيت في الاقتضاب : 16/3 : =

وَإِذَا عُصِمَ ٱلسُّلْطَانُ مِنْ أَنْ يُلاَبِسَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَلْيَنْهَكْهُمْ عُقُوبَةً[14] وَلْيَتَّبِعْ مُدْبِرَهُمْ حَتَّى يُلْقِيَ ٱلْحَقِيبَةَ، وَمَنْ نَهِكَهُ[15] مِنْهُمُ ٱلْمَرَضُ فَزَادَهُ ٱللَّهُ مَرَضاً، وَصَيَّرَهُ بِأَدْنَى مَسِّهِ حَرَضاً[16]، وَلاَ جَعَلَ لَهُ لِرَحْمَتِهِ مُتَعَرَّضاً، وَقَدْ يَنْهَكُ ٱلْمُؤْمِنَ ٱلْمَرَضُ، وَلَكِنَّهُ لِرَحْمَةِ ٱللَّهِ يَتَعَرَّضُ، فَإِذَا بَرِئْتَ مِنْ مَرَضِكَ وَوَجَدْتَ يُسْراً فِي مُحَاوَلَةِ غَرَضِكَ، فَٱلْبَارِئُ هُوَ ٱلْمُبْرِئُ وَٱلْمُمْرِضُ هُوَ ٱلْمُمَرِّضُ، مَا كَانَ لِيَبْرَأَ ٱلْمَرِيضُ لَوْلاَ لَطَفُهُ ٱلطَّوِيلُ ٱلْعَرِيضُ، فَإِنْ يَحْمَدْ غَيْرَهُ إِذَا بَرَأَ فَبِئْسَتِ ٱلسَّاحَةُ تَبَوَّأَ، وَكَثِيراً مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ٱلْمَرْءُ إِذَا حَصَلَ لَهُ ٱلْبُرْءُ، يَنْسَى لَطَفَ مَوْلاَهُ، وَيَنْسُبُ عَائِدَةَ كَرَمِهِ إِلَى سِوَاهُ، شِرْكاً لاَ يُلْقِي لَهُ بَالاً، وَشَكّاً لاَ يَأْلُوهُ[17] خَبَالاً، بَرِئْتُ مِنْ هَذَا إِنْ أَرْضَاهُ كَمَا بَرِئَ ٱلْغَرِيمُ[18] مِنَ ٱلدَّيْنِ إِذَا قَضَاهُ، وَلَبَرَاءَتِي وَٱللَّهِ مِنْهُ آكَدُ مِنْ بَرَاءَتِي مِنَ ٱلدَّيْنِ وَأَنَا مَطْلُوبٌ عَنْهُ[19]. فَلاَ بَرَيْتُ ٱلْقَلَمَ لأُلْقِيَ إِلَيْهِ فِي ٱلْمُخَاطَبَةِ ٱلسَّلَمَ[20]، وَمَا لِي فِي مِثْلِهَا أَبْرِيهِ، وَبَرْيُهُ لِذَلِكَ ضَلاَلٌ جَدَّ بِي فِي

= ولـن يراجـع قلبـي حبهم أبـدا   زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

والبيت منسوب لقعنب بن ضمرة المعروف بابن أم صاحب الغطفاني، وهو من شعراء الدولة الأموية، عاش أيام الوليد بن عبد الملك. والبيت من قصيدة في هجاء أناس من قومه كانوا يناصبونه العداء، ومطلعها :

بَانَتْ سُلَيْمَى فَأَمْسَتْ دُونَهَا عَدَنُ   وَغُلِّقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرُّهُنُ

والبيت موصولا قبله وبعده :

وَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى أَنِّي أُعَايِشُهُمْ   لاَ تَبْرَحُ ٱلدَّهْرَ فِيمَا بَيْنَنَا إِحَنُ
وَلَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي حُبَّهُمْ أَبَداً   زَكِنْتُ مِنْ سَيْرِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي زَكِنُوا
مِثْلُ ٱلْعَصَافِيرِ أَحْلاَماً وَمَقْدِرَةً   لَوْ يُوزَنُونَ بِزِفِّ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا

البيت في **حماسة البحتري** : 14، الاصلاح : 254، الالفاظ : 547، أدب الكاتب : 20 و288، اللسان (زكن).

(14) أنهكه السلطان عقوبة : إذا بالغ فيها.

(15) نهكه المرض : إذا نقص جسمه منه.

(16) الحرض : الذي لا يرجى خيره ولا يخاف شره.

(17) يألوه : يبطئه.

(18) الغريم : المدين.

(19) مطلوب عنه : غير مطالب به.

(20) السلم : السلام.

تَبَارِيهِ[21]. ضَنِنْتُ بِٱلْمَالِ حِينَ زَادَ خَالِقِي فِي ٱلإِجْمَالِ[22]، كَأَنَّ ٱلْفَقْرَ قَدْ أَفِدَ[23]، أَوْ كَأَنَّ ٱلْمَالَ قَدْ نَفِدَ، وَمَا كُنْتُ أَضَنُّ لَوْ لَمْ يَسُؤْ مِنِّي ٱلظَّنُّ، فَقُلْ لِلْبَاخِلِينَ بِٱلإِنْفَاقِ طَوَاعِيَةً لِخَبِيئَةِ نِفَاقٍ، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ. شَمِلَ ٱلأَرَاذِلَ ٱلْبُخْلُ، وَكَثِيراً مَا يَعُمُّهُمْ أَمْرُهُ وَيَشْمَلُ، وَذَلِكَ هُوَ ٱللاَّئِقُ بِمَا أُوْجَبَتْهُ لَهُمُ ٱلْخَلاَئِقُ، إِنَّمَا ٱلْكَرَمُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا خَصَّ بِهَا عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ فَقَدْ حَسَّنَهُ بِذَلِكَ وَزَانَهُ، وَإِذَا دَهِمَتِ ٱلْخَوَاطِرَ خَيْلُ ٱلإِمْسَاكِ، أُمِنَتْ عَادِيَتَهَا قُلُوبُ ٱلنُّسَّاكِ، كَيْفَ تَدْهَمُ قُلُوباً لَمْ يَزَلْ جُودُهَا لِلْبُخْلِ غَلُوباً، وَمَا أَوْلَى يَدَ ٱلْمُمْسِكِ أَنْ تَشَلَّ[24] كِفَاءَ مَا ٱحْتَجَنَ[25] مِنْ مَالِ ٱللَّهِ وَغَلَّ. فَلاَ تَشْلَلْ يَدُ ٱلْبَاذِلِ لِمَوْجُودِهِ، إِذَا شَلَّتْ يَدُ ٱلْبَاخِلِ بِمَا خَوَّلَهُ بَارِئُهُ. مِنْ فَضْلِ جُودِهِ. تَبّاً لَهُ خَطِفَ إِحْسَانَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ بَخِلَ بِهِ عَنْ إِمَائِهِ وَأَعْبُدِهِ[26]، فَبُؤْسَى لَهُ حِينَ يَخْطِفُهُ ثُمَّ لاَ يَثْنِيهِ لِبَذْلِهِ كَرَمٌ وَلاَ يَعْطِفُهُ. وَدِدْتُ وَٱللَّهِ أَنَّ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ وَوَدِدْتُ كُلَّ ٱلْوُدِّ مَنْ لَمْ يَأْوِ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَذَمَّةِ وَلَمْ يَسْكُنْ، وَمَا أَوَدُّ فِي ٱلْوَجْهَيْنِ إِلاَّ ٱلأَوْلَى، إِنَّ يَدَ ٱلْمُمْسِكِ لَهِيَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلسُّفْلَى، فَإِنْ لَجِجْتَ[27] فِي ٱلتَّعَصُّبِ لِهَذَا ٱلرَّأْيِ ٱلْقَائِلِ فَأَنْتَ تَلَجُّ مُطِيلاً فِي غَيْرِ طَائِلٍ، وَإِنْ صَرَّحْتَ فِيهِ بِٱلْخَطَإِ، وَعَجَّلْتَ بِعَيْبِ رَاكِبِ هَذَا ٱلْمَرْكَبِ ٱلْمُسْتَبْطَإِ، فَصَدَقْتَ يَا هَذَا وَبَرِرْتَ[28]، وَأَبْهَجْتَ وَلِيَّكَ بِمَا قُلْتَهُ وَسَرَرْتَ، وَإِنْ أَضَفْتَ إِلَى هَذَا أَنْ بَرِرْتَ[29] وَالِدَكَ فَقَدِ ٱسْتَصْفَيْتَ مَوَارِدَكَ وَشَدَدْتَ بِطَرِيفِكَ تَالِدَكَ، قُلْتَ قَوْلاً سَدِيداً، وَأَدَّيْتَ حَقّاً لَمْ

---

(21) ثباريه : خسرانه وهلاكه.

(22) الاجمال : مصدر أجمل القوم إذا كثرت جمالهم. والمعنى هنا حين زاد خالقي في خيراته.

(23) أفد : عجل وأسرع.

(24) تشل : تصاب بالشلل.

(25) احتجن : احتجان المال : جمعه واصلاحه وضم ما انتشر منه، واحتجن مال غيره : اقتطعه وسرقه.

(26) أعبده : جمع عبد وهو المملوك ويكون الجمع عبدا وعبيدا.

(27) لججت : تماديت وصممت على رأيك.

(28) صدقت وبررت : أطعت ومضيت على الصدق في حديثك ويمينك.

(29) بررت والدك : أطعته، من البر.

يَأْلُهُ ٱلْحَقُّ تَأْكِيداً، فَلاَ لَقِيَ ٱلْبَارُّ مَنْ يُضَادُّهُ وَيُضَارُّ، وَلاَ وُكِسَتْ تِجَارَةُ ٱلْبَرِّ فِي بَضَائِعِ ٱلتَّقْوَى وَٱلْبِرِّ. شَرَكْتُكَ فِي هَذَا ٱلْقَصْدِ ٱلْجَمِيلِ، وَلَنْ أُشْرِكَ أَحَداً فِي مَنْعِيِّ ٱلْمَذْهَبِ وَمَذْمُومَ ٱلْقِيلِ وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْمُنْكَرَ مُنْكَراً، وَٱلْمَعْرُوفَ مَعْرُوفاً وَجَعَلَ ٱلْمَقَاصِدَ وَٱلْمَآخِذَ ضُرُوباً وَصُنُوفاً، فَمَأْخَذٌ يَحْسُنُ فِيهِ ٱلشَّرِكُ وَآخَرُ لاَ يَحْسُنُ فِيهِ إِلاَّ ٱلتَّرْكُ، وَٱلْعَاقِلُ مَنْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ، وَتَبَيَّنَ ٱلصَّوَابَ فَلَمْ يَعْدُهُ لَمَّا تَبَيَّنَهُ. سُبْحَانَ مَنْ غَذَّى ٱلْجَنِينَ فِي ظُلُمَاتِ ٱلأَحْشَاءِ نَجِيعاً[30] [نَجُوعاً][31]، فَلَمَّا فَارَقَ مَكَانَهُ ٱلْكَنِينَ رَضِعَهُ دَرّاً فِي ٱلأَعْضَاءِ نَجِيعاً[32] فَحَمَاهُ عَطَشاً وَجُوعاً. عَجَباً لَهُ كَيْفَ يَرْضَعُ سَاعَةَ يُوضَعُ مِنَ ٱلَّذِي هَدَاهُ ٱلسَّبِيلَ وَمَا عَرَفَهَا، وَكَيْفَ رَئِمَتْهُ[33] ٱلأُمُّ وَمَا أَلِفَتْهُ قَبْلُ وَلاَ أَلِفَهَا غَيْرَ أَنَّ ٱلَّذِي صَوَّرَهُ فِي أَحْنَائِهَا هُوَ ٱلَّذِي صَرَفَ إِلَى ٱللُّطْفِ بِهِ وَجْهَ اعْتِنَائِهَا، وَقَصَرَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَجْزَاءَ آنَائِهَا، وَرُبَّمَا فَرِكَتْ[34] وَالِدَهُ فَتَعَجَّلَتْ بِفِرْكِهِ صَفْوَ إِنَائِهَا، وَمَعَ أَنَّهَا تَفْرَكُهُ فَلاَ تَدَعُ وَلَدَهَا وَلاَ تَتْرُكُهُ، إِلاَّ نَوَادِرَ لَيْسَ بِهِنَّ اعْتِبَارٌ، وَلاَ يَحْسُنُ عَنْ بَعْضِهِنَّ إِخْبَارٌ، وَقَدْ تَتْبَعُ نَفْسُ ٱلْمَفْرُوكِ فَارِكاً فَيَعَضُّ يَدَيْهِ أَنْ كَانَ لَهَا تَارِكاً، جَشِمَ فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُقَدِّرْ أَنَّهُ يَجْشَمُهُ، وَنَقَضَ عَقْداً قَدْ كَانَ فِي يَدِهِ مُبْرَمُهُ :

فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَى ٱلْغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ ٱلصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[35]

[الطويـل]

ثُمَّ سُبْحَانَ مَنْ أَتْقَنَ ٱلأَشْيَاءَ، وَأَحْكَمَ ٱلإِبْدَاعَ وَٱلإِنْشَاءَ، وَخَلَقَ ٱلأَزْوَاجَ كُلَّهَا

---

(30) نجيعا : دما.

(31) نجوعا : تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 75، مصدر نجع الطعام : إذا هنأ أكله ونماه.

(32) نجيعا : مريئا.

(33) رئمته : عطفت عليه ولزمته.

(34) فركت : كرهت.

(35) البيت لقيس بن الملوح. انظر الديوان، ص 95. والكامل للمبرد 199. انظر اللسان : [غرب].

وَقَدَّرَ بَقَاءَهَا مَا شَاءَ [بِمَا شَاءَ][36]. فَسَلِ ٱلطَّائِرَ حِينَ سَفِدَ[37]، هَلْ قَصَدَ أَنْ يُصْلِحَ أَوْ يُفْسِدَ، أَوْ هَلْ يَصِحُّ مِنْهُ حِينَ يَسْفَدُ أَنْ يَكُونَ يَقْصِدُ، أَلاَ إِنَّمَا سَخَّرَتْهُ ٱلْقُدْرَةُ كَرْهاً أَوْ طَوْعاً لِتُبْقِيَ مَا اطَّرَدَتِ ٱلْمَشِيئَةُ ٱلسَّابِقَةُ نَوْعاً. فَإِذَا أَتَى عَلَى ٱلْكَوْنِ بِإِذْنِ رَبِّكَ ٱلْفَسَادُ بَطَلَ ٱلسَّافِدُ وَتَعَطَّلَ ٱلسِّفَادُ، وَإِذَا فَجِئَ أَمْرُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ يَفْجَأَ [بِمَا اقْتَضَاهُ][38] كُلَّ مُنْسِلٍ وَوَجَأَ[39]، وَكَانَ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْحَقِّ ٱلْمَرْجِعُ وَكَانَ وَحْدَهُ هُوَ ٱلْمَلْجَأُ، ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[40].

(36) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 75.

(37) سفد : جامع أنثاه.

(38) غير واضحة في الأصل، الورقة : 75.

(39) وجأ : ضرب.

(40) الآية 82 من سورة يس.

3 ــ بَابُ فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلِفٍ

تَبَارَكَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلرِّيَاحَ، فَأَغْدَى بِهَا مَا شَاءَ وَأَرَاحَ، فَإِنْ شَمَلَتِ ٱلشَّمَالُ[1] صَلُحَ بِهَا أَوْ فَسَدَ فِي بَعْضِ ٱلأَرْجَاءِ ٱلْمَآلُ، وَإِنْ جَنَبَتِ ٱلْجَنُوبُ[2] اقْتَرَنَ بِهَا مِنْ نَائِبِ ٱلْخَيْرِ أَوِ ٱلشَّرِّ مَا قَدَّرَ، وَمَتَى صَبَتِ ٱلصَّبَا[3] جَدَّدَتْ لِقَوْمٍ أُنْساً وَلآخَرِينَ وَصَباً[4]، وَأَمَّا ٱلدَّبُورُ[5] فَرُبَّمَا دَبَرَتْ مُوقِعَةً لإِيعَادٍ كَمَا جَرَى لِقَوْمِ عَادٍ رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ، تَنَادَوْا مِنْ أَنْدِيَتِهِمْ أَنْ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا وَمَخِيلَةٌ بِٱلسُّقْيَا تُبَشِّرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ مَعْشَرَ ٱلأَشْقِيَاءِ، رِيحٌ تُدَمِّرُ بِأَمْرِ رَبِّهَا كُلَّ ٱلأَشْيَاءِ، فَأَصْبَحُوا تَمُجُّ ٱلْعَيْنُ أَمَاكِنَهُمْ وَلاَ تَرَى إِلاَّ مَسَاكِنَهُمْ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي رَبُّنَا ٱلْمُجْرِمِينَ[6].

إِنْ خَسَأْتُ[7] كَلْبِي فَخَسَأَ، فَمَا أَصْنَعُ بِقَلْبِي ٱلَّذِي أَخَّرَ إِنَابَتَهُ وَأَنْسَأَ فَلَوْ فَلَجْتُ[8] عَلَيْهِ خَصْماً لَدَفَعْتُ عَنِّي وَعَنْهُ وَصْماً، وَسَدَدْتُ مِنَ ٱلْفَسَادِ

---

(1) الشمال : ريح تهب من الشام وهي ريح باردة.

(2) الجنوب : ريح تهب من يمين القبلة وهي ريح حارة.

(3) الصبا : ريح تستقبل البيت وقيل لأنها تحن إليه.

(4) الوصب : الوَجَعُ والمرض.

(5) الدبور : ريح تأتي من دبر الكعبة وفيها قال الرسول ﷺ : «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» صحيح مسلم : 27/5.

(6) أشار أبو الربيع إلى قول الله تعالى : ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ سورة الاحقاق 22-24.

(7) خسأت الكلب : طردته وأبعدته.

(8) فلجت عليه : غلبته بالحجة وظهرت عليه.

خُصْماً[9]، لاَ بَلْ هُوَ وَحْدَهُ ٱلْخُصْمُ ٱلَّذِي يَتَسَرَّبُ مِنْهُ ٱلْوَصْمُ وَفِيهِ ٱلْخِصَامُ وَهُوَ ٱلْخَصْمُ، وَلَكِنَّ ٱلْحَكَمَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ، وَلَعَلَّ هَذِهِ ٱلْقُلُوبَ بَعْدَ ٱلْقَسْوَةِ أَنْ تَلِينَ.

مَذَى[10] الْغَزِلُ لِذِكْرَى خَطَرَتْ، مِنْ غَزَالَةٍ إِلَيْهَا نَظَرَ أَوْ إِلَيْهِ نَظَرَتْ، فَأَعْقَبَتْ قَطَرَاتٍ بِحُكْمِ ٱللَّذَّةِ قَطَرَتْ، فَهَلاَّ قَمَعَ ٱلذِّكْرَى فَلَمْ يَكُنْ يَمْذِي حَيْثُ وَاقَعَ نُكْراً، وَلَعَلَّ ذَلِكَ فِي مَحَلِّ ٱلْحِلِّ، فَلْنَنْفُضِ ٱلْيَدَيْنِ مِنْ عِتَابِهِ وَنُخَلِّ، أَوْ لَعَلَّ كَرَمَ ٱلعَفُوِّ ٱلْغَفُورِ يَتَغَمَّدُ مَا عَدَا كُفْرَ ٱلْكَفُورِ. رَعَبْتُ بِمَا قُلْتُ ٱلرَّجُلَ أُرْعِبُهُ عَسَى أَنْ يَوْجَلَ فَيُنَزِّهَ خَاطِرَهُ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ ٱلْخَطَرَاتِ وَيَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ ٱلنَّاظِرَاتِ وَٱلنَّظَرَاتِ، وَإِذَا رَعَدَتِ ٱلسَّمَاءُ وَبَرَقَتْ حَمَلَتِ ٱلْمُزْنَ فَوَدَقَتْ[11] وَوَعَدَتِ ٱلْمَخَائِلُ فَصَدَقَتْ، وَسَحَّتْ عَزَالِي[12] السُّحُبِ وَغَدَقَتْ فَأَضَاءَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَأَشْرَقَتْ، وَأَتَاكَ ٱلخِصْبُ يُونِقُ مِنْهُ ٱلْجَمَالُ، وَيَرْبِضُ عَلَيْهِ بِأَفْنِيَةِ ٱلْبُيُوتِ ٱلْمَالُ فَتَتَضَاعَفُ مِنْهُ ٱلأَعْيَانُ[13]، وَلاَ يَعْزُبُ[14] بِهَا ٱلرُّعْيَانُ، وَلاَ أَثَرَ لِلرَّعْدِ وَٱلْبَرْقِ وَإِنَّمَا ٱلأَثَرُ لِلْمَلِكِ ٱلْحَقِّ، فَإِذَا خَوَّلَكَ تَوْفِيقَهُ ٱلْمُسْعِدَ فَلاَ تُبَالِ بِمَنْ أَرْعَدَ، وَإِنْ بَرَقَ لَكَ وَرَعَدَ، فَمَا مُبَالاَتُكَ بِمَنْ أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ إِذَا ٱللَّهُ وَقَى وَوَفَّقَ، فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْكَ، وَالْتَزِمْ مَا حَضَّكَ عَلَيْهِ وَذَبَرَكَ[15]، فَإِنْ لَجَّ عَلَيْكَ فِي إِرْعَادِهِ وَإِبْرَاقِهِ الرَّاعِدِ فَاسْتَقْبِلْ مَصَالَ سَطْوَتِهِ بِمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

---

(9) الخصم، بضم الخاء : الجانب.

(10) مذى : إذا خرج من ذكره المذي، وهو ماء رقيق يخرج منه عند ملاعبة النساء.

(11) ودقت : قطرت.

(12) عزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة. ويقال : أرسلت السماء عزاليها أي كثر مطرها.

(13) الاعيان : جمع عين بمعنى الذهب.

(14) يعزب : يبعد بها في المرعى.

(15) ذبرك : بالذال المعجمة فقهك وأفهمك.

أرْعِـدْ وَأبْـرِقْ يَـا يَـزِيــــدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِـرْ[16]

[مجزوء الكامل]

هَرَقْتُ[17] مَاءَ ٱلْمَوَدَّةِ مِنْ أُنَاسٍ لَعَلِّي لِذِكْرِهِمْ نَاسٍ، مَا أُهَرِيقُهُ إِلاَّ لِمَا أَحْتَمِلُ مِنْ أُنَاسٍ، وَإِذَا شَاهَدْتَ [الإِنَاءَ][18] لِلنَّجَاسَةِ مُحْتَمِلاً، فَهرِقْ مَاءَكَ مُبْتَغِياً بِهِ بَدَلاً، وَلاَ تَقُلْ إِنْ أَرَقْتُ ٱلْمَاءَ فَمَنْ لِي بِمَا يُنْقِي ٱلأَدْرَانَ[19] وَيُرْوِي ٱلظَّمَأَ وَٱلظِّمَاءَ، أَنَا وَٱللهِ أُرِيقُهُ فَأُرِقْهُ وَاسْتَرْزِقِ ٱللَّهَ سِوَاهُ، فَكَذَلِكَ فَاسْتَرْزِقْهُ، وَٱلْمُؤْمِنُ مَنْ يُصْبِحُ عَلَى ٱلنَّصِيحَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْسِي، وَحَسْبِي أَنْ حَمَلْتُكَ عَلَى مَا أَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسِي. وَيَا مُعَلِّمَ ٱلْخَيْرِ إِنْ صَرَفْتَ ٱلصِّبْيَانَ مُبْكِراً لَمْ تَعْدَمْ مِنْ آبَائِهِمْ مُنْكِراً، لأَنَّهُمْ يُشَغِّبُونَ[20] ٱلسَّاحَةَ وَيَتَعَوَّدُونَ ٱلرَّاحَةَ، وَاعْتِيَادُهَا يُورِثُ سُوءَ ٱلْمَلَكَاتِ وَيُورِطُ رَاكِبِيهَا فِي ٱلْهَلَكَاتِ، وَإِنْ صَرَفْتَهُمْ مُظْلِماً[21]، كُنْتَ لِنُفُوسِهِمْ مُؤْلِماً، وَلَمْ تَفْقِدْ مِنْ أَذْكِيَائِهِمْ مُتَظَلِّماً، وَإِنَّ حِفْظَ ٱلْجَمَامِ لَنِعْمَ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَبُولِ ٱلإِفْهَامِ، وَأَعْدَلُ ٱلْمَآخِذِ فِيهِمْ تَأْخِيرُهُمْ عَلَى قَدَرٍ وَإِجْمَامُهُمْ لِلْغَدِ ٱلْمُنْتَظَرِ، فَاصْرِفْهُمْ هَكَذَا صَرَفَ ٱللَّهُ عَنْكَ ٱلأَذَى. وَأَرِ نَصِيحَكَ ٱلْقَبُولَ، وَاجْزِهِ عَمَّا أَوْلاَكَهُ ٱلْجَمِيلَ فَبُودِّي لَوْ وَجَدْتُ مَنْ يَسْلُكُ بِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلَ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ ظَفِرْتُ بِنُصَحَاءَ يُؤَدُّونَ إِلَيَّ حَقَّ ٱلنَّصِيحَةِ وَيُعَالِجُونَ عِلَلَ تَقْصِيرِي وَتَفْرِيطِي بِنَتَائِجِ آرَائِهِمُ ٱلصَّحِيحَةِ لَقَلَبْتُ[22] ٱلْقَوْمَ بِشُكْرٍ طَوِيلِ ٱلذَّيْلِ، وَلَطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ

---

(16) البيت للكميت ابن زيد الأسدي (60هـ-126هـ) وهو من قصيدة في هجاء خالد بن عبد الله القسري وابنه يزيد.
اللسان [رعد]، **الاصلاح** : 193 و226، **أدب الكاتب** : 289، **الأمالي** : 96/1، **الكامل** : 188/2.

(17) هرقت الماء : إذا صببته ودفقته.

(18) تصويب من الطرة، الورقة : 76.

(19) الأدران : جمع درن وهو الوسخ.

(20) يشغبون : يهيجون الفتنة والخصام والشر.

(21) مظلما : بعد حلول الظلام.

(22) قلبت القوم : صرفتهم.

يَمِيلُوا عَلَيَّ بِمِثْلِهِ كُلَّ ٱلْمَيْلِ، وَلاَعْتَدَدْتُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ٱلْحَقِّ وَعَدَدْتُهُ أَكْرَمَ ٱلنَّيْلِ. وَمَنْ أَعْظَمُ مِنَّةً مِمَّنْ هَدَاكَ إِلَى ٱلصَّوَابِ، وَأَدَّاكَ إِلَى ٱلسَّلاَمَةِ وَٱلثَّوَابِ وَأَرْشَدَكَ وَقَدْ قَلَبْتَ ثَوْبَكَ حَيْرَةً، وَمَا بِكَ قَلْبُ ٱلأَثْوَابِ وَإِنَّمَا هُوَ ذُهُولُ عَرَا[23] وَسَدَرٌ[24] أَدَّاكَ إِلَى مَا جَرَى، فَإِنْ أَيْقَظَكَ نُصْحٌ مِنْ قَرِيبٍ أَرِيبٍ[25] أَوْ حَبِيبٍ لَبِيبٍ فَبِٱلْحَرَى[26].

كَمْ وَقَفْتُ[27] دَابَّتِي عَلَى رُبُوعِ ٱلأَحْبَابِ، وَقَدْ جَدَّ بِعَمَرَتِهَا[28] حَدُّ ٱلذَّهَابِ وَانْتَهَبَتِ ٱلأَيَّامُ حُسْنَهَا أَقْبَحَ ٱلإِنْتِهَابِ، فَرَجَعْتُ عَنْهَا بِعَبْرَةٍ هَامِيَةٍ وَعِبْرَةٍ إِلَى ٱلإِنَابَةِ [بِي][29] مُتَرَامِيَةٍ، فَلَوْ وَثِقْتُ بِتَأْثِيرِ ٱلإِعْتِبَارِ لأَكْثَرْتُ أَنْ أَقِفَهَا فِي ٱلدِّيَارِ وَلَكِنَّهَا عُقُودٌ مُنْحَلَّةٌ، وَسُحُبٌ حَتَّى يَأْذَنَ ٱللَّهُ مُضْمَحِلَّةٌ، فَقِفْ دَابَّتَكَ بِأَرْجَائِهَا عَسَاكَ تُصَادِفُ سَاعَةً تُظْفِرُ ٱلنَّفْسَ مِنَ ٱلْهِدَايَةِ بِرَجَائِهَا، فَمَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِأَنْفَسَ مِنْ جَوْهَرِ ٱلْعِنَايَةِ وَلاَ أَعْلَفْتَ دَابَّتَكَ لأَكْرَمَ مِنْ هَذِهِ ٱلْغَايَةِ.

إِذَا وَقَفْتَ[30] لِلْمَسَاكِينِ وَقْفاً فَأَمْضِهِ لاَ تَشْتَرِطْ فِيهِ صَرْفاً[31]، فَلَيْسَ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَمَذَاهِبِهِ أَنْ يَعُودَ ٱلْحُرُّ فِي مَوَاهِبِهِ. فَقَدِّرِ ٱلأُمُورَ فِي صُدُورِهَا تَقْدِيراً، وَإِذَا مَهَرْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَلاَ تَجْعَلْ مَهْرَهَا كَبِيراً فَٱلسَّرَفُ[32] لاَ يُفِيدُ [كَ][33] مَعُونَةً وَ«أَعْظَمُ ٱلنِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً»[34].

---

(23) عرا : غشي.

(24) سدر : دوار وتحير البصر.

(25) الاريب : الداهية البصير بالأمور.

(26) الحري : الخليق.

(27) وقفت دابتي : منعتها من السير.

(28) عمرة الربوع : أهلها الذين يعمرونها بالسكنى فيها مفردها : عامر.

(29) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(30) وقفت للمساكين : تصدقت عليهم بشيء ومنعت بيعه.

(31) الصرف : رد الشيء عن وجهه.

(32) السرف : مجاوزة القصد، الإسراف.

(33) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(34) حديث شريف، انظر ابن حنبل : 82/6، 145.

لَوْ زَرَرْتُ قَمِيصِي عَلَى أَفْعَى جَارِيَةٍ لَكَانَ أَوْلَى مِنْ [أَنْ][35] أَزُرَّهُ عَلَى رَذِيلَةٍ مُتَوَارِيَةٍ فَازْرُرْ عَلَيْكَ بِخَيْرِ قَمِيصِكَ وَطَهِّرْ غَيْبَكَ لِلنَّاسِ تَجِدِ ٱلْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ قَنِيصَكَ، وَلاَ تُهْمِلْ تَأْكِيدِي فِي زَرِّهِ، فَزَرَّهُ وَزُرُّهُ وَزُرِّهِ، كُلٌّ قَدْ قِيلَ وَقَدْ يُخَفِّفُ قَصْدُ ٱلتَّأْكِيدِ ٱلثَّقِيلُ. إِنَّ عُمُرَكَ أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ لَقَصِيرٌ، وَإِنَّ نَاقِدَكَ يَا مَنْ عَنِ ٱلْجَادَّةِ يَزْوَرُّ لَبَصِيرٌ، فَهَلْ يُغْنِي عَنْكَ إِذَا بَلَغَ ٱلْعُمُرُ حَدَّهُ، أَنْ تَقُولَ يَا رَبِّ مُدَّهُ، وَكَمْ نُودِيتَ مِنْ عِنْدِهِ : اِفْسَحْ أَجَلَكَ بِٱلصَّالِحَاتِ وَمُدَّهُ. فَصَمِمْتَ عَنِ ٱلْمُنَادِي، وَشَغَلَكَ ٱلزَّهْوُ فِي صَدْرِ ٱلنَّادِي، فَاخْرُجْ رَاغِماً عَنْ مَكَانٍ ضَيَّعْتَ فِيهِ مَا خُوِّلْتَ مِنْ فُرَصِ إِمْكَانٍ إِلَى حَيِّزٍ لاَ يَجِدُ ٱلْمَرْءُ فِيهِ إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهِ يَوْمَ ذَاكَ أَنْ يَتَنَدَّمَ، فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمِهِ إِنْ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ الكَرِيمُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ خَيْراً لَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ، وَيَا بَرْحَ[36] غَيِّهِ إِنْ أَخْطَأَتْهُ رَحْمَةُ مَنْ هُوَ [أَرَقُّ][37] عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ.

نَشَدْتُكَ ٱللَّهَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ ٱلْقُلُوبِ وَبِفَيْضِ رَحْمَتِهِ يَنْقَى دَرَنُ ٱلْحُوبِ[38]، أَنْ تُنَكِّبَ عَنْ مَذَامِّ ٱلأَخْلاَقِ، وَتَعْتَلِقَ بِأَسْبَابِ ٱلصَّلاَحِ أَوْثَقَ ٱلإِعْتِلاَقِ. أَنَا أَنْشُدُكَ وَٱللَّهُ يُرْشِدُكَ، وَأُحَرِّضُكَ جُهْدِي وَٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يُبَيِّنُ ٱلسَّبِيلَ وَيَهْدِي، فَسَلْهُ يُجِبْكَ، وَرُضْ نَفْسَكَ فِي خِدْمَتِهِ تُعْجِبْكَ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ إِسْعَادُهُ إِيَّاكَ قَرِيباً، فَتَزْدَادَ رَغْبَةً فِي ٱلْخَيْرِ وَتَرْغِيباً، فَمَتَى أُنَادِيكَ حُشْ عَلَيَّ[39] صَيْدَ ٱلْخَيْرَاتِ أَشْكُرْهُ مِنْ أَيَادِيكَ، فَكَمْ حَاشَ عَلَيَّ سِوَاكَ صَيْدَ ٱلشَّهَوَاتِ فِي فَلَوَاتِ ٱلْخَلَوَاتِ وَٱللَّهُ ٱلْكَفِيلُ بِسِتْرِ ٱلْهَفَوَاتِ.

نَذَرْتُ لِلَّهِ نَذْراً لاَ نَبَذْتُ[40] ٱلنَّبِيذَ وَلَوْ أَوْجَدَتْنِي ٱلرُّخَصُ ٱلْجَلِيَّةُ

(35) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(36) يا برح : البرح بفتح الباء وسكون الراء : الشر والعذاب.

(37) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(38) الحوب : الحزن والغم والهم والبلاء.

(39) حش علي الصيد : تقال للشخص إذا أمرته أن يطرد لك الصيد لتأخذه.

(40) نبذت النبيذ : اتخذته وعملته.

وَٱلتَّرجِيحَاتُ ٱلْكُوفِيَةُ فِيهِ عُذْراً. مَا لِي وَٱلرَّعْيِ حَوْلَ حِمىً قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ نَوْعَهُ مُحَرَّماً، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَحَمَلَتْنَا صَرَاحَةُ ٱلْعَقْلِ ٱلأَصِيلِ عَلَى تَرْكِ مَا هُنَالِكَ، أَأُدْخِلُ عَلَيْهِ غَائِلَةَ ٱلْفَسَادِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ، ﴿إِنِّي إِذَنْ لَفِي ضَلاَلٍ مبينٍ﴾[41]، وَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا عَنْ مَهَاوِي ٱلْهَوَى، فَكَمْ حَطَبْنَا [فِي][42] حَبْلِهِ، وَأَنِسْنَا بِخَبْلِهِ[43]، وَعَامَلْنَاهُ سُبْحَانَهُ بِمُقْتَضَاهُ فَتَنَكَّبْنَا حَمْدَهُ وَرِضَاهُ. أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَكَمْ جَرَيْتُ فِي مَيْدَانِهِ طَلَقاً، وَرَهَنْتُ ٱلرَّهْنَ فَمَا خِفْتُ لَهُ غَلَقاً[44]، وَذَلِكَ أَنَّ ٱلَّذِي ٱرْتَهَنَ ٱلرَّهْنَ مَطَلْتُهُ لَمَّا اسْتَشْعَرْتُ مِنْهُ ٱلْوَهَنَ، وَلَوْ آنَسْتُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَنَفَةً لَمَا شَغَلَنِي عَنْهُ أَمْرٌ يَشْغَلُنِي عَنْ تَعْجِيلِ ٱلنَّصَفَةِ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ عَفِيفاً فَمَطَلْتُ، وَوَجَدْتُهُ ضَعِيفاً فَاسْتَطَلْتُ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلأَعِفَّاءِ، وَمُتَوَلِّي إِنْصَافَ ٱلضُّعَفَاءِ. وَقَدْ خَصَيْتُ ٱلْفَحْلَ وَبَرِئْتُ إِلَى مُبْتَاعِهِ مِنَ ٱلْخِصَاءِ، فَنَقَصْتُ مَا تَمَّمَهُ ٱلْخَلاَّقُ ٱلْكَفِيلُ لِمَا نَسِيتُ مِنْ ذُنُوبِي بِالإِحْصَاءِ، وَنَعَشْتُ[45] رَجُلاً وَحَرَمْتُ ٱلْعَطَاءَ رَجُلاً، أَدْخَلْتُ عَلَى هَذَا غَمّاً وَعَلَى ذَاكَ جَذَلاً، وَهَبْنِي أَنْعَشُ ٱلأَوَّلَ أَحْتَسِبُ إِنْفَاقَهُ، فَلِمَ أَحْرِمُ ٱلثَّانِيَ اسْتِحْقَاقَهُ، وَإِنَّمَا خَبْطُ عَشْوَاءَ وَخَلْطُ ٱلْقَلْبِ مَا أَحْسَنَ فِيهِ بِمَا أَسَاءَ، وَلَعَلَّنَا بَعْدُ نَؤُولُ مَآلَ ٱلْمُصْلِحِينَ.

يَا هَذَا إِنْ حَلَلْتَ مِنَ ٱلإِحْرَامِ فَلاَ تَسْتَعْجِلَنَّ مَحْظُورَ ٱلْحَرَامِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُ قَلْبَ ٱلتَّقِيِّ، فَإِنْ حَزَنَكَ وَإِلاَّ فَخَفْ عَاقِبَةَ ٱلشَّقِيِّ، وَلأَنْ يُودِيَ ٱلْمَرْءُ صَرِيعاً لِلْجَنْبِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْنَسَ بِٱلذَّنْبِ، لاَ تَحْرِمْ مَرِيضَكَ مَا يَشْتَهِيهِ فَإِنْ شَفَاهُ شَيْءٌ فَٱللَّهُ يَشْفِيهِ :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو لِبُرْءِ شَكَاتِهِ   سِوَى رَبِّهِ يَا مَا أَضَلَّ وَمَا أَغْوَى[46]

---

(41) الآية 24 من سورة يس.

(42) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(43) الخبل، بسكون الباء : الفساد.

(44) غلق الرهن : ضد الفك.

(45) نعشت الرجل : إذا أغنيته بعد فقر أو نصرته بعد ظلم.

(46) البيتان ربما كانا لأبي الربيع.

أأرْجُو امْرَءاً مِثْلِي لإبْرَاءِ عِلَّتِي   وَأَمْرِي إلَى رَبِّي وَأَتْرُكُهُ لَغْـوَا

[الطويـل]

غَاظَنِي مِنْ بَعْضِ ٱلنَّاسِ ٱلتَّصَنُّعُ ٱلْمُهْلِكُ، كَمَا يَغِيظُنِي تَشَبُّعُ(47) الْمُتَشَبِّع(48) مِنْهُمْ بِمَا لاَ يَمْلِكُ. غِظْتَنِي يَا صَاحِبَ الرِّيَاءِ فَاسْتَحْيِ مِنْ عَالِمِ سَرِيرَتِكَ حَقَّ الْحَيَاءِ، لَوْ حُكِّمْتُ نَفَيْتُكَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، مَا أَنْفِيكَ إلاَّ لِتَسْتَبِينَ مَا لَحِقَكَ مِنَ الإشْتِبَاهِ، وَإِنْ نَفَيْتُ رَدِيءَ الْمَتَاعِ فَإِنَّمَا أَنْفِيهِ لِسُوءِ ٱلإِمْتَاعِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ وَجْهِ الإِنْتِفَاعِ وَالنَّفْيُ لِبَعْضِ الْجُنَاةِ صَوَابٌ، وَعَسَى أَنْ يُعْقِبَهُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِيثَارٌ لِلْخَيْرِ وَإِيجَابٌ، وَالأَيَّامُ كُلُّهَا شَيْءٌ عُجَابٌ. زَوَى الرَّجُلُ عَنِّي وَجْهَهُ مُعْرِضاً لأَنْ غَدَوْتُ لَهُ بِالنُّصْحِ مُتَعَرِّضاً، يَا عَجَباً لَهُ يَزْوِيهِ، أَتُرَاهُ يَجْهَلُ مَا أَنْوِيهِ، وَإِنَّ زَيَّ الْوَجْهِ لِلنَّصِيحِ لَمَئِنَّةٌ(49) مِنْ إِيثَارِ القَبِيحِ، بِأَمْثَالِ هَؤُلاَءِ سَخِنَتْ عَيْنِي فَاعْذِرْنِي إِذَا بَرَدْتُهَا(50)، وبِتَوَهُّمِ مَقَاصِدِهِمِ الخَبِيثَةِ صَرِيءَ ذِهْنِي فَكَيْفَ لَوْ سَرَدْتُهَا، أَبْرُدُ عَيْنِي بِالبَرُوردِ لِتُشْفَى كَمَا يَشْتَفِي الصَّدْيَانُ بِالوُرُودِ، فَلَوْ أَمِنْتُ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ خَوْفِي، لَبَرَدَ الْمَاءُ حَرَارَةَ جَوْفِي، وَإِنْ كَانَ الآنَ فِي ظَاهِرِ الأَمْرِ يَبْرُدُهَا:

فَفِي فُؤَادِ الشَّجِيِّ نَارُ أَسًى   أَحَـرُّ نَـارِ الجَحِيـمِ أَبْرَدُهَـا

[البسيط]

---

(47) التشبع : التزين بالباطل من المظاهر.

(48) المتشبع بما لا يملك : إشارة للحديث : «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور». يطلق على الرجل الذي يعمد إلى كمين يصل بهما كمين آخرين ليوهم الناس أنه يلبس ثوبين وهو في الحقيقة لا يلبس إلا ثوبا واحد.
انظر الحديد في صحيح مسلم : 169/6.

(49) لمئنة : علامة.

(50) بردتها : كحلتها بالبرود.

يَالَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَدِبُّ فِي حَرَكَاتِي السُّكُونُ، ومَتَى يِكُونُ الَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُونَ[51]، وَهَلْ بَيْنَ الأَحِبَّةِ يَكُونُ مُنْقَطَعُ الأَنْفَاسِ لَمْ فِي الْغُرْبَةِ فَأَقُولُ لِمَنْ حَضَرَنِي مِنَ آلنَّاسِ :

إِذَا مَا أَتَيْتَ آلْحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي   لَهُنَّ وَخَبِّرْهُنَّ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا[52]
وَعَطِّلْ قُلُومِي فِي آلرِّكَابِ فَإِنَّهَا   سَتَبْرُدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

[الطويل]

وَإِذَا لَقِيتَ آلأَتْرَابَ فَقُلْ لَهُمْ أَنَا هِلْتُ عَلَيْهِ آلتُّرَابَ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عَلَى آلأَحْبَابِ أُهِيلُهُ، وَيُسَاوِرُ جَلَدِي آلْعَظَائِمُ فَلاَ تَهُولُهُ، وَلاَبُدَّ لَكَ مِنْ يَوْمٍ كَيَوْمِي، وَمُخْبِرٍ يُخْبِرُ عَنْكَ قَوْمَكَ كَمَا تُخْبِرُ عَنِّي قَوْمِي، فَمِنْ قَائِلٍ لِلنَّاعِي فَضَّ آللَّهُ فَاهُ، وَمِنْ شَامِتٍ أَبْرَأَ حَيْنِي دَاءَ غِلِّهِ وَشَفَاهُ، كَأَنَّهُ لِفَضْلِي مُتَقَلِّدٌ، أَوْ كَأَنَّهُ بَعْدِي

---

(51) نثر أبو الربيع بيتي ابن المنخل الشلبي وهو شاعر أندلسي توفي سنة 560هـ.

مَضَتْ لِي سِتٌّ بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً   وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ مَتَى   يَكُونُ آلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُونُ

انظر زاد المسافر، ص 130، والتكملة : 124/1.

(52) البيتان ينسبان لمالك ابن الريب في **الفصيح**، ص 268، وفي التلويح، ص 13، وفي التصريح، الورقة : 16 لأبي العباس التدميري : وأنشد لمالك بن الريب المازني وقيل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، ويروى البيت في كتاب الأغاني على طريقة أخرى منسوبا إلى جعفر بن علبة الحارثي. وذكر اللبلي في تحفة المجد الصريح أنهما ينسبان لمالك بن الريب، وقيل لجعفر ابن علبة الحارثي وقيل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، ص 167. ولكل من مالك وعبد يغوث قصيدة على نفس البحر والروي والقافية، وإن كان عبد يغوث شاعرا جاهليا أسر يوم الكلاب عند تميم الرباب وكانوا يطالبونه بدم رجل منهم فعلم أنه مقتول فقال في هذه القصيدة :

أَلاَ لاَ تَلُومَانِي كَفَى آللَّوْمَ مَا بِيَا   فَمَا لَكُمَا فِي آللَّوْمِ خَيْرٌ وَلاَ لِيَا

والقصيدة خالية من البيتين. انظر المفضليات، ص 155-156، ذيل الأمالي : 132/3، الاقتضاب : 88/3.

أما مالك بن الريب فشاعر عاش في عهد الدولة الأموية وكان على عهد علي بن معاوية لصا قاطع طريق ثم صحب سعيد ابن عثمان بن عفان في غزوته إلى خراسان وفيها توفي. ومطلع قصيدته :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   بِجَنْبِ آلْغَضَى أُزْجِي آلْقِلاَصَ آلنَّوَاجِيَا

وفيها يقول :

فَيَا صَاحِبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغاً   بَنِي مَازِنٍ وَآلرَّيْبِ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
وَعَرِّ قُلُوصِي فِي آلرِّكَابِ فَإِنَّهَا   سَتُفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

الأمالي : 137/3-138، الشعر والشعراء، ص 270، الجمهرة، ص 289. وفي حماسة أبي تمام ص 111 ينسبان إلى جعفر بن علبة الحارثي.

مُخَلَّدٌ :

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلاَفَ ٱلَّذِي مَضَى ۞ تَأَهَّبْ لأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ[53]

[الطويـل]

وَبَعْدُ فَلاَ يَفْضُضِ ٱللَّهُ فَاكَ، أَيُّهَا ٱلْخَبِيرُ، فَلاَبُدَّ أَنْ تَضُمَّ جَمِيعَنَا ٱلْقُبُورُ وَإِلَى مَوْلاَنَا ٱلْحَقِّ ٱلْمَرَدُّ وَٱلْمَصِيرُ، ذَاكَ سَفَرٌ لاَ تَحْتَاجُ أَنْ تَدِجَ[54] فِيهِ دَابَّتَكَ إِذَا وَدَجَ دَابَّتَهُ ٱلْمُسَافِرُ، وَلاَ أَنْ تَتِدَ[55] لَهَا وَتِداً يَقِرُّ عَلَيْهِ ٱلنَّافِرُ، فَإِنْ أَنْفَذْتَ فِي سَفَرِ ٱلْحَيَاةِ مَقْصَدَكَ، فَدِجْ دَابَّتَكَ وَتِدْ وَتِدَكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِي سَفَرِ ٱلآخِرَةِ مُعْتَمِلاً، فَاعْمَلْ غَيْرَ ٱلْوَدْجِ وَٱلْوَتْدِ عَمَلاً، لاَ حَاجَةَ بِكَ إِلَى ٱلْوَدِّ[56]، وَإِنَّمَا حَاجَتُكَ إِلَى ٱلتَّشْمِيرِ وَٱلْجِدِّ، وَلاَ مَنْفَعَةَ لَكَ فِي ٱلْوَدْجِ تُجْرِي بِهَا دَماً، وَإِنَّمَا مَنْفَعَتُكَ فِي عَمَلٍ تَجِدُهُ مُقَدَّماً. وَإِذَا جَهَدَ دَابَّتَهُ ٱلرَّاكِبُ يَسْتَعْجِلُ ٱلأَمَلَ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ رَجَاءَ أَنْ يَتَقَبَّلَ ٱللَّهُ مِنْكَ هَذَا ٱلْعَمَلَ، وَإِذَا فَرَضْتَ لِلرَّجُلِ[57] فِي ٱلْعَطَاءِ فَالْحَظْ فِيمَا تَفْرِضُ لَهُ حَالَهُ فِي ٱلتَّقَدُّمِ وَٱلإِبْطَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مَالُ ٱللَّهِ فَمَنِ اجْتَهَدَ فَانْطِقْ بِالإِكْثَارِ لَهُ ٱلْمَشْهَدَ، وَمَنْ أَنِفَ أَنْ يَجْتَهِدَ فَأَوْلِهِ ٱلْحَظَّ ٱلأَزْهَدَ.

وَإِذَا صِدْتَ صَيْداً فَلاَبَأْسَ أَنْ تَكِيدَ لَهُ كَيْداً، فَقَدْ أَحَلَّ ٱللَّهُ صَيْدَ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ، وَأَغْنَاكَ بِإِفَادَتِهِ ٱلْجَوَارِحَ مِنْ سَهْمٍ أَوْ شَهْمٍ عَنِ ٱلذَّبْحِ وَٱلنَّحْرِ، وَتَذَكَّرْ حِينَ تَصِيدُ أَنَّكَ بِصَدَدِ ٱلْمَصَادِ، وَأَنَّ سِهَامَ ٱلْمَنَايَا لَكَ بِٱلْمِرْصَادِ، وَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تُصْمِيَ تِلْكَ ٱلسِّهَامُ وَتَمْضِيَ تِلْكَ ٱلأَحْكَامُ وَيَأْتِي عَلَى كُلِّ حَيٍّ ٱلْحِمَامُ، وَإِنْ أُنْسِئَتِ ٱلآجَالُ وَتَرَاخَتِ ٱلأَيَّامُ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[58].

---

(53) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدة مطلعها : الديوان ص 68

لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ ۞ تَلُوحُ كَعُنْوَانِ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُجَدَّدِ

الديوان ص 68

(54) ودج الدابة يدجها : إذا فصدها.

(55) تتد لها : تدق لها وتدا.

(56) الود : بفتح الواو : الوتد في لغة أهل نجد.

(57) فرضت : جعلت للرجل عطاء يأخذه في وقت معلوم.

(58) الآية 32 من سورة الأعراف.

4 ـــ بَابُ فَعُلَ بِضَمِّ ٱلْفَاءِ

عُنِيتُ بِحَاجَتِي ٱلدُّنْيَوِيَّةِ تَنَكُّباً لِلْمَقَاصِدِ ٱلسَّوِيَّةِ، أُعْنَى[1] بِمَا يَعْنَى[2] وَأَتَعَنَّى[3] فِي مَا يُلْحِقُ بِيَ أَفْنا[4]. وَأَحْسِبُنِي لَوْ لَمْ أَكُنْ دَنِيّاً لَمَا كُنْتُ بِٱلدُّنْيَا وَحَوَائِجِهَا مَعْنِيَا، وَلاَ أُولِعْتُ بِدَارٍ شَرُّهَا لِلْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا ذُو بِدَارٍ، وَكَانَ حَقِّي لَوْ وُفِّقْتُ أَنْ أُولَعَ بِٱلْغَايَةِ ٱلَّتِي عَنْهَا صُدِقْتُ[5]، تِلْكَ ٱلَّتِي بُهِتَ ٱلْمُتَفَكِّرُ فِيهَا وَمَا لَهُ لاَ يُبْهَتُ، وَبُغِتَ بِهَا ٱلْغَافِلُ عَنْهَا فَكَيْفَ نَجَاةُ مَنْ يُبْغَتُ، فَيَا صَادِفِي[6] عَنْهَا بِتَضْلِيلِهِ، وَرَائِمَ[7] تَحَرُّفِي بِمُزَخْرَفِ قِيلِهِ عَنْ سَنَنِ ٱلتَّوْفِيقِ وَسَبِيلِهِ. شُغِلْتُ عَنْكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ، وَشُهِرَ فِي ٱلنَّاسِ شَأْنُكَ فَمَا لَكَ عِنْدِي إِلاَّ ٱلْبَغْضَاءُ وَٱلشَّنَآنُ، فَلَيْتَكَ وُثِئَتْ[8] يَدُكَ أَوْ خَرِسَ لِسَانُكَ فَهُوَ ٱلَّذِي يُؤَيِّدُكَ، وَأَمَّا ٱلْيَدُ ٱلْمَوْثُوءَةُ فَقَدْ تَظْهَرُ مَعَهَا سَرَائِرُكَ ٱلْمَخْبُوءَةُ، إِلاَّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْكَ ٱلأَمْرَانِ فَلاَ يَنْطِقُ ٱلْفَمُ وَلاَ تَخُطُّ ٱلْيَدَانِ، أَوْ لَيْتَكَ آنَ عَدَمُكَ وَأُصَابَكَ سَهْمٌ عَائِرٌ[9] فَطُلَّ دَمُكَ، فَأَوْلَى دَمٍ مَطْلُولٍ دَمُ مَنْ لاَ يَنِي فِي تَعْذِيلٍ وَتَضْلِيلٍ، وَأَحَقُّ دَمٍ أُهْدِرَ دَمُ مَنْ يَرَى أَلاَّ يُورِدَ فِي خَيْرٍ وَلاَ يُصْدِرَ. وَرُبَّ كَلِمَةٍ وَافَقَهَا قَدَرٌ فَأَصْبَحَ دَمٌ وَهُوَ مُهْدَرٌ.

---

(1) أعنى : اهتم وشغل.

(2) يعنى : ينجع.

(3) اتعنى : من العناء بمعنى التعب.

(4) الأفن : الضعف.

(5) صدقت : حُدِّثْت عنها حديث الصدق.

(6) صادفي : اسم فاعل من صدف إذا عدل وأعرض.

(7) رائم : قاصد.

(8) وثئت : أصاب العظم صدع دون الكسر.

(9) سهم عائر : كل ما أعل العين فعقر.

وُقِصَ[10] ٱلرَّجُلُ فِي سَبِيلِ ٱلإِيمَانِ، فَهَلاَّ وُقِصَ ٱلْمُتَرَدِّدُ فِي سَبِيلِ ٱلشَّيْطَانِ وَلَكِنَّهُ ٱلْقَدَرُ لاَ يَحُولُ عَمَّا جَرَى بِهِ ٱلْقَلَمُ وَلاَ يَتَغَيَّرُ. قَضَى ٱللَّهُ أَنْ يُعْظِمَ ثَوَابَ ذَلِكَ ٱلْمَوْقُوصِ، وَحَكَمَ بِنَقْصِ هَذَا ٱلْبَائِسِ فَيَا غَبْنَ ٱلْمَنْقُوصِ، وَبِقَدَرٍ وُضِعَ[11] ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْبَيْعِ، وَظَفِرَ آخَرُ فِي زَرْعِهِ بِٱلرَّيْعِ. وَلاَ تَخَلْ أَنَّهُ لاَ يُوضَعُ ٱلأَكْيَسُ، بَلْ كَمَا وُكِسَ[12] ٱلأَبْلَهُ فَكَذَلِكَ ٱلأَلَبُّ يُوكَسُ، وَكَمْ غُبِنَ فِي صَفْقَتِهِ ٱلْيَقِظُ، وَسَلِمَ مِنَ ٱلْغَبْنِ مَنْ لاَ يَتَحَفَّظُ وَبِإِذْنِ رَبِّكَ غُبِنَ ٱلْحَازِمُ رَأْيَهُ، وَوُقِيَ ٱلْغَبَنَ عَيِيٌّ لاَ يُدْرِكُ إِدْرَاكَهُ، وَلاَ يَعِي وَعْيَهُ.

أُزِلَ[13] ٱلْحَيُّ ٱلْحِلاَلُ[14]، فَهُزِلَ فِيهِمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمِفْضَالُ، يُهْزَلُ ٱلرَّجُلُ كَمَا تُهْزَلُ ٱلدَّابَّةُ فَتُثْنِي بِكَرَمِهِ ٱلأَلْسِنَةُ ٱلسَّابَّةُ، أَهْزَلَهُ أَنْ قَسَّمَ جِسْمَهُ فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ، فَبَاءَ بِمَدْحَةٍ عَظِيمَةٍ وَرُتْبَةٍ أَثِيرَةٍ، وَهَانَ عَلَى ٱلْكَرِيمِ أَنْ هُزِلَ جِسْمُهُ إِذَا سَمِنَ اِسْمُهُ، وَرَاقَ فِي حَلَبَةِ ٱلأَكْرَمِينَ وَسْمُهُ، يُسَرُّ أَنْ حُلِبَتْ نَاقَتُهُ وَشَاتُهُ، وَيُصَرِّي[15] أَخْلاَفَهَا لِيَجِدَهَا مَوْفُورَةً غُشَاتُهُ[16]، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ مَسْرُوراً [حِينَ][17] تُحْلَبُ لَبَناً كَثِيراً لِيَعْظُمَ لِلْغَاشِينَ ٱلْمُرْتَفَقُ وَيَعُمَّ ٱلْمَسَاكِينَ ٱلْمُصْطَبَحُ وَٱلْمُغْتَبَقُ، ذَاكَ ٱلَّذِي يُبَارَكُ لَهُ فِي ٱلرِّسْلِ[18] وَٱلنَّسْلِ، وَلاَ يَدْرُسُ ذِكْرُهُ ٱلْجَمِيلَ سِنَّ ٱلْحِسْلِ[19]، فَإِنْ نُكِبَ هَذَا فَكُلُّ فَقِيرٍ مَنْكُوبٌ، وَكُلُّ دَمْعٍ بِحَقِّهِ عَلَيْهِ

(10) وقص الرجل : إذا سقط عن الدابة فاندق عنقه.

(11) وضع الرجل : خسر في رأسماله.

(12) وكس : خسر في تجارته وقل رأس ماله.

(13) أزل : أصابه قحط وشدة.

(14) الحلال، بكسر الحاء : القوم.

(15) يصري : يشد على الناقة الصدار وهو خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها.

(16) غشاته : من يغشاه وينتابه من الزوار.

(17) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 80.

(18) الرسل : ما تدره الناقة من لبن.

(19) الحسل : ولد الضب، سن الحسل : يعني أبدا، لأن أسنان الحسل لا تسقط أبدا حتى يموت.

مَسْكُوبٌ، ٱلْمُصِيبَةُ فِيهِ عَامَّةٌ، وَكُلُّ بَعِيدٍ لَهُ أَهْلٌ وَحَابَّةٌ[20] :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّـهُ بُنْيَـانُ قَـوْمٍ تَهَدَّمَـا[21]

[الطويـل]

لَقَدْ جَدَّ بِٱلسَّفْرِ[22] جِدُّ ٱلتَّأْثِيرِ فِي ٱلْوَفْرِ، لاَ يَسْتَطِيعُونَ إِلاَّ ٱلإِنْفَاقَ وَلاَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُفَارِقُوا فِي ٱلْمَفَازَةِ ٱلرِّفَاقَ، فَإِذَا رُهِصَتْ[23] دَابَّةُ أَحَدِهِمْ فَمِنَ ٱلْعَوِيصِ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ ٱلرَّكْبِ لأَجْلِ هَذِهِ ٱلرَّهِيصِ، فَيُضْطَرَّ إِلَى ٱلإِعْتِيَاضِ مِنَ ٱلَّتِي ضَلَّتْ مَرْهُوصَةً فَتُصْبِحُ جِدَّتُهُ مَنْقُوصَةً، وَبِيَدِ ٱللَّهِ خَزَائِنُ ٱلإِرْفَاقِ[24]، وَٱلْخَلَفُ عِنْدَهُ مَقْرُونٌ بِٱلإِنْفَاقِ، فَرُبَّمَا نُتِجَتْ[25] خِلاَفُهُ ٱلنَّاقَةُ فَتَتَضَاعَفُ حِينَ تُنْتَجُ ٱلإِغْتِبَاقَةُ[26]، نَتَجهَا أَهْلُهَا لَيْلاً فَأَجْزَلَ ٱلصَّبَاحُ لِجِيرَانِهَا نَيْلاً، وَٱلْكَرِيمُ مِتْلاَفٌ مِخْلاَفٌ، وَبِقُدْرَةِ ٱللَّهِ جَفَّتْ وَحَشَكَتْ[27] أَخْلاَفٌ.

عُقِمَتِ ٱلْمَرْأَةُ فَضَجِرَتْ، وَعَقُرَتِ ٱلنَّاكِحُ فَوَدَّتْ أَنَّهَا عُقِرَتْ، يَا عَجَباً لِلْعَقِيمِ تَتَشَوَّفُ إِلَى حَالَةِ ٱلسَّقِيمِ، وَيَا وَيْحَ ٱلْعَاقِرِ لَعَلَّ فِي ٱلْعُقْرِ سَدَاداً لِلْمَفَاقِرِ، وَلَعَلَّهَا إِنْ نُفِسَتْ[28] غُلاَماً، إِسْتَقْبَلَتْ بِهِ أَنْكَاداً وَآلاَماً، أَوْ يَكُونُ ٱلْمَنْفُوسُ جَارِيَةً فَتَغْدُو ٱلأَقْدَارُ فِيهَا بِغَيْرِ مَأْمُولِهَا جَارِيَةً، وَٱلرِّضَا بِقَضَاءِ ٱللَّهِ أَوْلَى مَا ٱهْتَدَتْ بِهِ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُتَحَيِّرَةُ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ٱلنُّفَسَاءُ ٱلْمُتَخَيِّرَةُ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

(20) حابة : محبون.

(21) البيت للشاعر النمر بن تولب انظر الشعر والشعراء 227.

(22) السفر : رجل سفر وقوم سفر بمعنى مسافر ومسافرون.

(23) رهصت الدابة : إذا وطئت حجرا وصار في بطن حافرها قيح.

(24) الإرفاق : اللطف واللين.

(25) نتجت : قِيمَ عليها حتى ولدت بضم النون إذا لم تسم الفاعل، وبفتح النون إذا سميت الفاعل كقوله : نتجها أهلها.

(26) الإغتباقة : اللبن الذي يحلب بعد المغرب.

(27) حشكت : امتلأت لبنا.

(28) نفست : وضعت، ولدت.

مَا [كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ][29] :

وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ سُرُورٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلنَّسْلِ[30]

[الطويــل]

زُهِيتَ عَلَيْنَا أَيُّهَا ٱلْمُعْتَدُّ بِٱلصِّحَّةِ وَٱلشَّبَابِ وَجَهِلْتَ مَا بِهِ دُهِيتَ مِنْ تَقَاضِي ٱلأَيَّامِ وَذَهَابِ ٱلأَحْبَابِ، فَلَوِ اعْتَبَرْتَ ٱلَّذِي بِهِ دُهِيتَ لَمَا زُهِيتَ[31]، وَلَوْ عَلِمْتَ غَائِلَةَ مَا بِهِ انْتُحِيتَ لَمَا نُخِيتَ[32]، فَكَمْ مَزْهُوٌّ لُقِيَ[33] بِأَيْسَرِ شَيْءٍ لَقِيَ وَكَمْ مَنْخُوٌّ صَدْرَ لَيْلَتِهِ فَلِجَ[34] قَبْلَ أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ ٱلصُّبْحُ وَيَنْبَلِجَ فَأَصْبَحَ عَنِ ٱلْعَافِيَةِ مَخْلُوجاً وَغَدَا وَرَاحَ مَلْقُوّاً مَفْلُوجاً، فَمَنْ ذَا يُعَالِجُهُ إِذَا اسْتَحْكَمَ فَالِجُهُ، وَيَا لِعَاجِلِ شِقْوَتِهِ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ بُرْءِ لَقْوَتِهِ، وَوَدَّ ٱلْبَائِسُ لَوْ بَقِيَ كَذَلِكَ وَهَيْهَاتَ لاَبُدَّ يَوْماً أَنْ يَكُونَ ٱلْهَالِكَ، وَحَسْبُهُ أَنْ يُكَابِدَ البِرَحِينَ[35] وَيُزَجِّيَ[36] بِٱلآمِهِ بَعْدَ ٱلْحِينِ ٱلْحِينَ، حَتَّى إِذَا أَذِنَتِ ٱلأَقْدَارُ بِعَطَبِهِ، وَعَاقَتْهُ ٱلشِّدَّةُ عَنْ أَرَبِهِ، قَالَ أَوْلِيَاهُ قَدْ دِيرَ بِفُلاَنٍ أَوْ أُدِيرَ[37] بِهِ وَمَا نَرَاهُ إِلاَّ لِمَا بِهِ ذَاهِباً، وَمُلاَقِياً ٱلَّتِي لَمْ يَزَلْ لَهَا رَاهِباً، وَطَفِقَ ٱلْجِيرَةُ يُؤَنِّسُونَ بِحَسَنِ ٱلْقَوْلِ، وَيَعِدُونَ بِعَائِدَةِ ذِي ٱلْقُوَّةِ

---

(29) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 80.

(30) البيت للمتنبي، وروايته هي :

وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْـدَهُ حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلـنَّسْلِ

الديوان بشرح العكبري : 52/3، وبشرح العلامة الأوحدي، ص 414، وبشرح عبد الرحمان البرقوقي : 220/3. والبيت في قصيدة في رثاء ابن سيف الدولة، والبيت في يتيمة الدهر : 265/1.

(31) زهيت : تكبرت.

(32) نخيت : أصابتك نخوة.

(33) لقي : أصابته اللقوة بفتح اللام وسكون القاف، وهي ما يصيب شدق الإنسان فيلتوي إلى جهة العنق.

(34) فلج : أصيب بالفالج.

(35) البِرَحِين : الشدائد والدواهي.

(36) يُزَجِّي : يسوق ويدفع.

(37) دير به وأدير به : أن يصيب الإنسان حيرة في رأسه واسم الداء الدوار.

وَٱلْحَوْلِ، وَيَقُولُونَ كَمْ مَدُورٍ بِهِ أَفْرَقَ[38]، وَمَا كُلُّ مُدَارٍ بِهِ أَوْدَى فَلاَ تُطَاوِعُوا ٱلشَّفَقَ[39]، فَأَتَاهُمْ عَلَى تَفِيئَةِ[40] هَذِهِ ٱلتَّسْلِيَةِ، أَنَّ حَالَهُ مُؤْذِنَةٌ بِقُرْبِ ٱلْغَسْلِ وَٱلتَّصْلِيَةِ، فَانْطَلَقُوا مُسْتَبِقِينَ، وَتَبَادَرُوا مُشْفِقِينَ [يَسْأَلُونَ][41] مَنْ لَقُوا عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنْ فَرِيقِهِمْ فَقِيلَ لَهُمْ قَدْ أُغْمِيَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ فَهَا هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ، وَقَدْ غُشِيَ عَلَيْهِ مِرَاراً وَمَا أَقْرَبَ ٱلْمَغْشِيَّ عَلَيْهِ أَنْ تَغْشَاهُ ٱلْمَنَايَا فَتَأْخُذَ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ ٱسْتَمَرُّوا فِي سَبِيلِهِمْ يَتَخَافَتُونَ بِعَوِيلِهِمْ وَيَسْتَطْلِعُونَ طِلْعَ ٱلْمَرِيضِ حِينَ أُخْبِرُوا أَنْ قَدْ [حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ][42]، فَوَرِعٌ[43] امْتُقِعَ مِنْهُ ٱللَّوْنُ وَمُضْطَلِعٌ[44] قَالَ بِٱللَّهِ عَلَى عَارِضِ ٱلرَّزَايَا ٱلْعَوْنُ :

خُلِقْنَا رِجَالاً لِلتَّصَبُّرِ وَٱلأَسَى ... وَتِلْكَ ٱلْغَوَانِي لِلْبُكَا وَٱلْمَآتِمِ

[الطويـل]

ثُمَّ اشْتَغَلُوا بِتَجْهِيزِ صَاحِبِهِمْ، وَعَادُوا بَعْدُ يُجْرُونَ خُيُولَ ٱللَّهْوِ فِي مَلاَعِبِهِمْ، وَيَجُرُّونَ ذُيُولَ ٱلزَّهْوِ فِي مَسَاحِبِهِمْ، كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا لَهُ قَوْماً، أَوْ كَأَنْ لَمْ يَغْنَ[45] مَعَهُمْ يَوْمًا، وَرُكِضَتْ[46] بَعْدَهُ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ، وَأُكِلَتِ ٱلطَّيِّبَاتُ، فَلَمْ يُفْقَدْ مِنْ لَذَّتِهَا ٱلْمُعْتَادُ، وَأَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ وَأُهِلَّ ٱلْهِلاَلُ، فَرَاقَ ٱلأَبْصَارَ ذَلِكَ ٱلإِسْتِهْلاَلُ، وَلَمْ يَبْقَ لِهَذَا ٱلْفَقِيدِ فِي إِسْرَارٍ مِنْ وَلِيِّهِ وَلاَ إِعْلاَنٍ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ إِذَا مَرَّ بِقَبْرِهِ هَذَا قَبْرُ فُلاَنٍ، وَلْيَحْذَرِ ٱلْعَاقِلُ مَتَى اسْتُهِلَّ ٱلْهِلاَلُ أَوْ غُمَّ،

(38) أفرق : برأ من مرضه وشفي منه.

(39) الشفق : الخوف.

(40) تفيئة : على أثر.

(41) في الأصل يسلون، الورقة : 80.

(42) الجريض : غصص الموت. القريض : قيل الشعر، وقيل الجرة : وهي ما يفيض به البعير من كرشه ليقرضه بأسنانه في عملية الاجترار. والقولة مثل يضرب لكل أمر كان مقدورا عليه فحيل دونه وأول من قاله عبيد بن الأبرص.

(43) الورع : الجبان، الضعيف الذي لا غناء عنده.

(44) كذا في الأصل مضطلع بمعنى عالم بالأمر، الورقة : 81.

(45) لم يغن : لم يصب غنى.

(46) ركضت : بضم الراء وكسر الكاف إذا حركها صاحبها وضربها برجليه لتسرع في العدو.

وَكُسِفَتِ ٱلشَّمْسُ نُورَهَا أَوْ كَمُلَ وَتَمَّ، أَنْ يَنْسُبَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَحْيَائِهِ أَوْ أَمْوَاتِهِ، فَإِنَّمَا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ لاَ يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ(47).

لَهْفِي شُدِهْتُ(48) بِأَمْرِ ٱلنَّاسِ عَنْ نَفْسِي، وَذَكَرْتُ رَمْسَ(49) غَيْرِي وَنَسِيتُ رَمْسِي، يَا يَوْمِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ أَمْسِي، أَيُغْنِي أَنْ أُفْنِيَ بِٱلْعَضِّ مِنْ نَدَمٍ خَمْسِي(50)، قَدْ أَصْبَحْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُمْسِي، وَهَا أَنَا حَتَّى ٱلسَّاعَةِ مَشْدُوهٌ بِٱلْمُحَالِ. وَٱللَّهِ لاَبُدَّ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلإِقَامَةِ مِنَ ٱلتَّرْحَالِ، فَمَا أَعْدَدْتَ لِهَذِهِ ٱلْحَالِ، أَتَقُولُ أَدَّيْتُ مِنْ صَلاَتِي ٱلْفَرْضَ فَهَلْ أَنْتَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ قَبُولِ صَلاَتِكَ، أَمْ تَقُولُ زَكَّيْتُ ٱلْعَيْنَ(51) وَٱلْعَرْضَ(52) فَهَلْ حَصَلَ لَكَ ٱلْيَقِينُ بِضَمِّ ذَلِكَ إِلَى دِيوَانِ حَسَنَاتِكَ أَمْ تَقُولُ صُمْتُ شَهْرَ ٱلصَّبْرِ مِرَاراً، فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ ٱللَّهَ رَضِيَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ إِعْلاَناً وَإِسْرَاراً، أَمْ تَقُولُ حَجَجْتُ ٱلْبَيْتَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْبَرَّ فَهَلِ اتَّخَذْتَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْداً أَنَّ حَجَّكَ قَدْ بُرَّ، فَلَوْ عَلِمْتَ أَنْ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ بِٱلْحَجِّ إِجْزَاءٌ(53) لآنَسَكَ أَنَّ ٱلْحَجَّ ٱلْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ غَيْرُ ٱلْجَنَّةِ جَزَاءٌ، ثُلِجَ(54) فُؤَادُكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ وَٱلْمَثْلُوجُ فِي قَيْدِ ٱلْحَيْرَةِ يَحْجُلُ، فَٱلْقَنْ عَنِّي أَسْلُكَ بِأَنَّ وَسِيلَةَ ٱلإِيمَانِ لاَ تَضِيعُ عِنْدَ ٱلرَّحْمَانِ وَأَنَّ ٱلْفَوْزَ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا تَحْتَ أَكْرَمِ ذِمَّةٍ وَأَبَرِّ ضَمَانٍ، فَهَلْ ثَلِجَ(55) صَدْرُكَ بِهَذَا ٱلْخَبَرِ، وَقَوَّى مِنْكَ وَهْنَ ٱلْمُصْطَبَرِ، وَمَا نَفِسْتُ(56) عَلَيْكَ

---

(47) الحديث انظر صحيح مسلم : 27/3.

(48) شدهت : شغلت.

(49) رمس : قبر.

(50) خمسي : أصابع يدي الخمسة.

(51) العين : الذهب.

(52) العرض : المتاع.

(53) إجزاء : إغناء.

(54) ثلج : بضم الثاء إذا أصاب الفؤاد بلادة ورجل مثلوج رجل بليد.

(55) ثلج : بفتح الثاء : سُرَّ.

(56) نفست : بخلت عليك به لنفاسته.

بِهَذَا ٱلْخَبَرِ ٱلْيَقِينِ وَلاَ كُنْتُ لأَنْفسَ بِهِ وَلَوْ أَنِّي فِي حَالِ ٱلتَّلْقِينِ، فَإِنْ رَضِيتَ فِي تَمَكُّنِ ٱلثِّقَةِ بِهِ قَلْبَكَ ٱلْمُرْتَبِكَ، وَإِلاَّ فَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ قَدِ ٱنْقَطِعَ[57] بِكَ، فَارْجِعْ إِلَى ٱللَّهِ وَلَوْ بِجُرَيْعَةِ ذَقَنِكَ[58] وَتُبْ إِلَيْهِ مِنْ ظُنُونِكَ ٱلسَّيِّئَةِ وَظِنَنِكَ[59]، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ[60]، وَيَعْفُو عَنِ ٱلْكَبَائِرِ مِمَّنْ لَمْ يَحْتَقِرِ ٱلصَّغَائِرَ وَيَسْتَصْغِرْ. لِتُعْنَ بِحَاجَتِكَ مِنِ ٱسْتِرْحَامِهِ، وَلْتُوضَعْ فِي تِجَارَتِكَ إِنْ عَاقَتْكَ عَنْهُ ٱلْمُمَاكَسَةُ[61] فِي غُثَاءِ ٱلْمَالِ وَحُطَامِهِ، فَإِنْ أَنِسْتَ رَوْحاً مِنْ رِضْوَانِهِ وَأَنِسْتَ بِمَأْمُولِ عَطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ فَلْيُفْرِخِ ٱلْوَجَلُ، وَلْتُزْهَ عَلَيْنَا بِحَقِّكَ يَا رَجُلُ، بَلَّغَكَ ٱللَّهُ ذَلِكَ ٱلْمَبْلَغَ، وَسَوَّغَكَ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا تُحِبُّ أَنْ تَتَسَوَّغَ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكَ مِمَّنْ أَحْسَنَ بِهِ ٱلظَّنَّ، وَاعْتَقَدَ رَجَاءَهُ ٱلْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِهِ وَٱلْمِجَنَّ، وَحَشَرَنَا أَجْمَعِينَ فِي زُمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[62].

---

(57) انقطع بالرجل : إذا فني زاده وراحلته.

(58) بجريعة ذقنك : قرب الموت منك كقرب الجريعة من الذقن وهو من أمثال العرب يضرب لمن أفلت بعدما أشرف على الهلاك.

(59) الظنن : جمع ظنة وهي التهمة.

(60) يغرغر : يتردد.

(61) المماكسة : انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين.

(62) الآية 262 من سورة البقرة.
وتكررت هذه الآية كثيرا في سور القرآن مثل الآية 48 من سورة الأنعام.

5 ــ بَابُ فَعِلْتُ وَفَعَلْتُ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

أَيُّهَا ٱلتَّائِهِ فِي بَيْدَاءِ ٱلْغَفَلاَتِ، هَلْ فَقِهْتَ عَنِ ٱلأَيَّامِ أَحَادِيثَهَا ٱلْمُخْتَلِفَاتِ، فَسِهَامُهَا إِلَيْكَ مُفَوَّقَةٌ[1]، وَمُخْتَلِفَاتُهَا عَلَى إِزْعَاجِكَ مُتَّفِقَةٌ، فَأَرْعِهَا سَمْعاً وَاعِياً، وَوَكِّلْ بِهَا طَرْفاً مُرَاعِياً، فَقَدْ أَطَالَتْ لَكَ وَأَوْجَزَتْ وَأَبَانَتْ عَلَيْكَ وَٱلْعَزَتْ، وَأَرَاكَ بِمَعْزِلٍ عَنِ ٱلْفَهْمِ، وَبِمَنْزِلٍ لاَ يُخْطِئُكَ فِيهِ صَائِبُ ٱلسَّهْمِ، غَرَّكَ أَنْ مَرِضْتَ فَنَقَهْتَ[2]، فَهَلاَّ فِي أَحْكَامِ ٱلأَيَّامِ [تَفَقَّهْتَ][3] حَتَّى تَعْلَمَ إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ أَنَّكَ إِلَى أَمَدٍ تَنْقَهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ لاَ تُعَبِّرُ عَنْهُ فِي غَدِهِ بِأَمْسٍ، لَنْ تَرَى بَعْدَهُ أَبَداً مُحَيَّا ٱلشَّمْسِ. قَرِرْتَ بِعَاجِلِ عِيشَتِكَ عَيْناً، وَأَمِنْتَ أَنَّ ٱلْمَنَايَا تَقْتَضِيكَ دَيْناً، لاَ تَجِدُ حَيْثاً[4] يُجِيرُكَ مِنْهُ وَلاَ أَيْناً[5]، فَحَيْثُ قَرَرْتَ[6] أَدْرَكَتْكَ، وَكَيْفَمَا دُرْتَ أَهْلَكَتْكَ، فَأَنَّى تَقَرُّ[7] عَلَى هَذَا عَيْنُ لَبِيبٍ، أَوْ يَقِرُّ ٱلْمَرْءُ فِي مَنْزِلٍ إِلَيْهِ حَبِيبٍ.

يَا عَجَباً لِلإِنْسَانِ قَنِعَ مِنْ دُنْيَاهُ بِٱلْهَذَيَانِ، وَإِنَّ ٱلْقَنَاعَةَ بِٱلزُّورِ لآيَةُ ٱلْعَقْلِ

---

(1) مفوقة : مصوبة ومسددة.

(2) نقهت : شفيت من الداء.

(3) تصحيح من الهامش، الورقة : 82.

(4) حيثا : مكانا.

(5) الأين : الحين. آن بمعنى حان.

(6) قررت : سكنت.

(7) تقرعينا : ذهب سهرها ونامت سرورا.

ٱلْمَنْزُورِ[8]، وَلَيْتَهُ بِبُلْغَةِ ٱلْعَيْشِ فِيهَا يَقْنَعُ[9]، وَلَكِنْ يُعْجِبُهُ ٱلتَّكَاثُرُ فَيَقْنَعُ[10]، فَبُعْداً لَهُ مِنْ قَانِعٍ[11] مُعْتَرٍّ[12] قَنَعَ غَيْرَ مُضْطَرٍّ فَتَعَرَّضَ بِٱلْقُنُوعِ فِي دُنْيَاهُ لِلْمَلاَمَةِ، وَأَتَى وَٱلْمَسْأَلَةُ فِي وَجْهِهِ خُدُوشٌ أَوْ خُمُوشٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

لَبِسْتُ ثَوْبَ ٱلنَّصِيحَةِ زَمَاناً، وَتَعَرَّفْتُ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ سَالِفَ عُمْرِي أَمَاناً، ثُمَّ نَضَّتِ[13] ٱلأَيَّامُ ثَوْبَهَا ٱلْمُعَارَ، وَنَقَضَتِ ٱلنَّوَائِبُ أَمَانَهَا ٱلْمُغَارَ[14]، فَهَا أَنَا لاَ أَلْبَسُ إِلاَّ خَلَقَ ٱلأَمْرَاضِ، وَلاَ أَتَعَرَّفُ مِنَ ٱلْخُطُوبِ إِلاَّ خُلُقَ ٱلإِرْمَاضِ[15]، فَصَبْراً لِلطَّارِىءِ ٱلْمُغْتَاضِ، وَاحْتِسَاباً فِي نَصِيحَةِ ٱلنَّاسِ بِهَذِهِ ٱلأَعْرَاضِ. وَٱللَّهِ لاَ لَبَسْتُ[16] عَلَيْهِمْ أَمْراً، وَلاَ أَنْفَقْتُ فِي غَيْرِ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدِ عُمْراً، مَا عُذْرِي يَوْمَ ٱلْفَقْرِ وَٱلإِفْلاَسِ فِي أَنْ أَلْبِسَ ٱلأَمْرَ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَهُنَاكَ ٱلْفَضِيحَةُ ٱلَّتِي يَرْتَفِعُ مَعَهَا حِجَابُ ٱلإِلْبَاسِ، «وَٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ»[17]. فَاقْبِسْهَا مُبْتَدِئاً لاَ تَشْتَرِطْ مُقَدِّمَاتِ ٱلإِقْتِبَاسِ. إِذَا أَفَدْتُ ٱلْخَيْرَ قَبْلَ أَنْ أُسْأَلَ فَكَأَنَّمَا لَسِبْتُ[18] ٱلْعَسَلَ، لاَ وَٱللَّهِ بَلْ أَنْ أَسْرُدَ ٱلنَّصَائِحَ هَذًا[19] أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْبَهُ مُلْتَذّاً، وَهَلْ تَعْدِلُ حَلاَوَتُهُ فِي ٱللَّهَاةِ أَنْ أُجَلِّيَ عَنْ مُسْلِمٍ شُبْهَةً مِنَ ٱلشُّبُهَاتِ أَوْ أَكُونَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ ٱلْخَلاَصِ وَٱلنَّجَاةِ وَذَرَائِعِ ٱلتَّقْرِيبِ إِلَى آمَالِهِ ٱلْمُرْتَجَاةِ، وَأَيْنَ كَسْبُ ٱلشُّهْدِ مِنْ لَذَّةِ بَذْلِ ٱلْجُهْدِ فِي إِفَادَةِ دَقِيقِ ٱلْعِلْمِ وَإِبَانَةِ طَرِيقِ ٱلزُّهْدِ، وَإِنَّهُ لأَقْرَبُ لَوْ

---

(8) المنزور : القليل.

(9) قنع يقنع : بفتح القاف وكسر النون رضي قناعة، والمصدر منه قناعة.

(10) قنع يقنع : بفتح القاف والنون بمعنى سأل عطاءا والمصدر منه قنوع.

(11) قانع : سائل. الذي يسأل عطاءا.

(12) معتر : الذي يتعرض ولا يسأل. وفي التنزيل : ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ الآية..

(13) نضت : خلعت، أزالت.

(14) المغار : الشديد الأسر كأنه فتل فتلا.

(15) الإرماض : كل ما أوجع.

(16) لبست من اللبس والغموض، مضارعه ألبس بكسر الباء، والمصدر الإلباس.

(17) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 53/1.

(18) لسبت : بفتح اللام وكسر السين : لعقت.

(19) هذا : سرعة القراءة والسرد.

لَسَبَتْنِي[20] ٱلْعَقْرَبُ أَنْ يُذْهِبَ أَلَمَ لَسْبِهَا عَنِّي سَمَاحَتِي لِلْمُسْتَفِيدِ بِمَا يَطْلُبُ مِنِّي، وَفَضْلُ ٱللَّهِ كَفِيلٌ بِدَفْعِهَا فَلاَ تَلْسِبُ، وَمُنِيلُهَا مِنْ عَوَائِدِ إِحْسَانِهِ فَوْقَ ٱلَّذِي نَحْتَسِبُ.

أَسِيتُ[21] وَكَيْفَ لاَ آسَى وَقَدْ وُكِّلَ بِي مِنَ ٱلْفَنَاءِ رَقِيبٌ لاَ يَنْسَى إِذَا نَسِيتُ وَلاَ يَتَنَاسَى، وَعَسَى أَنْ يَنْفَعَ ٱلأَسَى، وَتُوقِظَ هَذَا ٱلْقَلْبَ ٱلنَّائِمَ ٱلأَمْثَالُ وَٱلأُسَى[22]، وَإِنَّ فِي سُوَيْدَائِهِ مِنْ هَذِهِ ٱلأَحْوَالِ لَجُرْحاً طَالَ مَا أَسَوْتُهُ[23] حَتَّى يَئِسْتُ فِيهِ مِنَ ٱلانْدِمَالِ، وَمَا نَفْعُ ٱلأَسْوِ فِي جُرْحٍ تَمُدُّهُ ٱلأَيَّامُ بِمَوَادِّ ٱلآلاَمِ وَٱلآمَالِ. مَا حَلاَ طَعْمُ ٱلأَرْيِ[24] فِي فَمِي مُنْذُ هَيَّجَ فُقْدَانُ ٱلأَحِبَّةِ أَلَمِي، وَلاَ حَلِيَ بِعَيْنِي مَنْظَرٌ مُنْذُ لَمْ يَسْرَحْ لِي فِيهِمْ نَظَرٌ، وَقَدْ عَمِرْتُ[25] زَمَاناً يَحْلُو لِي بِهِمُ ٱلصَّابُ[26] [وَتَنْجَلِي][27] عَنِّي بِقُرْبِهِمُ ٱلأَوْصَابُ[28]، وَيَحْلَى[29] بِعَيْنِي كُلُّ مَا تَرَاهُ وَيَعْتَادُ جَفْنِي وِفْقَ مُرَادِهِ كَرَاهُ، فَأَبْكِ مَعِي لِلْقَلْبِ وَٱلْعَيْنِ وَقَدْ فَقَدَا ٱلْحَلاَوَتَيْنِ[30]، فَبِٱلرَّغْمِ عَمَرْتُ[31] بَعْدَهُمُ ٱلدِّيَارَ وَمَا يَعْرِفُ ٱلْمَنْزِلُ إِذَا عَمِرَ ٱلضَّرُورَةَ وَلاَ ٱلإِخْتِيَارَ، وَلاَ اعْتِدَادَ بِتِلْكَ ٱلْعِمَارَةِ بَعْدَهُمْ وَلاَ اعْتِبَارَ. مَا تَرَاهَا عَيْنِي إِلاَّ صِفْراً، وَلاَ تَعْتَدُّهَا نَفْسِي إِلاَّ قَفْراً :

---

(20) لسبتني العقرب : لذغتني.

(21) أسيت : خزنت، مضارعه آسى، والمصدر منه أسًى.

(22) الأُسَى : جمع أسوة.

(23) أسوته : أصلحته، مضارعه آسوه، والمصدر أسْواً.

(24) الأري : العسل.

(25) عَمِرت قرنا : بفتح العين وكسر الميم طال عمري زمانا.

(26) الصاب : شجر مر.

(27) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 82.

(28) الأوصاب : جمع وصب وهو الألم والوجع.

(29) يحلى بعيني : يحسن في عيني.

(30) الحلاوتين : حلاوة النظر وحلاوة القلب.

(31) عمرت : سكنت وأقمت، واللازم منه عمر بكسر الميم، عمر الرجل منزله، وعمر المنزل.

بَانُوا فَمَاتَتْ أَسَفاً بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ نُفُوسُ ٱلدِّيَارْ

[السريع]

بَغَتَتْنِي فِيهِمُ ٱلأَيَّامُ فَمَا نَدَرْتُ[32]، وَنَذَرْتُ[33] بَعْدَهُمُ ٱلنُّذُورَ لاَ سَلَوْتُ عَنْهُمْ أَبَداً فَوَفَى لِي ٱلْقَلْبُ بِمَا نَذَرْتُ، وَمَا كَانَ يُغْنِينِي أَنْ أَنْذَرَ وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْذَرَ، وَلَعَلِّي فِيمَا أَنْذِرُ أَلاَّ أَحْتَاجَ مَعَ ٱلْوَفَاءِ بِهِ أَنْ أَكُونَ بَعْدُ أَعْتَذِرُ، وَٱلْحُرُّ يَفِي بِمَا يَنْذُرُ، فَانْظُرْ مَعِي كَمَا أَنْظُرُ، يَا لِعَيْنٍ سَخِنَتْ[34] بِمَا جَنَى ٱلْبُعْدُ، هَلْ يَدْنُو ٱلْبَعِيدُ فَلاَ تَسْخَنُ بَعْدُ. تَكَدَّرَتْ لِي بَعْدَهُمْ صَافِيَاتُ ٱلْمَوَارِدِ، وَسَخَنَ ٱلْمَاءُ لِبَيْنِهِمْ فَلاَ عَهْدَ لِي بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ، فَكَيْفَ سَخُنَ وَثَخُنَ[35] وَعَهْدِي بِهِ لاَ يَثْخُنُ حِينَ يَسْخُنُ وَجِنَايَاتُ ٱلْبَيْنِ فَوْقَ مَا أَصِفُ، فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَشْتَفِي مِنْهُ وَأَنْتَصِفُ :

لَوْ وَجَدْنَا إِلَى ٱلْفِرَاقِ سَبِيلاً لأَذَقْنَا ٱلْفِرَاقَ طَعْمَ ٱلْفِرَاقِ[36]

[الخفيف]

سَكَّنَتِ ٱلأَيَّامُ ٱلْمخْرَجَ[37]، وَأَعْوَصَتْ عَلَى ٱلْمُنْتَشِبِ[38] ٱلْمخْرَجَ، وَبَثَّتْ نَوَائِبَهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلاَ مَحِيدَ وَلاَ مُعَرَّجَ، فَبَيْنَا ٱلرَّجُلُ يَمْشِي مُسْتَقِيماً عَرِجَ[39] وَلَرُبَّمَا أَصَابَهُ شَيْءٌ فَعَرَجَ[40]، يَعْرَجُ[41] ٱلرِّجْلُ فَلاَ يَدْرِي لِمَ، وَيَعْرُجُ إِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ فَأَلِمَ، وَنَسْأَلُ ٱللَّهَ أَنْ يَقِيَ وَيُسَلِّمَ.

---

(32) ندرت : علمت، مضارعه أنذر بفتح الذال.

(33) نذرت : اتخذت نذرا، مضارعه أنذر بكسر الذال وأنذر بضمها.

(34) سخنت : بكسر الخاء : حميت من الحزن والبكاء، ومضارعه تسخن بفتح الخاء.

(35) ثخن : كثف وغلظ وصلب.

(36) لم أهتد لقائله.

(37) الحرج : غير واضحة في الأصل، الورقة : 83، ومعناها : الضيق.

(38) المنتشب : الذي يقع فيما لا مخلص منه.

(39) عَرِجَ : بكسر الراء، طلع وصعد الأدرجة، مضارعه يَعْرُجُ بضم الراء وكسرها.

(40) عَرَجَ : بفتح الراء : تمايل في مشيته إذا غمز من شيء أصابه.

(41) يَعْرَجُ : يُصَابُ بِٱلْعَرَجِ.

أَمِرَ[42] ٱلْقَوْمُ ثُمَّ نَقَصُوا، وَأَمَرَ[43] عَلَيْهِمْ فُلاَنٌ فَأَحْجَمُوا بَعْدَ ٱلإِقْدَامِ يَزِيدُ ٱلْقَوْمُ وَيَنْقُصُونَ، وَأَمِيرٌ يَبْذُلُ جُنْدَهُ وَآخَرُ يَصُونُ، فَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَقَدَّمُونَ وَيَنْكِصُونَ.

إِذَا مَلَلْتَ[44] ٱلْخُبْزَ فِي ٱلنَّارِ، فَاذْكُرْ مَآلَ ٱلْعُصَاةِ ٱلْمُعَذَّبِينَ وَٱلْكُفَّارِ، وَتَذَكَّرْ إِذْ تَمُلُّهُ وَسْطَ ٱلْمُضْطَرَمِ أَنَّ [نَارُكُمْ هَذِهِ ٱلَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ][45]. مَلِلْتُ[46] مِنْ صُحْبَةِ ٱلنَّاسِ مَا أَمَلُّ إِلاَّ لِمَا لَحِقَهُمْ مِنَ ٱلتَّبْدِيلِ وَٱلإِنْتِكَاسِ، وَأَنْكَرَتْهُمْ نَفْسِي حَتَّى لأَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ فَرْطِ ٱلنَّكِيرِ مِثْلَ ٱلَّذِي يَعْرِضُ لِمَنْ أَسِنَ[47] مِنْ رِيحِ ٱلْبِئْرِ، إِلاَّ أَنَّ هَذَا يَأْسَنُ لأَمْرٍ خَارِجٍ وَأَنَا يَلْحَقُنِي ٱلأَسَنُ لأَمْرٍ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ مَارِجٍ[48]، فَهَلْ لِهَذَا ٱلْخَطْبِ ٱلْمُبْهَمِ مِنْ فَارِجٍ، بَلْ يَفْرُجُهُ ٱللَّهُ إِذَا أَرَادَ وَيَأْتِي مِنَ ٱلْغَيْثِ إِذَا أَسَنَ[49] ٱلْمَاءُ وَأَجْدَبَتِ ٱلأَرْجَاءُ بِمَا يُخْصِبُ ٱلْمَزَادَ وَيُخْصِبُ ٱلْمَرَادَ. ٱلْمَاءُ بِطُولِ ٱلْحَبْسِ يَأْسِنُ، وَٱلْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ يُحْسِنُ، وَرُبَّ مَاءٍ يَأْسُنُ فَلاَ تَصْلُحُ ٱلطَّهَارَةُ بِهِ وَلاَ تَحْسُنُ. وَإِذَا وَجَدْتَ ٱلْمَاءَ ٱلْغَمْرَ فَعُمْتَ[50] فِيهِ فَٱعْلَمْ أَنَّ مُبَاحاً لَكَ أَنْ تَعُومَ لِتَبْتَرِدَ كَمَا أُبِيحَ لَكَ أَنْ تَحُومَ لِتَرِدَ وَلَيْسَ مِنَ ٱلْحَرَجِ فِي ٱلْعَوْمِ إِلاَّ مَا يَكُونُ فِي ٱلأَكْلِ وَٱلنَّوْمِ، فَإِنْ عُجْتَ[51] إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِكَ مُنْتَبِذاً مِنْ فَرِيقِكَ فَثِقْ أَنَّكَ حِينَ تَعُوجُ لَمْ تَأْتِ شَيْئاً يَلْحَقُ فِيهِ ٱلتَّحْرِيجُ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُصَادِفُ عَارِضاً فِي ٱلْبَدَنِ يَهِيجُ فَإِذَا كَانَ

---

(42) أمر القوم : كثروا.

(43) أمر : تولى الإمارة عليهم.

(44) مللت الشيء في النار : دفنته في الملة، وهو الجمر والرماد الحار، مضارعه أمل بفتح الهمزة وضم الميم، والمصدر منه ملا.

(45) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 149/8.

(46) مللت : سئمت وضجرت، مضارعه أمل بفتح الهمزة والميم والمصدر منه ملالة وملالا.

(47) أسن من ريح البئر يأسن أسنا : بمعنى غشي عليه.

(48) مارج : ملتبس ومختلط.

(49) أسن الماء يأسن أسنا وأسونا : إذا تغير.

(50) عمت : من العوم والسباحة.

(51) عجت إليه : ملت إليه.

ذَلِكَ فَانْتَبِهْ، أَنْ رُبَّ دَوَاءٍ شَرِبْتَهُ فَمَا عِجْتَ[52] بِهِ، وَرُبَّمَا ظَفِرْتَ مِنْ [تَقَمُّسِكَ][53] بِالْشِّفَاءِ، وَوَجَدْتَ مِصْدَاقَ قَوْلِ خَاتِمِ الأَنْبِيَاءِ، [إِنَّ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَابْرُدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ][54]. عِمْتَ[55] إِلَى اللَّبَنِ وَإِنَّمَا تَعَامُ لأَنْ أَجْدَبَ عَلَيْكَ الْعَامُ، وَلاَ يَيْأَسُ الْمِسْكِينُ حِينَ يَعِيمُ، إِنَّ اللَّهَ بِإِرْوَاءِ عَيْمَتِهِ زَعِيمٌ، فَيَا مَعْشَرَ الْمُجْدِبِينَ وَالُوا ضَرَاعَةً إِلَى اللَّهِ وَجُؤَاراً[56] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[57].

---

(52) عجت به : انتفعت به.

(53) غير واضحة في الأصل، الورقة : 83.

(54) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 23/7.

(55) عمت : اشتهيت اللبن، والمضارع منه أعيم وأعام، والمصدر عيمة وعيوما.

(56) جؤارا : ارتفاع الصوت في تضرع واستغاثة.

(57) الآيات : 10-11-12 من سورة نوح.

6 ـــ بَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ بِٱخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

إِذَا شَرَقَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ مِنْ مَطْلَعِهَا ٱلْمَعْهُودِ، فَٱلشُّكْرُ لِلصَّمَدِ ٱلْمَعْبُودِ، وَإِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلآفَاقِ، فَبُشْرَى لأَهْلِ ٱلإِرْتِفَاقِ[1]، لِمَا قَرَنَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ مَصْلَحَةِ مُعْظَمِ ٱلأَرْزَاقِ، رَبُّنَا ٱلْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ يُمْهِلُنَا بِطُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ، وَيَنْشُرُ نُورَهَا فِي ٱلآفَاقِ مَعُونَةً لِلْمُرْتَزِقِ، وَنَحْنُ نَنْهَلُ عَنِ ٱلشُّكْرِ، وَنَجْهَلُ عَاقِبَةَ ٱلشُّكْرِ، وَلَوِ ائْتَمَرْنَا لَهُ حَقَّ ٱلإِئْتِمَارِ، وَشَكَرْنَا إِنْعَامَهُ ٱلْمُرْبِيَ عَلَى عَدَدِ ٱلرِّمَالِ وَٱلْقِطَارِ[2]، لأَمْطَرَنَا بِٱللَّيْلِ وَأَطْلَعَ عَلَيْنَا ٱلشَّمْسَ بِٱلنَّهَارِ، وَلاَبُدَّ لِهَذِهِ ٱلْمُشْرِقَةِ[3] ٱلْمُشَرِّقَةِ أَنْ يَجُورَ يَوْماً بِهَا فَتُصْبِحَ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ حِينَ يَأْذَنُ ٱللَّهُ أَنْ يَنْصَرِمَ مِنْ هَذِهِ ٱلْفَانِيَةِ ٱلْحَبْلُ، وَلاَ يَنْفَعُ ٱلإِيمَانُ نَفْساً لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فَنَسْأَلُ[4] ٱللَّهَ إِيمَاناً دَائِماً، وَعَمَلاً عَلَى طَاعَتِهِ قَائِماً. كَمْ مَشَيْتُ إِلَى ٱلْمَعَاصِي حَتَّى أَعْيَيْتُ وَظَلِلْتُ[5] مُعْيِياً بِمُمَارَسَتِهَا فَمَا ٱسْتَحْيَيْتُ، وَكَمْ عَيِيتُ[6] بِٱلأَمْرِ رُكُوبُهُ سَدَادٌ وَمَا أَنَا عَيِيٌّ وَ[لَكِنْ][7] ضُرِبَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلتَّوْفِيقِ أَسْدَادٌ[8]. وَكَمْ

---

(1) الإرتفاق : يقصد إرفاق الضعفاء وسد خلتهم.

(2) القطار : جمع قطر وهو المطر.

(3) تصويب من الطرة، الورقة : 84.

(4) في الأصل : فنسل، الورقة : 84.

(5) أعييت : تعبت.

(6) عييت بالأمر : حرت فيه، لم أعرف وجهه.

(7) تصويب من طرة الكتاب، الورقة : 84.

(8) أسداد : جمع مفرده سد من الفعل سدت علي الطريق بمعنى عميت علي مذاهبي.

حَبَسْتُ[9] مُتَحَفِّزاً عَنْ حَاجَتِهِ فَلَمْ يَنْتَفِعْ مَعِي بِلَجَاجَتِهِ، وَآخَرَ حَبَسْتُهُ[10] فِي ٱلْحَبْسِ فَظَلَّ مَحْبُوساً يُذْعَرُ مِنَ ٱلنَّبْسِ[11]، وَلَوْ أَحْبَسْتُ[12] فَرَساً فِي سَبِيلِ ٱلْجِهَادِ، لَكَانَ أَوْلَى بِحُسْنِ ٱلإِسْتِعْدَادِ، وَكَمْ فَرَسٍ مُحْبَسٍ فِي ذَلِكَ، يَأْمَنُ مُمْتَطِيهِ ٱلْمَهَالِكَ، وَتَعُودُ عَوَائِدُ ٱلذُّخْرِ ٱلنَّفِيسِ عَلَى ٱلْمُحْبِسِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْحَبِيسِ.

إِذَا أَذِنْتَ لِعَبْدِكَ فِي ٱلتَّجْرِ فَقَدِ ارْتَفَعَ عَنْهُ فِيمَا هُوَ مَأْذُونٌ لَهُ فِيهِ حُكْمُ ٱلْحَجْرِ. وَإِذَا آذَنْتُكَ بِٱلصَّلاَةِ فَاغْتَنِمْ بِسُرْعَةِ ٱلإِجَابَةِ جَزِيلَ ٱلأَجْرِ، إِنَّمَا أَنْتَ مُؤْذَنٌ بِٱلسَّعَادَةِ فَكُنْ فِي [ٱلْبِدَارِ][13] حَسَنَ ٱلْعَادَةِ، وَهَلْ أَهْدَيْتُ لَكَ بِهَذَا ٱلإِيذَانِ إِلاَّ هَدِيَّةً لاَ تُعْدَلُ بِأَنْفَسِ ٱلأَثْمَانِ، وَخَيْرُ ٱلإِهْدَاءِ مَا حَمَلَكَ فِي حُقُوقِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلأَدَاءِ. إِذَا أَهْدَيْتَ هَدْياً إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ، فَلاَ يَلْزَمُكَ ٱلتَّلَبُّسُ بِٱلإِحْرَامِ وَلَيْسَ بِتَوْجِيهِ ٱلْهَدْيِ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحْرِمَ وَأَنْتَ مُقِيمٌ فِي ٱلنَّدِيِّ نَعَمْ إِذَا أَمَّمْتَ بِهَدْيِكَ ٱلْبَيْتَ لَزِمَكَ ٱلإِحْرَامُ وَإِنْ أَبَيْتَ. وَإِذَا هَدَيْتَ[14] ٱلْعَرُوسَ إِلَى ٱلَّذِي مَلَكَ عِصْمَتَهَا بِٱلْعَقْدِ، وَعَمَرَ ذِمَّتَهَا بِٱلنَّقْدِ فَسَلِ ٱللَّهَ أَنْ يُؤْدِمَ بَيْنَهُمَا أَحْسَنَ ٱلأُدْمِ، وَأَنْ يَقِيَهُمَا مَضَاضَةَ ٱلْفُرْقَةِ وَذِلَّةَ ٱلْعُدْمِ عَلَى أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يُعْقِبَ ٱلْهِدَاءَ ٱلْفِرَاقُ، فَإِلاَّ طَلاَقٌ فَكَأْسٌ مِنَ ٱلْحَيَاةِ تُرَاقُ، وَإِذَا شَاءَ رَبُّكَ ٱلْوَاحِدُ وَإِنْ رَغَمَ ٱلْمُثَلِّثُ[15] ٱلْجَاحِدُ فَسَحَ لِلزَّوْجَيْنِ ٱلْمَهَلَ، وَأَصْفَى ٱلْمَنْهَلَ، وَأَسْجَحَ[16] ٱلْمُحَاوَلَةَ وَسَهَّلَ. هَدَيْتَ ٱلطَّرِيقَ ضَالاًّ فَاسْتَوْجَبْتَ ثَوَاباً مُدَّخَراً أَوْ حَالاً، فَلاَ تَكُ لأَجْرِ ٱلْهِدَايَةِ مُتَقَالاً، فَإِنْ هَدَيْتَهُ إِلَى طَرِيقِ ٱلْفَوْزِ ٱلأَعْظَمِ فَاعْتَقِدِ انْبِعَاثَكَ لِهُدَاهُ نِعْمَةً لِلَّهِ عَلَيْكَ مِنْ أَفْضَلِ ٱلنِّعَمِ، وَلأَنْ يَهْدِيَ ٱللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ ٱلنَّعَمِ.

---

(9) حبست : منعت من التصرف.

(10) حبسته : سجنته.

(11) النبس : أقل الكلام والحركة.

(12) أحبست فرسا : جعلتها محبسة في سبيل الله، وقفتها.

(13) غير واضحة في الأصل، الورقة : 84.

(14) هديت العروس : زففتها إلى زوجها ليلة البناء بها.

(15) المثلث : الساعي بأخيه إلى السلطان. وهنا الساعي بين الزوج وزوجه.

(16) أسجع : سهل ورفق.

إِذَا سَفَرَتِ[17] ٱلْجَارِيَةُ وَظَهَرَتْ مَحَاسِنُهَا ٱلْمُتَوَارِيَةُ فَـ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[18] وَيَلْزَمُوا هَذِهِ ٱلسُّنَّةَ فِي أَمْصَارِهِمْ، فَإِنَّ شَيْطَانَ ٱلنَّظَرِ مَرِيدٌ، وَعَذَابَ ٱللَّحْظِ شَدِيدٌ، فَسِرْ سَيْرَ ٱلنَّافِرِ[19] وَلاَ تَمُدَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ٱلسَّافِرِ، وَاحْذَرْ عُقُوبَةَ رَبِّكَ فَرُبَّمَا كَانَ ٱلنَّقْدُ عِنْدَ ٱلْحَافِرِ[20]. وَإِذَا سَفَرَ[21] ٱلْمُوَقَّرُ ٱلْكَبِيرُ، فَلاَحَ بِٱلْمَفْرِقِ مِنْهُ ٱلْقَتِيرُ[22]، قَالَ لِسَانُ ٱلتَّذْكِرَةِ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ، وَقَارٌ تَمَّ وَضَيْفٌ أَلَمَّ، فَزِدْنَا ٱللَّهُمَّ وَقَاراً وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقْطِعُ ٱلضَّيْفَ إِجْلاَلاً وَإِكْبَاراً، أَسْفَرَ[23] وَجْهُكَ لِمُعَايَنَةِ ٱلْوُجُوهِ ٱلْمُسْفِرَةِ[24] كَأَنَّكَ بُشِّرْتَ بِٱلْمَغْفِرَةِ. يَا هَذَا قَدْ أَسْفَرَ ٱلصُّبْحُ وَبَدَا فِي هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْقُبْحُ، فَأَوْلَى بِكَ لَوْ خَنَسْتَ[25] عَنِ ٱلْمُجُونِ وَاعْتَبَرْتَ مَا يَتَّصِلُ بِحَدِيثِهِ مِنَ ٱلشُّجُونِ وَقَدْ أَخْنَسْتَ[26] حُقُوقَ النَّاسِ زَمَاناً فَلْيَجِدُوا بَعْدُ مِنْكَ إِظْهَاراً لَهَا وَإِعْلاَناً.

أَقْبَسْتُكَ[27] عِلْماً هُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلنُّورَ، وَمَا قَبَسْتُكَ[28] نَاراً يُسْجَرُ بِهَا ٱلتَّنُورُ، فَهَلْ وَعَيْتَ مَا أَفَدْتُكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ٱلصَّعْبِ ٱلسَّهْلِ أَمْ أَوْعَيْتَ[29] أَمْتِعَتَكَ

(17) سفرت الجارية : أظهرت جمالها.
(18) الآية 30 من سورة النور.
(19) النافر : الفَرِقُ من الفَرَقِ بتحريك الراء.
(20) من أمثال العرب يضرب للنقد الحاضر في البيع، ورواه الميداني في مجمع الأمثال : 337/2 «النقد عند الحافرة».
(21) سفر : ظهر.
(22) القتير : الشيب أول ما يظهر.
(23) أسفر : أبيض وأضاء.
(24) المسفرة : المنيرة.
(25) خنست عن المجون : تأخرت عنه وتخليت.
(26) أخنست : سترت.
(27) أقبستك : أفدتك.
(28) قبستك : أعطيتك قبسا من النار.
(29) أوعيت : حفظت.

مُسْتَغْنِياً بِٱلْجَهْلِ، أَلاَ رُبَّمَا أَضَاقَ[30] ذُو ٱلْمَالِ فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱلسَّعَةِ مُضِيقاً وَعُدَّ ذُو ٱلْعِلْمِ أَبَداً مِنَ ٱلْمُثْرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ ٱلشَّرْبَةَ إِلاَّ مُذِيقاً. وَضَاقَ ٱلشَّيْءُ وَمَا كَانَ ضَيِّقاً، وَعَدِمَ ٱلأَشْيَبُ مِنْ شَبَابِهِ رَيِّقاً.

إِذَا حُكِّمَ ٱلرَّجُلُ فَأَقْسَطَ[31] إِنْتَشَرَ ٱلْخَيْرُ وَانْبَسَطَ فَبُشْرَى ٱلْمُقْسِطِ بِٱلْعَدْلِ ٱلْمُنْبَسِطِ، وَإِذَا حُكِّمَ فَقَسَطَ[32] فَمَا تَطَرَّفَ ٱلْخَيْرَ وَلاَ وَسَطَ، إِنَّ ٱلْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ ٱلرَّحْمَانِ قَدْ أَحْرَزُوا أَرَباً، وَأَمِنُوا عَطَباً. وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً.

إِذَا اِسْتَجَارَ بِكَ آبْنُ سَبِيلٍ فَخَفَرْتَهُ[33] فَأَجْرٌ لِنَفْسِكَ وَفَرْتَهُ، وَذُخْرٌ مِنْ أَمْسِكَ لِغَدِكَ ذَخَرْتَهُ، وَسَتَزْدَادُ اغْتِبَاطاً بِخُفْرَتِكَ إِذَا نَزَلْتَ فِي حُفْرَتِكَ. إِنَّ خَفَارَةَ ٱلْخَائِفِ ٱلْمُضْطَرِّ لَمَعْدُودَةٌ فِي أَزْكَى أَعْمَالِ ٱلْبِرِّ كَمَا أَنَّ إِخْفَارَهُ إِذَا أَخْفَرْتَهُ[34] شَيْءٌ سَخَّمْتَ[35] بِهِ وَجْهَ مُرُوءَتِكَ [وَعَفَّرْتَهُ][36]، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْغَادِرِينَ. خَفِرَتِ[37] ٱلْحَصَانُ[38] فَاسْتَوْجَبَتْ حَمْداً لاَ يَلْحَقُ زِيَادَتَهُ ٱلنُّقْصَانُ، وَٱلْخَفَرُ يَحْفَظُ مَا تَحْفَظُ ٱلْخُرْصَانُ[39] تَخْفَرُ وَٱلْغَنَاءُ يَطِيبُ وَٱلثَّوَابُ يُوفَرُ، وَقَدْ حَضَرَنِي[40] قَوْمٌ فَاسْتَحْسَنُوا هَذَا ٱلْمَأْخَذَ جِدّاً، وَحَضَرَنِي شَيْءٌ فَقُلْتُ. لَهُمْ لَنْ تَجِدُوا مِنْ قَبُولِ هَذَا بُدّاً، جَزَاءً بِمَا أَنْصَفْتُمُ ٱلصَّادِقِينَ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْخَلَفِ لِلْمُتَّقِينَ.

---

(30) أضاق : أصيب بضيق في رزقه — أعسر.

(31) أقسط : عدل.

(32) قسط : جار وظلم.

(33) خفرته : أجرته.

(34) أخفرته : نقضت عهده.

(35) سخمت : سودت به وجهك.

(36) غير واضحة في الأصل، الورقة : 85.

(37) خفرت : استحيت.

(38) الحصان : المرأة التي تحصن نفسها.

(39) الخرصان : الدروع.

(40) حضرني قوم : شهدني.

أَحْضَرَ[41] ٱلْغُلاَمُ وَٱلْفَرَسُ، فَحَسُنَ مِنَ ٱلْغُلاَمِ ٱلإِحْضَارُ وَأَبَانَ ٱلْفَرَسُ أَنَّهُ لاَ يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ[42].

كَفَأْتُ[43] إِنَائِي فِي ٱللَّيْلِ ٱلْغَاسِقِ اِمْتِثَالاً لأَمْرِ ذِي ٱلْفَضْلِ ٱلْبَاسِقِ وَأَكْفَأْتُ فِي ٱلشِّعْرِ فَلَمْ يَكُنْ بِٱلْمُتَنَاسِقِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْكَبَ ٱلْيَوْمَ إِكْفَاءٌ فَمَا عَلَى قُبْحِهِ خَفَاءٌ، وَهَلْ جَنَاهُ إِلاَّ أَعْرَابِيٌّ جَاهِلٌ أَوْ ٱلْمَعِيُّ مُتَسَاهِلٌ، وَٱلشِّعْرُ مِيزَانٌ لاَ يَحْسُنُ فِيهِ إِلاَّ أَنْ تَتَنَاسَبَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ قَوَافِيهِ وَإِقْوَاؤُهُ مُنَفِّرٌ لِلآذَانِ، وَدَاعٍ لإِبْطَاءِ ٱلإِذْنِ عِنْدَ ٱلإِسْتِئْذَانِ.

حَصَرْتُ[44] رَجُلاً فِي دَارِهِ فَعَذَّرْتُهُ[45] مِنْ أَوْطَارِهِ، مَا حَصَرْتُهُ إِلاَّ لِجِنَايَةٍ أَوْجَبَتْ حَصْرَهُ، وَلَوْ كَانَ مَظْلُوماً لَخَشِيتُ أَنْ يَتَوَلَّى ٱللَّهُ نَصْرَهُ. رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ. وَإِذَا أُحْصِرَ[46] ٱلْحَاجُّ مَرَضٌ فَمَا عَلَيْهِ مُعْتَرِضٌ، يُقِيمُ حَيْثُ أُحْصِرَ حَتَّى يَأْذَنَ ٱللَّهُ وَيُيَسِّرَ. كَمْ أَدْلَجْتُ[47] فِي ٱلْبَاطِلِ وَادَّلَجْتُ[48]، وَتَقَحَّمْتُ عَلَى ٱلْقَبِيحِ وَتَوَلَّجْتُ[49] [فَمَا][50] أَغْنَى عَنِّي فِي رَيِّقِ ٱللَّيْلِ ٱلإِدْلاَجُ، وَلاَ بُورِكَ لِي فِي آخِرِهِ ٱلإِدْلاَجُ، وَإِنَّمَا ٱلْغَنَاءُ لِلطَّاعَةِ وَٱلْبَرَكَةِ فِي ٱلإِسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِ ٱللَّهِ جُهْدَ ٱلإِسْتِطَاعَةِ.

---

(41) أحضر : عدا وتسابق.

(42) في **فصيح ثعلب** المطبوع بتحقيق الدكتور عاطف مدكور، ص 274 زيادة خمسة أسطر لم ترد في **جهد النصيح** ولا في **تحفة المجد الصريح**، ص 236 ولم ترد كذلك في **شرح الفصيح** للهروي ولا في النسخة المطبوعة بألمانيا 1876 في ليبزج كما لم ترد في **التصريح بشرح غريب الفصيح** لأبي العباس التدميري، ص 21.

(43) كفأت إنائي : قلبته.

(44) حصرت الرجل : حبسته.

(45) فعذرته : فمنعته.

(46) أحصر : منعه من السير.

(47) أَدْلَجْتُ : سرت في أول الليل.

(48) إِدَّلَجْتُ : سرت في آخره.

(49) تولجت : دخلت.

(50) في الأصل «فمى» الورقة : 85.

ظَاهَرَتْ عَلَيَّ خُطُوبُ ٱلأَيَّامِ ٱلْكَسَلَ، فَأُعْقَدْتُ(51) [لِاسْتِدْفَاعِهِ](52) ٱلْعَسَلَ لِمَكَانِ ٱلِاسْتِئْنَاسِ بِمَا جَعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ مِنَ ٱلشِّفَاءِ لِلنَّاسِ، فَحَلَّ مُعْقَدُهُ عَنِّي ذَلِكَ ٱلْعَارِضَ، وَأَمِنْتُ فِي عَمَلِي ٱلنَّاقِدَ وَٱلْمُعَارِضَ، فَلاَ تُنْكِرْ أَنْ يَكُونَ ٱلشُّهْدُ ٱلْعَقِيدُ(53) يُنْصِفُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلأَمْرَاضِ وَيُقَيِّدُ. وَإِذَا عَقَدْتَ ٱلْحَبْلَ فَأَبْرِمْهُ، وَإِذَا عَقَدْتَ ٱلْعَهْدَ فَالْتَزِمْهُ، فَإِنَّ كَرَمَ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلإِيمَانِ، وَأَنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ ٱلْعَبْدُ عَمَلاً أَنْ يَسْلُكَ فِيهِ سَبِيلَ ٱلإِتْقَانِ [كِلاَ](54) ٱلْحَبْلَيْنِ مَعْقُودٌ وَٱلْوَهَنُ فِي ذَلِكَ أَوِ ٱلرَّفْضُ مَنْقُودٌ(55). إِذَا أَصْفَدْتَ(56) مُعْدِماً فَلاَ تَبِتْ عَلَى إِصْفَادِهِ مُتَنَدِّماً، فَإِنَّ إِعْطَاءَكَ ذَا ٱلْخَلَّةِ(57) يَدْفَعُ ٱلْبَلاَءَ وَقَدْ هَاجَ مُحْتَدِمًا، وَلاَ عَلَيْكَ بَعْدُ إِنْ تَبَيَّنْتَ أَنَّ ٱلْمُصْفَدَ لاَ يَسْتَحِقُّ ٱلصَّفَدَ، إِذَا كُنْتَ أَخْلَصْتَ ٱلنِّيَّةَ أَوَّلاً، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي عَمَلِكَ سِوَى وَجْهِ ٱللَّهِ مُعَوَّلاً.

صَفَدْتُ(58) ٱلأَسِيرَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ مَصْفُوداً أَنْ يَسِيرَ، إِنَّمَا هُوَ مَالٌ يُحَاطُ وَقَدْ وَقَعَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ هَذَا ٱلِاحْتِيَاطُ، حَتَّى أُسْهِرَ رَسُولَ ٱللَّهِ أَنِينُ ٱلْعَبَّاسِ(59)، وَعُلِمَ ذَلِكَ فَابْتَدَرَ ٱلتَّخْفِيفَ عَنْهُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ. أَفْصَحَ(60) ٱلأَعْجَمِيُّ وَفَصُحَ(61)

(51) أعقدت العسل : طبخته حتى خثر.
(52) كلمة مطموسة في الأصل، الورقة : 85.
(53) المعقد والعقيد : صفة للعسل المطبوخ.
(54) في الأصل «كلي» الورقة : 85.
(55) منقود : معاب، من نقد الشيء إذا عابه.
(56) أصفدت : أعطيت مالا.
(57) الخلة : الحاجة.
(58) صفدت الأسير : قيدته وأوثقت يده إلى عنقه.
(59) العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.
(60) أفصح الأعجمي : إذا تكلم اللغة العربية.
(61) فصح اللحان : صار مغربا وحسنت لغته، واللحن أن تريد قولا وتوري عنه بقول آخر.

ٱللَّحَانُ، تَصْلُحُ بِالْأَلْسِنَةِ إِذَا طَالَ بِهَا ٱلإِمْتِحَانُ[62]. لَمَمْتُ[63] شَعَثَ ٱلْخَيْلِ وَقَدْ يُكْتَفَى فِي لَمِّهِ بِٱلْقَلِيلِ. أَلْمَمْتُ[64] بِهِ فَغَمَّنِي غَمُّهُ فَأَقْبَلْتُ أَلُمُّ أَمْرَهُ وَأَرُمُّهُ[65]، حَمِدْتُ[66] جُهْدِي ٱلْمُحْسِنَ، وَرُبَّ فَضْلٍ يُخْرِسُ ٱللَّسِنَ، وَأَحْمَدْتُهُ[67] عَلَى طُولِ ٱلإِخْتِبَارِ، فَأَرْبَى ٱلْخُبْرُ عَلَى ٱلإِخْبَارِ. إِنْ أَصْحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَلاَبُدَّ أَنْ تُغَيِّمَ، لاَ غِنَى لِلْمُصْحِيَةِ أَنْ تُمَارِسَ ٱلتَّغْيِيمَ بَيْنَا ٱلسَّمَاءُ مُصْحِيَةً عَنَّتِ ٱلسُّحُبُ مُنْتَحِيَةً، فَتَغَيَّمَ ٱلْجَوُّ بَعْدَمَا أَصْحَى، وَأَظْلَمَ ٱلنَّهَارُ فَتَغَيَّرَتْ بَشَاشَةُ ٱلضُّحَى، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ مَا يُزْهِرُ ٱلأَرْضَ بَعْدَ ٱلإِقْشِعْرَارِ وَيُكَثِّرُ ٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ بَعْدَ أَنْ كَثُرَ فِي ٱلنَّاسِ بَنُو آكِلِ ٱلْمُرَارِ. صَحَا ٱلسَّكْرَانُ مِنْ سُكْرِهِ فَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نُكْرِهِ، لَعَلَّهُ إِنْ نَدِمَ وَهُوَ صَاحٍ أَنْ لاَ يُسِيءَ بَعْدُ إِلَى نُصَّاحٍ، وَإِذَا أَقَلْتَ[68] ٱلنَّادِمَ بَيْعَتَهُ [تَرَتَّبَ لَكَ][69] أَجْرٌ مَا حَفِظْتَ ضَيْعَتَهُ، فَلْتَدُمْ عَلَى إِقَالَةِ ٱلنَّادِمِينَ، وَإِذَا قِلْتَ[70] فِي ٱلْمَصِيفِ أَحْسَنْتَ إِلَى ٱلْبَدَنِ ٱلنَّحِيفِ، فَإِنَّ ٱلْقَيْلُولَةَ تُنْعِشُ ٱلأَجْسَامَ ٱلنَّحِيلَةَ وَتُخَفِّفُ فِي ٱللَّيْلِ ٱلأَوْرَادَ ٱلثَّقِيلَةَ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُصْلِحِينَ.

أَكْنَنْتُ[71] سِرِّي خَوْفَ غَائِلَةِ ٱلإِعْلاَنِ، أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلسِّرَّ مِنَ ٱلْخُلاَّنِ، لاَ نُكْرَ وَأَنَا بِهِ أَسْمَعُ أَنَّ ٱلَّذِي يُسْتَوْدَعُهُ أَشْهَرُ لَهُ وَأَفْضَحُ وَإِذَا أَكْنَنْتَ ٱلسِّرَّ

---

(62) يشير إلى استعمال العرب للحن في المواقف المحرجة التي يتعرض لها الشخص. ولأبي الربيع مؤلف في هذا الموضوع سماه : «مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن».

(63) لممت شعثه : إذا أصلحت أمره.

(64) ألممت به : إذا أتيته وزرته.

(65) أرم : أصلح ما أفسد منه.

(66) حمدت : شكرت.

(67) أحمدت : رضيت.

(68) أقلت : نقضت وأبطلت.

(69) مطموسة في الأصل، الورقة : 86.

(70) قلت : نمت وقت القيلولة.

(71) أكننت : أخفيت.

[بَذْءاً][72] وَكَنَنتَ[73] مَنْ غَدَوْتَ لَهُ مِنَ ٱلْعِيَالِ رِدْءاً[74]، فَعَسَى أَنْ تَجِدَ مِنْ سَلاَمَةِ ٱلْمَوَارِدِ وَٱلْمَصَادِرِ، مَا لاَ يُوجَدُ ٱلْيَوْمَ إِلاَّ فِي ٱلنَّادِرِ، دَاءُ ٱلنَّاسِ عَيَاءٌ، لَيْتَ شِرَارَهُمْ أَمْوَاتٌ لاَ أَحْيَاء. إِنْ أَدِنْتَ[75] مِنْهُمْ أَحَداً، لَمْ يُقْنِعْهُ أَنْ لاَ تَتَقَاضَاهُ مِنْهُ أَبَداً، وَإِنْ كُنْتَ ٱلَّذِي دِنْتَ لَمْ يَرْتَقِبْ بِكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ أَدَنْتَ مَدَى وَرُبَّمَا ضِفْتَهُ[76] فَتَنَمَّرَ وَأَضَفْتَهُ[77] فَاحْتَقَرَ احْتِفَالَكَ [لَهُ][78] وَاسْتَنْزَرَ، وَلَمْ يَسْتَحْيِ وَقَدْ قَطَعَ لَيْلَهُ خَضْماً[79] وَقَضْماً أَنْ يَقُولَ مَا لَحَمْتُ[80] عِنْدَهُ عَظْمَا، وَإِنْ آنَسَ ٱلتَّبْرِيزَ فِي ٱلشَّرِّ مِنْ إِنْسَانٍ قَالَ لَهُ قَدْ أَلْحَمْتُكَ[81] عِرْضَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُ جَهِلَ مِنِّي ٱلْقَدْرَ وَأَمْلَحَ[82] لِي ٱلْقِدْرَ، فَأَوْغَرَ مِنِّي الصَّدْرَ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَلَحْتُهَا[83]. فَمَا حِيلَتِي فِي مَنْ يَدَّعِي ٱلإِفْسَادَ وَقَدْ أَصْلَحْتُهَا وَأَقَلُّ [مَا يَلْقَى][84] مِنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلَّتِي لاَ تُفْلِحُ، أَنْ تَغِثَّ هَذِهِ ٱلْغَثَاثَةَ فَتَقُولَ إِنَّكَ لاَ تُمْلِحُ ٱلْقِدْرَ لِضِيفَانِكَ وَلاَ تُصْلِحُ فَكَيْفَ بِمَا سِوَى هَذَا مِنَ ٱلأَشْيَاءِ ٱلْقَابِلَةِ لِلإِسْرَافِ وَٱلإِغْيَاءِ[85]، وَإِنَّمَا ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ بِئْرٌ فِيهَا حَباً[86] كَثِيرٌ فَمَتَى أَدْلَيْتَ[87] دَلْوَكَ لِتَمْلأَهَا لَمْ تَجِدْ فِيهَا

---

(72) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(73) كننت : سترت بشيء.

(74) ردءا : عونا.

(75) أدنت : بعت بدين.

(76) ضفته : نزلت به ضيفا.

(77) أضفته : أنزلته عليك ضيفا.

(78) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(79) خضما : الأكل بأقصى الأضراس.

(80) أخذت ما عليه من حلم.

(81) ألحمتك عرض فلان : أمكنتك من شتمه.

(82) أملح القدر : أفسدها بالملح الوائد.

(83) ملحتها : وضعت فيها قدرها من الملح.

(84) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(85) الإغياء : التضليل والافساد.

(86) حباً : عطاء.

(87) أدليت : أرسلت دلوك في البئر.

إِذَا دَلَوْتَهَا[88] إلاَّ حَمأَهَا، وَقَدْ نَفَّضْتُ لَكَ يَا هَذَا مَكَامِنَكَ وَمَسَاحِبَكَ، فَهَلْ أَحْسَسْتَ[89] صَاحِبَكَ، خَسَّهُمُ[90] ٱللَّهُ بِطَاعُونٍ جَارِفٍ وَمَسَّهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ جَبَّارٍ بِهِمْ عَارِفٍ، وَأَجْبَرَهُمْ عَلَى ٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْقَبِيحِ فَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يُكَلَّفُونَ، وَلاَ جَبَرَ[91] مِنْهُمْ فَقِيراً وَلاَ عَظْماً كَسِيرًا، كِفَاءَ مَا يَهِيمُونَ بِهِ مِنَّ ٱلشَّرِّ وَيَكْلَفُونَ، فَاَعْجَبْ لِمَنْ لاَ يَكُفُّ عَنِ ٱلإِسْتِظْهَارِ بِٱلرَّذَائِلِ إِلاَّ مُجْبَراً وَمَنْ يُضْطَرُّ فِيهِمْ أُولُو ٱلْفَضَائِلِ إِلَى ٱلْجُؤَارِ فِي أَنْ لاَ يُرَى مِنْهُمْ مَجْبُورًا، مَنْ كَانَ فَقِيراً أَوْ مُكَسَّرًا، وَأَلاَّ يُعْدَمُوا مِنَ ٱلأَيَّامِ وَأَهْلِهَا خُلُقاً عَنِيفًا، مَا كَنَفَ[92] أَهْلُ ٱلْوَبَرِ حَوْلَ ٱلْغَنَمِ كَنِيفًا، فَلاَ أَكْنَفَهُمُ[93] ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي إِلَى كَنَفِهِ نَأْوِي، وَلَدَيْهِ يَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ وَإِلَيْهِ تَرْتَفِعُ ٱلدَّعَوَاتُ وَٱلدَّعَاوِي، وَإِنِّي لأَرْجُو مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ أَلاَ يُرِيَ مِنْهُمْ مُكْنَفٌ، وَلاَيَزَالُ لَهُمْ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ شَنَفٌ[94]، فَقَدْ عَجَمْتُ[95] عُودَهُمْ أَزْمَانًا، فَمَا وَجَدْتُ عِنْدَهُمْ طُولَ مَا أَعْجُمُهُ لِمُسْلِمٍ أَمَانًا، فَلِهَذَا أَعْجَمْتُ[96] فِيهِمْ كِتَابِي هَذَا، وَمَا كُنْتُ لأُوذِيَ إِلاَّ مَنْ أَذَى، فَثِقْ بِمَا تَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا ٱلْمُعْجَمِ، فَلَيْسَ بِٱلظَّنِّ ٱلْمُرَجَّمِ، وَلَكِنَّهُ ٱلْيَقِينُ أَبَى ٱلْعِذْرَةَ عَنْهُ ٱلْحَقِينُ[97] فَلاَ تَكَرَّرَ عَلَيْهِمْ بَعْدَهَا سَبْتٌ، وَلاَ نَجَمَ[98] لِبَنِيهِمْ سِنٌّ وَلاَ لِمَوَاشِيهِمْ[99] قَرْنٌ وَلاَ

---

(88) دلوتها : أخرجتها من البئر.

(89) أحسست صاحبك : علمت به وأبصرته.

(90) خسهم : قللهم ولم يوفرهم.

(91) جبر : خلاف كسر.

(92) كنف حول الغنمَ : وضع عليها حضيرة.

(93) أكنفهم : أعانهم.

(94) شنف : بغض.

(95) عجمت عودهم : إذا عضضته لاختبره.

(96) أعجم : لم يفصح.

(97) من أمثال العرب «أبى الحقين العذرة» وأصله أن رجلا استسقى انظر مجمع الأمثال : 42/1، فصل المقال، 54، 74.

(98) نجم السن : طلع.

(99) في الأصل : لغواشيهم، الورقة : 87.

فِي أَرَضِيهِمْ نَبْتٌ، وَإِذَا اسْتَقْبَلَهُمْ وَفْدُ ٱلسَّحَابِ فَأَنْجَمَ[100] قَبْلَ ٱلانْسِكَابِ، فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَعُواْ مِنَ ٱلْمَذَامِّ مَا لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلأَقْلاَمُ تَفْصِيلَهُ، فَلْنَكُفَّ عَنْهُمْ بَعْدُ حَتَّى يَقُولَ فِي ذَلِكَ مَنْ شَاءَ قَدْ أَنْجَمَ ٱلْبَرْدُ، ثُمَّ نَعُودَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ إِلَى نَسَقِ مَا تَقَدَّمَ لَهُ ٱلسَّرْدُ.

أَيُّهَا ٱلْمُولَعُ بِٱلْقَنَصِ يَرْمِيهِ، وَٱلْعَدُوِّ يُدْمِيهِ، إِذَا رَمَيْتَ ٱلصَّيْدَ فَسَمِّ إِلاَهَكَ، وَإِذَا رَمَيْتَ ٱلْعَدُوَّ فَاجْعَلِ ٱلإِسْتِعَانَةَ بِٱللَّهِ تُجَاهَكَ، فَٱلصَّيْدُ لِمَنِ اعْتَادَهُ شَهِيٌّ، وَلَكِنَّهُ مَحْظُورٌ مَا لَمْ تُسَمِّ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ سَمِيٌّ، وَثَوَابُ سَهْمٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ عَظِيمٌ وَبِمَعُونَةِ خَالِقِكَ يَسْهُلُ صَعْبٌ وَيَتَيَسَّرُ مَرُومٌ[101]، وَإِذَا نَالَتْ يَدُكَ ٱلْعَدُوَّ فَأَرْمَيْتَهُ فَخَيِّرْ ضَاعَفْتَهُ، وَأَجْرٌ أَنْمَيْتَهُ، صَدَقْتُكَ ٱلْحَدِيثَ فَاعْمَلْ عَلَيْهِ تُحْرِزِ ٱلثَّوَابَ ٱلطَّيِّبَ وَتَقْتُلِ ٱلْخَبِيثَ. إِذَا أَصْدَقْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَوَفِّ صَدَاقَهَا، وَوَازِ بِهِ اسْتِحْقَاقَهَا، فَإِنْ بَرِئْتَ بِهِ إِلَيْهَا أَخْلَصَكَ ذَلِكَ وَأَبْرَأَكَ، وَإِنْ طَابَتْ لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلْهُ هَنَاكَ يَا هَذَا وَمَرَاكَ، وَإِنْ أَنِفْتَ مِنْ قَبُولِ هِبَتِهَا وَأَبَيْتَ إِلاَّ إِعْطَاءَ [ذَهَبِيَتِهَا][102] فَأَنْتَ بِرَأْيِكَ أَمْلَكُ وَيَحْسُنُ بِذِي ٱلْهِمَّةِ هَذَا ٱلْمَسْلَكُ، وَلَيْسَ ٱلْغِنَى شَرْطاً فِي مَا يَقَعُ مِنْ هَذَا ٱلْجِنْسِ، إِنَّمَا ٱلْغِنَى غِنَى ٱلنَّفْسِ، رُبَّمَا تَرِبَ[103] ٱلْغَنِيُّ فَمَا تَغَيَّرَ خُلُقُهُ ٱلسَّنِيُّ وَأَتْرَبَ[104] ٱلْفَقِيرُ فَلَمْ يَرْتَفِعْ قَدْرُهُ ٱلْحَقِيرُ، وَٱلْمَالُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ٱلْجَمَالُ فَأُبَّهَةُ ٱلْجَلاَلِ إِنَّمَا تَكُونُ مَنُوطَةً بِٱلْخِلاَلِ، فَاجْعَلْنَا ٱللَّهُمَّ مِنَ ٱلأَمْجَدِينَ إِذَا نَظَرْتَ[105] ٱلصَّلاَةَ كُنْتَ فِي عِدَادِ ٱلْمُحَافِظِينَ ٱلْمُتَّقِينَ، وَإِنْ أَنْظَرْتَهَا[106] عَنْ مِيقَاتِهَا فَتِلْكَ صَلاَةُ ٱلْمُنَافِقِينَ فَإِيَّاكَ وَٱلإِنْظَارَ،

---

(100) أنجم : أقلع عن الانسكاب.

(101) مروم : مرام ومقصد.

(102) غير واضحة في الأصل، الورقة : 87.

(103) ترب : افتقر.

(104) أترب : استغنى وكثر ماله.

(105) نظرت : انتظرت.

(106) أنظرتها : أجلتها.

وَانْتَظِرْهَا أَبَداً تَحْمَدِ ٱلإِنْتِظَارَ، فَلَنْ يَزَالَ ٱلْعَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتِ ٱلصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ وَلَنْ يَسْتَوْحِشَ أَبَداً مَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ ٱلصَّالِحَةُ تُؤَنِّسُهُ، وَٱلصَّلاَةُ هِيَ أُمُّ ٱلأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَاتِ، وَرَأْسُ مَالِ ٱلْمَتَاجِرِ ٱلرَّابِحَاتِ أُسُّ ٱلْبَرَكَاتِ ٱلْغَادِيَاتِ ٱلرَّائِحَاتِ، وَقَدْ أَعْجَلْتُكَ(107) فِي أَدَائِهَا وَعَجِلْتُكَ(108) فِي تَجْهِيزِ هَذِهِ ٱلْفَوَائِدِ إِلَيْكَ وَإِهْدَائِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا أَقَامَ ٱلنَّاسُ حُقُوقَ خَالِقِهِم ٱلْكَرِيمِ، وَشَكَرُوا إِنْعَامَ رَازِقِهِم ٱلرَّؤُوفِ ٱلرَّحِيمِ إِلاَّ دَرَّتِ ٱلأَمْطَارُ وَمَدَّتِ ٱلأَنْهَارُ، وَمَدَّ بَعْضُهَا بَعْضاً فَزَكَتِ ٱلأَرَضُونَ وَرَخُصَتِ ٱلأَسْعَارُ، وَأَمَدَّ ٱللَّهُ جُيُوشَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَدَدٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُسَوَّمِينَ يَفُلُّونَ(109) ٱلْحَدَّ وَيَصْدُقُونَ ٱلْجِدَّ، وَمَا انْدَمَلَ لَهُمْ جُرْحٌ فِي ٱلأَعْدَاءِ وَلاَ أَمَدَّ(110)، فَغُلِبَ ٱلْعَدُوُّ فِي أَدْنَى ٱلأَرْضِ وَأَنْآهَا وَلَمْ يَصِلِ ٱلأَمَلُ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ غَايَةً إِلاَّ تَجَاوَزَهَا إِحْسَانُهُ سُبْحَانَهُ وَشَاءَهَا. مَا آثرت(111) عَلَيْكَ أَحداً وَلاَ أُوثِرُهُ، وَلِذَلِكَ أَثَرْتُ(112) لَكَ هَذَا ٱلْحَدِيثَ وَلاَ أَزَالُ آثُرُهُ، فَاسْمَعْ مِنِّي حَقّاً، وَلَوْ أَثَرت(113) عَنِّي ٱلتُّرَابَ وَقَدْ أَدَارَ ٱللَّهُ عَلَى رِمَّتِي ٱلأَحْقَابَ لَمَا وَجَدْتَ حِينَ تُثِيرُهُ إِلاَّ نُصْحاً لَكَ وَصِدْقاً. وَعَدْتُكَ خَيْراً فَهَلْ وَفَيْتُ وَلَوْ وَعَدْتُكَ خَيْراً وَشَرّاً لَنَكَلْتُ(114) عَنِ ٱلشَّرِّ وَاسْتَعْفَيْتُ غَيْرِي مَنْ أَوْعَدَكَ فَأَنْجَزَ وَعِيدَهُ وَمَا أَحْتَاجُ أَنْ أُكَرِّرَ عَلَيْكَ هَذَا وَلاَ أُعِيدَهُ، وَإِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَانٌ وَٱلإِخْوَةُ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْوَانٌ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ أَمِنَتْ مَوَدَّتُهُمْ عَارِضَ ٱلرَّيْبِ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾(115).

---

(107) أعجلتك : استعجلتك.

(108) عجلتك : سبقتك.

(109) يفلون : يثلمون.

(110) أمد الجرح : فتح عنه مدة بكسر الميم وهو ما يجتمع في الجرح من القيح.

(111) آثرت : فضلت.

(112) أثرت لك الحديث : رويته لك.

(113) أثرت عني التراب : رميته وأزلته.

(114) نكلت : نكصت عن الشر ورجعت عنه.

(115) الآية 49 من سورة الأنبياء.

7 ــ بَابُ أَفْعَلَ

آلَيْتُ لاَزِلْتُ عَلَى فَضْلِ ٱللَّهِ مُتَّكِلاً، مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلْقَدَرِ فَلَيْسَ عِنْدِي مُشْكِلاً، كُلُّ مَا قُدِّرَ لِي فَهُوَ إِلَيَّ وَاصِلٌ وَمَا مُنِعَ عَنِّي فَلاَ سَبِيلَ لِي إِلَيْهِ وَلَوْ أُرْعِفَتْ[1] عَلَيْهِ ٱلْمَنَاصِلُ[2]، رَضِيتُ بِٱلْقَدَرِ أَمَرَّ أَوْ أَحْلَى، وَمَهْمَا تَمَاثَلَتْ فِي خَاطِرِي ٱلأَشْيَاءُ فَرَبِّي سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَى. إِنْ وَجَدْتُ ٱلشَّيْءَ مُمِرًّا فَسَائِقُ ٱلْقَدَرِ صَيَّرَهُ مُرّاً هَذَا ٱلَّذِي أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ فِي شَأْنِ ٱلْقَدَرِ ٱلْبَابَ، وَهَجَرْتِ ٱلإِقْبَالَ عَلَى خِلاَفِهِ وَٱلإِكْبَابَ، وَهَاكَ بَابَهُ مُغْلَقاً فِي وُجُوهِ ٱلشُّكُوكِ فَلاَشَكَّ وَلاَ ٱرْتِيَابَ، فَدَعْ مَنْ خَالَفَ هَمَلاً[3] غُفْلاً[4]، قَدْ أَقْفَلَ ٱللَّهُ عَلَى بَصِيرَتِهِ قُفْلاً وَلَعَلَّ ٱللَّهَ يَفْتَحُ مُقْفَلَهُ، وَيَدُلُّهُ بِهِدَايَتِهِ عَلَى مَا أَغْفَلَهُ فَيُصْبِحُ مُؤْمِناً بِٱلْغَيْبِ، وَيَغْدُو وَقَدْ أَعْتَقَتْهُ[5] ٱلْقُدْرَةُ مِنْ رِقِّ ٱلرَّيْبِ، فَيَا لِمُعْتَقٍ لاَ وَلاَءَ عَلَيْهِ لِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، عَتَقَ[6] بَعْدَ طُولِ ٱلتَّخَبُّطِ مِنَ ٱلشَّكِّ فِي أَوْثَقِ شَرَكِ ٱلرِّقِّ، أَبْغَضْتُهُ[7] قَبْلُ، فَٱلآنَ لاَ أُبْغِضُهُ. مَنْ هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ ظَلَمَهُ مُبْغِضُهُ، إِنَّمَا ٱسْتَبَحْتُ ذَلِكَ فِيهِ إِنْ بَغُضَ[8]، وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ يَوْمَ صَدَّ عَنِ ٱلْحَقِّ وَأَعْرَضَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ

---

(1) أرعفت : أعجلت.

(2) المناصل : جمع منصل وهو السيف.

(3) هملا : ضالا غير مهتدي.

(4) غفلا : المقيد الذي أغفل فلا يرجى خيره ولا يخشى شره.

(5) أعتقته : حررته.

(6) عتق : صار حرا.

(7) أبغضته : مقته.

(8) بغض : صار بغيضا.

أَقْبَلْتُ، وَحِينَ قَبِلَ ٱلصَّوَابَ رَضِيتُ وَقَبِلْتُ، وَمَنْ أَسَفَّ[9] فِي ٱلدِّينِ لِمِثْلِ ذَاكَ ٱلرَّأْيِ ٱلدَّنِيِّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱلإِنْكَارَ مِنَ ٱلسَّنِّيِّ، وَلْيَشُدَّ بَصِيرَتَهُ بِقَوْلِ ٱلأَعْوَرِ ٱلشَّنِّيِّ[10] :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّ ٱلأُمُورَ ... بِكَفِّ ٱلإِلٰهِ مَقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِآتِيكَ مَنْهِيُّهَا ... وَلاَ قَاصِرٍ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

[المتقارب]

وَإِذَا أَسَفَّ[11] ٱلطَّائِرُ، أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ٱلدَّوَائِرُ[12]، فَأَمْكَنَ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ ٱلْمُقْعَدُ، وَهَوَى إِلَيْهِ ٱلصَّغِيرُ فَلَمْ يُمْهِلْهُ يَصْعَدُ. أَسْفَفْتَ[13] ٱلخُوصَ أَيُّهَا ٱلزَّاهِدُ، تَجْهَدُ فِي طَلَبِ ٱلْحَلاَلِ وَتُجَاهِدُ، فَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَرَعْيُكَ كُلُّ قَلْبٍ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ، بَرَزَ ٱلْجُنْدُ إِلَى ٱلْمُغَارِ[14] ثُمَّ قَفَلُوا بِأَشْبَالِ ٱلأَقْتَالِ[15] فِي رِبْقِ ٱلإِسَارِ[16]، وَأَغْلاَلِ ٱلذِّلَّةِ وَٱلصَّغَارِ، أَأَنْتَ أَقْفَلْتَهُمْ[17] بِٱلْغَنَائِمِ أَمْ ذَلِكَ صُنْعُ ٱلْقَائِمِ ٱلدَّائِمِ. إِذَا أَنْشَرَ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَى فَنَشَرُوا، وَجُمِعَ ٱلْخَلاَئِقُ وَحُشِرُوا، يَئِسَ ٱلْمُبْطِلُونَ بِمَا أَشِرُوا[18]،

---

(9) أسف للأمر : إذا دخل فيه.

(10) البيتان للأعور الشني نسبة إلى قبيلة شن بن أقصى بن عبد القيس واسمه بشر بن منقذ. كان حيا في عهد علي بن أبي طالب.
الشعر والشعراء، ص 534، والبيتان في : فصل المقال، ص 286، وفي شواهد المغني، ص 873، 255، 930، وفي سيبويه : 31/1 برفع «قاصر» وبين البيتين بيت هو :
فَمِنْهُ إِذَا شَاءَ تَيْسِيرُهَا ... وَمِنْهُ إِذَا شَاءَ تَعْسِيرُهَا

(11) أسف : دنا.

(12) الدوائر : الدواهي.

(13) أسففت : نسجت.

(14) المغار : موضع الغارة.

(15) الأقتال : الأعداء.

(16) الأسار : الأسر والسجن.

(17) أقفلتهم : أعدتهم.

(18) أشروا : بطروا.

وَفَرِحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِلِقَاءِ ٱللَّهِ وَاسْتَبْشَرُوا. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

أَمْنَى ٱلنَّاكِحُ لَيْلَةَ ٱلزِّفَافِ، مَنَعَهُ أَنْ يُمْنِيَ قَبْلَ ذَلِكَ حُكْمُ ٱلْعَفَافِ، فَأَنْتَجَ ٱللَّهُ بِقُدْرَتِهِ مِنَ ٱلْمَنِيِّ نَسْلاً كَرِيماً، وَأَبْقَى لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا بِٱلْعَقِبِ ٱلسَّنِيِّ فَخْراً عَظِيماً. سُبْحَانَ مَنْ وَلَّدَ ذَلِكَ ٱلشَّرَفَ ٱلأَسْنَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ لَيَسِيرُ، وَإِنَّهُ لَعَزِيزٌ قَدِيرٌ.

ضَرَبْتَ بِٱلسَّيْفِ فَمَا أَحَاكَ[19]، ظَلَمَكَ مَنْ بِٱللَّوْمِ انْتَحَاكَ[20]، هَلِ ٱلسَّيْفُ إِلاَّ حَدِيدَةٌ إِنْ خَلَقَ ٱللَّهُ فِيهَا ٱلْقَطْعَ مَضَتْ، وَإِنْ مَنَعَهَا ذَاكَ نَبَتْ عَنْ ضَرِيبَتِهَا وَانْقَبَضَتْ، فَمَا أَمَضَّ[21] لَهَا جُرْحٌ جَسَداً، فَلِمَ أَمَضَّكَ قَوْلُ ذِي غِمْرٍ[22] يَتَفَقَّأُ[23] حَسَداً، وَلَوْ مَضَّنِي قَوْلٌ مِنْ حَاسِدٍ غَبِيٍّ لَمَا وَجَدْتُ حِيناً لَذَّةَ عَيْشٍ مَرْضِيٍّ، وَلَكِنِّي أَلْوِي عَلَى ذَاكَ كَشْحاً[24]، وَأَضْرِبُ عَنِ ٱلْجَاهِلِ صَفْحاً، فَلاَ تَنْسَخْ رَاحَتُكَ أَيْناً أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِكَ عَيْناً.

إِذَا أَيْدَيْتَ[25] عِنْدَ رَجُلٍ يَداً فَلاَ تُرَيَنَّ تَعُدُّهَا فَٱلْمِنَّةُ تَهْدِمُ ٱلْعَارِفَةَ[26] وَتَهُدُّهَا، دَعْهُ يَكْفُرُهَا إِنْ شَاءَ، وَخَلِّ وَسْمَهَا فِي عُنُقِهِ لاَ يَزُولُ مَا تَقَدَّمَ ٱلنَّهَارُ ٱلْعِشَاءَ، كَذَلِكَ فَلْتَفْعَلْ لاَ أَعَلَّكَ ٱللَّهُ، وَلاَ تُبَالِ بِمَنْ سَتَرَ ٱلْجَمِيلَ وَأَخْفَاهُ، أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَرْخَيْتَ عَلَيْهِ سِتْرَ ٱلإِحْسَانِ فَدَعْهُ مُرْخًى نَسِيئَةَ[27] ٱلزَّمَانِ. فَلَوْ أَغْلَيْتَ

---

(19) أحاك : أثر.

(20) أنتحاك : عرض لك.

(21) أمض : أوجع.

(22) غمر : جاهل.

(23) يتفقأ : ينفلق وينشق.

(24) كشحا : خاصرة وطوى على ذلك كشحا إذا أضمره وستره.

(25) أيديت : قدمت له نعمة أو معروفا.

(26) العارفة : المعروف.

(27) نسئة : مؤجل.

ٱلْمَاءَ وَٱلْقَيْنَةُ عَلَيْهِ مُغْلَى لَكَانَ أَخَفَّ عَلَيْهِ ثِقْلاً، وَأَقَلَّ لِخَاطِرِهِ شُغْلاً، إِنَّمَا هُوَ فِي عِدَادِ ٱلظَّالِمِينَ. وَكَأَنَّكَ وَٱللَّهِ بِمَنَازِلِ ٱلظَّلَمَةِ مُعْرَاةً وَبِدِيَارِهِمْ فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ مُشْتَرَاةً أَوْ مُكْتَرَاةً، وَمَتَى أَكْرَيْتَ دَاراً أَوِ اكْتَرَيْتَ فَأَعِدْ لِهَذَا ٱلْمَعْنَى ذِكْراً، وَلاَ تُنْكِرْ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُكَ بَعْدَكَ مُكْرًى، وَاكْتَفِ بِهَذَا إِنِ اكْتَفَيْتَ وَاطْحَرْ[28] عَنْ عَيْنِكَ عُوَارَ[29] ٱلسِّنَةِ فَقَدْ أَغْفَيْتَ، تُغْفِي قَصْدَ ٱلرَّاحَةِ ٱلْعَيْنُ وَيُحِلُّ بَيْنَ ٱلنَّوْمِ وَٱلْيَقَظَةِ ٱلدَّيْنُ، وَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ وَقَدْ أَرَيْتُكَ جُهْدِي صِرَاطَ ٱلْحَقِّ وَٱلإِيمَانِ يَنْتَهِجُ بِكَ سَبِيلَهُ وَ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[30].

---

(28) طحر : من الفعل طحرت العين قذاها إذا رمت به.

(29) عوار : ذهاب حس العين.

(30) الآية 74 من سورة «المؤمنون».

8 ــ بَابُ مَا يُقَالُ بِحَرْفِ ٱلْخِفْضِ

سَخِرْتُ مِنْ فَاخِرٍ بِمَا لاَ مَفْخَرَ فِيهِ لِلْفَاخِرِ يَعْتَدُّ بِأَمْنِ ٱلْعَاجِلَةِ وَيَنْسَى مَخَاوِفَ ٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، إنْ هَزِئْتُ بِهَذَا فَلاَ نُكْرَ، وَإِنْ نَصَحْتُ لَهُ اسْتَوْجَبْتُ ٱلشُّكْرَ، فَإِنْ شَكَرَ لِي صَنِيعِي، فَنَسَأَ[1] ٱللَّهُ فِي أَجَلِهِ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُ غَائِلَةَ اغْتِرَارِهِ بِحَاضِرِ ٱلْعَيْشِ وَمُعْجَلِهِ، وَإِنْ أَنْسَأَ ٱللَّهُ أَجَلَهُ فَلَمْ يَدَعْ حِرْصَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَلاَ أَمَلَهُ، وَلاَ اسْتَدْرَكَ مَا تَرَكَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ وَأَهْمَلَهُ، فَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةً فِي أَمْرِهِ، وَأَنْ تَتَضَاعَفَ ذُنُوبُهُ بِتَضَاعُفِ عُقُودِ عُمْرِهِ، فَيَا ظَهِيرِي عَلَى نُصْحِ ٱلْمَخْدُوعِ وَسَجِيرِي[2] أَبَداً فِي قَصْدِ ٱلْخَيْرِ وَتَطَلُّبِ ضَالَّةِ ٱلْخُشُوعِ إقْرَأْ عَلَى فُلاَنٍ ٱلسَّلاَمَ إنْ لَقِيتَهُ، وَقُلْ لَهُ أَيَّ مُرْتَقَىً صَعْبٍ رَقِيتَهُ، أَجَعَلْتَ طُولَ عُمُرِكَ إِلَى ازْدِيَادِ ٱلذُّنُوبِ سُلَّمَا، وَنَابَذَكَ ٱلتَّوْفِيقُ فَلَمْ تُرَ لِذَلِكَ مُتَأَلِّمَا، فَكَيْفَ تَكُونُ إنِ انْتَهَيْتَ مُنْتَهَاكَ، وَشَهِدَ عَلَيْكَ ٱلشَّيْبُ بِأَنَّكَ مَا انْتَهَيْتَ حِينَ نَهَاكَ، أَخْشَى أَنْ يَحِيقَ بِكَ مَكْرُكَ ٱلسَّيِّءُ، وَيُورِطُكَ نُكْرُكَ فَيَقْلِّصَ عَنْكَ ظِلُّ ٱلرَّحْمَةِ ٱلْمُتَفَيَّأُ، فَإِذَا زَرَيْتَ[3] عَلَيْهِ جِدّاً وَأَزْرَيْتَ[4] بِهِ إِزْرَاءًا لاَ يَجِدُ مِنَ ٱلتَّأَثُّرِ لَهُ بُدّاً، وَأَحْرَقْتَهُ بِٱلْعِتَابِ وَشَوَّقْتَهُ إِلَى ٱلْمَتَابِ، وَذَهَبْتَ بِهِ فِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلِ مُبْعِداً، وَأَذْهَبْتَهُ فِي أَحْوَازِهَا[5] وَأَجْوَازِهَا[6] سُفْلاً وَصُعُداً فَدَعْهُ لَعَلَّهُ إذَا جَنَّ[7] عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ تَعَرَّضَ مُتَضَرِّعاً إِلَى

---

(1) نسأ : أمد الله في عمره وأخر موته، وكذلك أنسأ.

(2) سجيري : صديقي.

(3) زريت عليه : عبت عليه.

(4) أزريت به : قصدت به.

(5) أحوازها : نواحيها.

(6) أجوازها : أوساطها.

(7) جن عليه الليل : خيم عليه.

ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يُجْزِلُ لِمُتَعَرِّضِهِ كَذَلِكَ ٱلنَّيْلُ فَبَكَى[8] هُنَاكَ مَا أَجَنَّهُ[9] لَيْلُهُ، وَدَعَا[10] طَوِيلاً حَتَّى أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ وَأُذْهِبَ وَيْلُهُ، فَرَبُّكَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَكَرَمُهُ سُبْحَانَهُ لاَ يَخِيبُ فِيهِ لِلآمِلِ ٱلرَّجَاءُ وَلاَ يُرَدُّ لَدَيْهِ لِلْمُضْطَرِّ ٱلدُّعَاءُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِي وَلَكَ شِرْكاً فِي هِدَايَتِهِ وَيَضْرِبَ لَنَا بِسَهْمٍ فِيمَا قَسَمَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، فَإِنِّي لَقَنْتُكَ نُصْحَهُ فَلَقِنْتَ، وَعَلَّمْتُكَ وَجْهَ ٱلأَدَاءِ إِلَيْهِ فَأَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ ٱلتَّابِعِينَ فَتِيلاً، وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلثَّوَابِ مَا يَكُونُ لِثَوَابِ ٱلْقَابِلِ ٱلْمُنِيبِ مَثِيلاً، وَأَنَا دَخَلْتُ بِهِ وَبِكَ هَذَا ٱلْجَنَابَ ٱلأَسْعَدَ وَلاَ مِنَّةَ، فَأَدْخَلَ ٱللَّهُ جَمِيعَنَا ٱلْجَنَّةَ. رَبِّ إِنْ سَهَوْتُ فَلَهَوْتُ[11] فَأَيْقِظْنِي مِنْ سَهْوِي، وَعِظْنِي فِيمَا وَاقَعْتُ مِنْ لَهْوِي، أَلَّهْو وَٱلأَمْرُ جِدٌّ، إِنَّ هَذَا ٱلشَّيْءَ إِدٌّ[12]، أَمَا لَوْ جَدَدْتُ فِي دَارِ ٱللَّعِبِ لَكَانَ ٱلأَمَ لأَمْرِي ٱلْمُنْشَعِبِ، وَلَوْ لَهِيتُ[13] عَمَّا لاَ يُجْدِي لَكَانَ ذَلِكَ أَحْرَى بِتَخْفِيفِ وَجْدِي، فَاسْتَأْنِفْ يَا قَلْبِ إِيمَاناً وَارْجُ مِنْ خَالِقِكَ عَفْواً وَأَمَاناً. إِذَا زَيَّنَ لَكَ ٱلشَّيْطَانُ تَتَبُّعَ ٱلْفَائِتَاتِ فَالْعَنْهُ، «وَإِذَا اسْتَأْثَرَ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ فَالْهَ عَنْهُ»[14]. وَوَالِ ٱلاِسْتِينَانَ فِي مِضْمَارِ ٱلصَّلاَحِ وَأَدْمِنْهُ وَسَلِّمْ يَا بُنَيَّ قَضَاءَ رَبِّكَ وَارْضَ بِمَا اسْتَقْبَلَكَ مِنْهُ ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ﴾[15].

---

(8) في الأصل «فبكا» الورقة : 90.

(9) أجنه الليل : ستره.

(10) في الأصل «ودعى» الورقة : 90.

(11) لهوت : من اللهو، عبثت.

(12) إد : الأمر الفضيع والداهية.

(13) لهيت : تركت.

(14) قولة عمر بن عبد العزيز ومعناها إذا أخذ الله مال رجل وولده فيجب أن يتركه ولا يغتم له لأنه مقدر من عند الله.

(15) الآية 16 من سورة لقمان.

9 ـــ بَابُ مَا يُهْمِزُ مِنَ ٱلْفِعْلِ

يَا ذَا ٱلَّذِي أَسْرَفَ[1] عَلَيْهِ رُعَافُهُ[2]، فَظَلَّ يَتَوَقَّعُ ٱلْمَوْتَ وَيَخَافُهُ، إِذَا رَقَأَ[3] لَكَ ٱلدَّمُ فَاشْكُرْ مَنْ بِيَدِهِ ٱلْعَدَمُ وَٱلْوُجُودُ. فَلَوْلاَ لَطَفُهُ مَا كَانَ يَرْقَأُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخَطَأُ[4] لَيْسَ لَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ رُقُوٌّ. إِنَّ سِرَّ ٱلْقَدَرِ لَمَخْبُوءٌ، يَا عَجَباً لِلْحَيَّيْنِ[5] تَسَاوَرُوا بِٱلرِّمَاحِ، وَتَلاَعَبُوا بِٱلأَرْوَاحِ فَأَجْلَوْا عَنْ أَوْتَارٍ عُقَدُوهَا مُبْرَمَةً، وَحُقُودُهَا مُحْتَدِمَةً، وَآلَى كُلُّ فَرِيقٍ لاَ آلَى لِشَمْلِ ٱلآخَرِ فِي تَضْرِيعٍ وَتَفْرِيقٍ، فَكَسَرَتِ ٱلأَيَّامُ تِلْكَ ٱلشِّرَّةَ، وَأَمِنَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ٱلْغِرَّةَ، وَسَفَرَ بَيْنَهُمْ سَفِيرُ ٱلنَّدَمِ فَنَادَى «لاَ تَسُبُّوا ٱلإِبِلَ فَإِنَّ فِيهَا رُقُوَّ ٱلدَّمِ»[6] فَلَبَّوْا دَعْوَتَهُ بِٱلْقَبُولِ، وَاسْتَحَالَ لَبَناً دَمُ ٱلْقَتِيلِ، فَأَلَّفَ ٱللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ٱلنِّفَارِ، وَتَكَفَّلَتِ ٱلدِّيَةُ بِإِنْصَالِ[7] تِلْكَ ٱلأَسِنَّةِ وَٱلشِّفَارِ[8]، فَعَادَ ٱلْحَيُّ جَمِيعاً، وَقَرَّتْ تِلْكَ ٱلْعُيُونُ بَعْدَ أَنْ سَخِنَتْ بِمَاءِ ٱلأَكْبَادِ دُمُوعاً، وَطُولُ ٱلزَّمَانِ يُلَيِّنُ ٱلْقَاسِيَ، وَيُنْسِي ٱلذَّاكِرَ فَيُدْعَى بَعْدُ ٱلنَّاسِيَ.

رَقَيْتُ[9] ٱلصَّبِيَّ مَا أَرْقِيهِ إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ يَقِيهِ. ٱلْوَلَدُ ثَمَرُ ٱلْقُلُوبِ،

---

(1) أسرف : جاوز القدر.

(2) الرعاف : الدم الذي يخرج من الأنف.

(3) رقأ : انقطع.

(4) الخطأ في الأصل، انظر الورقة : 91.

(5) الحيين : يقصد بهما الأوس والخزرج وما كان بينهم من حروب طاحنة توقفت بدخولهم في الإسلام وأصبح ما كان بينهم من حقد وعداوة محبة وإخاء.

(6) حديث نبوي، انظر ابن حنبل : 163/5، الدارمي : 106.

(7) إنصال : إزالة النصل من الرماح.

(8) الشفار : جمع شفرة : وهي السكين الغليظة.

(9) رقيت الصبي : أرقيه رقيا ورقية وهو ما يحجب به الصبي من العين والأمراض.

وَلاَ عِوَضَ لِلنَّفسِ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ فَتَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلرُّقْيَةِ نَفسُ ٱلْمَغْلُوبِ، وَعَلَى ٱللَّهِ تَلاَفِي ٱلْمُضْطَرِّ وَغَوْثُ ٱلْمَكْرُوبِ. رَقِيتُ[10] فِي سُلَّمِ ٱلْعُمُرِ صُعُداً كَأَنِّي أَعِيشُ أَبداً، أَرْقَى ثُمَّ أَسْفُلُ، وَإِلَى سِكَّةِ ٱلْمَوْتِ تُشْرَعُ[11] ٱلسُّبُلُ فَهَلْ لِي إِلَى ٱلْمَلإِ [ٱلأَعْلَى][12] رُقِيٌّ، إِنْ حُرِمْتُ ذَاكَ فَأَنَا شَقِيٌّ، دَارَأْتُ[13] ٱلرِّجَالَ وَتَجَاوَزْتُ إِلَى ٱلْغَلَبَةِ ٱلسِّجَالَ[14]، ثُمَّ دَارَيْتُ[15] لَمَّا آنَسْتُ مِنْ مُنَادِي ٱلرَّحِيلِ ٱلإِسْتِعْجَالَ، إِلَى كَمْ أُدَارِي ٱلأَقْرَانَ وَطَائِرُ ٱلرُّوحِ قَدْ شَارَفَ ٱلطَّيَرَانَ، وَقَلَّمَا تَدَارَأَ إِثْنَانِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ لِلشَّيْطَانِ، كُنْ أَبَداً عَلَى ذِكْرٍ لِمَلِكِ ٱلْمُلُوكِ، وَإِذَا بَارَأْتَ[16] شَرِيكَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْلاَكَ يَجِلُّ عَنِ [ٱلنَّظِيرِ][17] وَالشَّرِيكِ، فَإِنْ بَارَأْتَ امْرَأَتَكَ إِناً مِنَ ٱلآنَاءِ، فَاذْكُرْ عِنْدَ مُبَارَاتِهَا أَنَّ إِلَهَكَ هُوَ ٱلَّذِي تَقَدَّسَ عَنِ ٱلصَّاحِبَةِ وَٱلأَبْنَاءِ. طُوبَى لِمَنْ بَارَى[18] ٱلرِّيحَ جُوداً، وَقَطَعَ لَيْلَهُ رُكُوعاً وَسُجُوداً يُبَارِي ٱلرِّيَاحَ وَيَمِيحُ[19] مَنْ كَانَ شَأْنُهُ ٱلإِمْتِيَاحَ، وَيُبَارِي جِيرَانَهُ إِذَا آثَرُوا ٱلصَّلاَحَ، وَلاَ يَتَعَدَّى فِي أُطْوَارِ تَوَانِيهِ ٱلْحَسَنَ ٱلْمُبَاحَ. عَبَأْتُ[20] ٱلْمَتَاعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، أَصُونُهُ عَنْ رَفْعٍ وَخَفْضٍ، لَعَلَّ مَتَاعِي بِهِ حِينَ [أَعْبَأُهُ][21] قَلِيلٌ، إِنَّ ٱلْمَوْتَ [لَنَبَأُهُ][22] ثَقِيلٌ، وَعَبَّيْتُ[23] ٱلْجَيْشَ لِيُفْقِدُوا أَقْرَانَهُمُ ٱلْعَيْشَ فَبَادَرُوا

(10) رقيت : صعدت.

(11) تشرع : تفضي، تؤدي.

(12) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 91.

(13) دارأت : دافعت.

(14) السجال : أن ينهزم مرة ويغلب أخرى، ومنه: الحرب سجال.

(15) داريت : لاينت وخاتلت من المداراة.

(16) بارأت : فارقت.

(17) غير واضحة في الأصل، الورقة : 91.

(18) بارى الريح : عارضها بفعله.

(19) يميح : يعطي معروفا.

(20) عبأت : هيأت.

(21) في الأصل «أعبوه» الورقة : 91.

(22) في الأصل «نبوه» الورقة : 91.

(23) عبيت الجيش : أصلحته وهيأته.

ٱلتَّعْبِيَةَ، وَأَعْلَنُوا لِدَاعِيهِمْ ٱلتَّلْبِيَةَ، لَقَدْ رَأَيْتُ إِذْ عَبَأْتُهُ ٱلْعَجَبَ ٱلْعُجَابَ، لَوْ يُدْعَى ٱلْفَتَى لِطَعْنَةٍ لأَجَابَ. أَيُّهَا ٱلْمُقْدِمُ أَمُحْتَسِبٌ أَمْ مُكْتَسِبٌ، إِنْ نَوَيْتَ ٱلإِحْتِسَابَ رَبِحَتْ تِجَارَتُكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلاِكْتِسَابَ فَمَا لَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ إِلاَّ نَفَلُكَ وَإِجَارَتُكَ، وَهَبْكَ نَكَيْتَ[24] فِي ٱلْعَدُوِّ وَوَاصَلْتَ ٱلرَّوَاحَ بِٱلْغُدُوِّ، فَإِنَّمَا لَكَ مَا نَوَيْتَ رَشَدْتَ فِي ذَلِكَ أَوْ غَوَيْتَ، ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ حِينَ تَنْكِي، فَيَا سَالِكاً بِٱلنِّكَايَةِ سَبِيلَ ٱلْغِوَايَةِ، لِتَبْكِ عَلَى نَفْسِكَ إِنْ كُنْتَ تَبْكِي، زَلَّتْ يَا هَذَا قَدَمُكَ، وَلَرُبَّمَا ذَهَبَ هَدَراً دَمُكَ، وَنَسَخَ وُجُودَكَ عَدَمُكَ، لاَ تَعُدْ إِلَى هَذَا ٱلْعَمَلِ ٱلْبَرْحِ[25] فَتَكُونَ مِمَّنْ نَكَأَ ٱلْقَرْحَ[26] بِٱلْقَرْحِ[27]، وَنَكْؤُهُ كَذَلِكَ أَوْجَعُ، فَلاَ تُوجَدْ تَنْكَأُهُ مَا بَقِيَ ٱلْحَمَامُ يَسْجَعُ، وَلَسْتُ أَنْهَاكَ أَنْ تُقَاتِلَ أَعْدَاءَ ٱلدِّينِ وَعِدَاكَ، إِنَّمَا أَنْهَاكَ عَنِ ٱلنِّيَّةِ ٱلَّتِي فِيهَا أَذَاكَ، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ تُقَاتِلُ مُسْلِماً، أَوْ تَخْطِرُ فِي مَيْدَانِ ٱلْبَغْيِ مُعْلِماً[28] ، فَأُعِيذُكَ مَنْ أَمْرٍ لَمْ تَأْتِ فِيهِ مِنَ ٱلصَّوَابِ فَتِيلاً، وَمَوْقِفٍ يُرَدِّيكَ إِلَى ٱلنَّارِ قَاتِلاً أَوْ قَتِيلاً، وَلَرُبَّ مُجَدِّلٍ نُسِبَ إِلَيْكَ دَمُهُ ٱلْحَرَامُ، وَرُمْتَ رَحْضَ[29] ذَلِكَ عَنْكَ فَأَعْيَاكَ ٱلْمَرَامُ فَتَقُولُ : «وَٱللَّهِ مَا قَتَلْتُ فُلاَناً وَلاَ مَالأْتُ عَلَى قَتْلِهِ سِرّاً وَلاَ إِعْلاَناً»[30]. وَلَعَلَّ ٱلضَّمَائِرَ وَقَدْ صَدَقَتْ لاَ تَسْتَشْعِرُ فِيمَا تَقُولُ تَصْدِيقاً وَلاَ إِيمَاناً.

رَدُوَّ ٱلزَّمَانُ فَرَدُوَتْ أَبْنَاؤُهُ، إِنَّمَا يَجْنِي ٱلرَّدَاءَةَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَبْنَاؤُهُ، مَا أَقَلَّ فِيهِمْ غَيْرَ ٱلرَّدِيءِ وَأَقْرَبَ ٱلْبَارِىءَ مِنْهُمْ إِلَى ٱلْمُدِيءِ[31]، نَهْلِكُ وَفِينَا ٱلصَّالِحُونَ إِذَا

(24) نكيت في العدو : أحدثت فيه هزيمة.
(25) البرح : الشر والعذاب الشديد والشدة.
(26) القرح : جروح الجسد وما يخرج بالبدن.
(27) القرح : الجرح بفتح الجيم.
(28) معلم : من أعلم الفارس إذا جعل لنفسه علامة الشجعان.
(29) رمض : الغسل.
(30) هذا كان قول سيدنا علي بن أبي طالب في قتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما.
(31) المديء : المخاتل.

كَثُرَ ٱلْخَبَثُ[32]، وَلاَ يَكُونُ مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ ٱلْعَبَثُ. دَفُؤَ يَوْمُكَ أَيُّهَا ٱلْعُرْيَانُ، فَثَارَ بِكَ لأَنْ دَفِئْتَ ٱلْبَطَرُ وَٱلطُّغْيَانُ، وَيْحَكَ أَمَا تَفِيءُ وَتَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَبْطِرَكَ ٱلْيَوْمُ ٱلدَّفِيءُ. دَعْ ثَوْبَكَ يُرْفَأُ، لَعَلَّكَ إِذَا رَفَأْتَهُ لاَ تَدْفَأُ، أَفَلَيْسَ أَوْلَى بِٱلدِّفْءِ وَٱلدَّفْآنِ أَنْ يَشْغَلَهُمَا شُكْرُ ٱللَّهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلإِعْلاَنِ، أَوْمَأْتُ إِلَيْكَ فَافْهَمِ ٱلإِيمَاءَ، مَا عُذْرُكَ وَقَدْ رَقَمْتُ لَكَ ٱلْمَاءَ[33]. إِنْ تَثَاءَبَ صَاحِبُكَ فَلاَ تُصَدِّقْ فِي دَعْوَى ٱلْعَدْوَى ٱلثُّؤَبَاءَ، قَدْ هَدَأَ ٱلنَّاسُ فَاقْتَدِ بِهِمْ وَهُمْ هَادِئُونَ، أَتَبْتَدِىءُ بِٱلْجَمِيلِ أَمْ يَبْتَدِئُونَ، فَإِنْ أَرْجَأْتَ ٱلأَمْرَ يَا رَجُلُ، فَأَحْزَمُ مِنْكَ ٱلْمُبَادِرُ ٱلْعَجِلُ[34]، مَا يُدْرِيكَ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْمَنِيَّةِ أَمَدًا وَسَيْفُهَا لَيْسَ عَنْكَ مُغْمَدًا. دَعِ ٱلْمُرْجِئَةَ[35] فِي مَكَانِهَا مِنَ ٱلْفِرَقِ، وَافْرَقْ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُرْجِئاً كُلَّ ٱلْفَرَقِ، أَوْلَى بِكَ ٱلْفِرْقَةُ ٱلنَّاجِيَةُ، وَأَرْجَى لَكَ إِذَا حَلَّتِ ٱلْمَنِيَّةُ ٱلْمُفَاجِئَةُ. أَعَلِمْتَ كَيْفَ فَقَأَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ عَيْنَ مَلَكِ ٱلْمَوْتِ فَمَا مَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ تَلْبِيَةِ صَوْتِ ٱلْفَوْتِ، وَلاَ مَنَعَتِ ٱلْمَلَكَ عَيْنُهُ ٱلْمَفْقُودَةُ مِنْ قِبَلِ ٱلْكَلِيمِ عَنْ مُعَاوَدَةِ ٱلإِمْضَاءِ فِيهِ لأَمْرِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ فَاذْعِنْ يَا هَذَا لِلأَقْدَارِ، وَإِذَا وُبِئَتْ أَرْضُكَ فَلاَ تَنْزَعْ إِلَى ٱلْفِرَارِ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِبُقْعَةٍ وَبِئَةٍ فَلاَ تَأْتِهَا وَاقْتَدِ بِإِرْشَادِ ٱلنُّبُوءَةِ إِلَى ٱلْقَرَارِ فِي ٱلأَرْضِ ٱلْمَوْبُوءَةِ فَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي مَقَاصِدِهَا وَٱلْتِفَاتَاتِهَا.

---

(32) من الحديث النبوي الشريف، أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وأصله : «لا إله إلا الله، ويل العرب من شر اقترب، فتح اليوم في ردم ياجوج وماجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الابهام والتي تليها فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم، إذا كثر الخبث».
انظر الأحاديث الصحيحة : 720/2 محمد ناصر الدين الألباني.

(33) من أمثال العرب يضرب للاستقامة والحذق في الصنعة ومنه قول أوس بن حجر :
سَأَرْقُمُ فِي ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ إِلَيْكُمُ — عَلَى نَأْيِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ
انظر **فصل المقال**، ص 306، ومادة رقم في **اللسان**، **ومجمع الأمثال** للميداني : 398/2.

(34) العجل : المسرع.

(35) من الفرق الإسلامية ظهرت أول أمرها كحزب محايد بعد ظهور الشيعة والخوارج، أهم مبادىء هذه الطائفة يرتكز حول الإيمان إذ لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.

رَوَّأْتُ[36] فِي ٱلأَمْرِ رَجَاءَ ٱلتَّوْفِيقِ، لَعَلَّ ٱلرَّوِيَّةَ أَدْنَى إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ. إِذَا نَاوَأْتَ[37] ٱلرِّجَالَ فَاصْبِرْ، وَإِذَا أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ فَلاَ تَسْتَكْبِرْ، فَإِنَّ ٱلْمُنَاوَأَةَ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى قَطِيعَةِ ٱلأَرْحَامِ، وَٱلْكِبْرُ دَاعٍ إِلَى قَطْعِ مَادَّةِ ٱلإِنْعَامِ، وَمُعَرِّضٌ لِخُطَّةِ ٱلْخَسْفِ وَمَنْزِلَةِ ٱلذُّلِّ عِنْدَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ وَٱلإِنْتِقَامِ، فِي أَخَسِّ مَهَاوِي ٱلإِحْتِقَارِ مِنْ دَارِ ٱلصَّغَارِ وَسَوَاءِ ٱلنَّارِ ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[38].

---

(36) روأت : نظرت في الأمر طويلا ولم أتعجل فيه.

(37) ناوأت : عاديت.

(38) الآية 72 من سورة الزمر.

10 ـ بَابٌ مِنَ ٱلْمَصَادِرِ

رَبِّي إِنْ أَوْجَدْتَنِي[1] ٱلْمَالَ وَجَدْتُ[2]، وَإِنْ مَجَّدْتَنِي فِي عِبَادِكَ مَجَدْتُ. بِكَ يَسْتَغْنِي ٱلْفَقِيرُ وَيَجِلُّ ٱلْحَقِيرُ، لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ، وَلاَ وَجْدَ يُرْتَجَى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ، وَلَيْسَتِ ٱلْجِدَةُ كَمَا زَعَمُوا هِيَ ٱلْمُنْجِدَةُ، وَلاَ أَنَا بِٱلَّذِي أَجِدُ[3] بَلْ أَنْتَ ٱلْمُوجِدُ وَٱلْمُنْجِدُ، وَفِي كَنَفِ كِفَايَتِكَ وَوِقَايَتِكَ يَتَقَلَّبُ ٱلْمُتْهِمُ وَٱلْمُنْجِدُ[4]. كَمْ ضَالَّةٍ مِنْ يَدِي أَفَتَّهَا، وَكُنْتَ أَفَدْتَهَا ثُمَّ وَجَدْتُهَا وَأَنْتَ بِلُطْفِكَ أَعَدْتَهَا. وَهَبْنِي [أَنْشُدُ وَٱلْبَاغِي[5] يُحِبُّ ٱلْوِجْدَانَ[6]][7]، هَلْ غَيْرُ قُدْرَتِكَ نَسَخَتْ بِٱلرَّدِّ ٱلْفِقْدَانَ[8]. أَمَا وَٱللَّهِ مَا كُنْتُ أَجِدُهَا أَبَداً، لَوْلاَ فَضْلٌ مِنْكَ لَمْ يَزَلْ مُتَعَوَّداً، كَمْ فَقِيدٍ وَجَدْتُ عَلَيْهِ فَعَوَّضْتَنِي مِنَ ٱلْوَجْدِ رِضًى وَحَمَيْتَنِي أَنْ أَكُونَ عَلَى أَقْدَارِكَ

---

(1) أوجدتني : أعطيتني موجدة أي غنى.

(2) وجدت : اغتنيت.

(3) أجد : أحزن.

(4) المتهم والمنجد : المنتسب إلى تهامة وإلى نجد.

(5) الباغي : الطالب.

(6) الوجدان : مصادر الفعل وجد بمعنى عثر على.

(7) إشارة إلى قول الشاعر :

أَنْشُدُ وَٱلْبَاغِـي يُـحِبُّ ٱلْوِجْـدَان ... قَـلاَئِصًا مُخْتَلِفَـاتِ ٱلأَلْـوَان

مِنْهَـا ثَـلاَثُ قُـلُصٍ وَبَكْـرَان

[الطويـل]

انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 385 للأنباري، البحر المحيط : 298/1، ومعنى القول أطلب الضالة والطالب يحب الإصابة. وزاد ابن هشام في شرحه ص 27 شطرا رابعا :

كأنني مـن حبها في بحران

(8) الفقدان : بكسر الفاء مصدر من مصادر الفعل فقد.

مُعْتَرِضاً، فَمَهْمَا أَجِدْ فَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ وَأَسْتَنْجِدُ، وَإِذَا وَجَدْتُ مَوْلاَيَ عَلَى مُسِيءٍ إِلَيَّ فَظَاهِرْ بِسَلِّ ٱلْمَوْجِدَةِ مِنَّتَكَ عَلَيَّ، فَلأَنْ أَفْقِدَ نَفِيساً مِنَ ٱلأَعْلاَقِ[9]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجِدَ عَلَى أَحَدٍ فِي حَقِيرٍ مِنْ هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي مَا لَهَا مِنْ خَلاَقٍ، دَارٌ رِيُّهَا جُوَادٌ[10] وَمُسْتَقِيمُهَا مُنْآدٌ، سِيَّانِ فِي [نَوَائِبِهَا][11] بَخِيلٌ وَجَوَادٌ، وَرُبَّمَا قَصَّرَ فِي مَضَامِيرِهَا عَنِ ٱلْهَجِينِ [جَوَادٌ][12] فَلاَ ٱلْكَرِيمُ حَمَاهُ فَيْضُ جُودِهِ، وَلاَ ٱلْعَتِيقُ نَفَذَ بِهِ مَا قُرِنَ مِنَ ٱلْجَوْدَةِ وَٱلْجُودَةِ بِوُجُودِهِ، أَجَلْ إِنَّمَا تَنْفَعُ ٱلْجَيِّدَ جَوْدَتُهُ إِذَا حَانَ انْقِلاَبُهُ إِلَيْكَ وَعَوْدَتُهُ، فَهُنَاكَ تَجُودُهُ سَمَاءُ ٱلإِحْسَانِ جَوْداً[13]، كَمَا جَادَتِ ٱلسَّمَاءُ ٱلأَرْضَ بَدْءاً وَعَوْداً، وَلَيْسَ إِلَى تِلْكَ ٱلآجِلَةِ غَيْرَ ٱلتَّقْوَى مَسْلَكٌ، وَلاَ لِلْمُجْرِمِ غَيْرَ عَمَلِهِ مُهْلِكٌ، وَٱلنَّاسُ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ إِنَّمَا يَتَقَارَضُونَ عَلَى حُدُودٍ مَنْصُوبَةٍ، وَيَتَبَايَعُونَ عَلَى أَحْكَامٍ مَكْتُوبَةٍ، كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَرَبُّكَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ، فَإِذَا وَجَبَ ٱلْبَيْعُ بَيْنَ ٱلْمُتَبَايِعَيْنِ، فَلْيَسْتَشْعِرَا تَقْوَى ٱللَّهِ فِيمَا تَبَايَعَاهُ وَتَعَاطَيَاهُ مِنَ ٱلْعَرْضِ وَٱلْعَيْنِ، وَلْيَبْرَإِ ٱلْبَائِعُ مِنْ عُيُوبِ مَبِيعِهِ عِنْدَ ٱلْوُجُوبِ، وَلْيَحْذَرِ ٱلنَّاقِدُ مِنْ إِعْطَاءِ مَا أَخْطَأَتْهُ صِفَتَا ٱلصِّحَّةِ وَٱلطِّيبِ عِنْدَ ٱلنَّقْدِ وَٱلتَّقْلِيبِ، فَلَيْسَتِ ٱلْجِبَةُ[14] فِي ٱلْبُيُوعِ، مِمَّا تُبِيحُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ خِلاَفَ ٱلْمَشْرُوعِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَقٌّ وَجَبَ وَعَقْدٌ أَوْجَبَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلإِنْتِهَاءِ إِلَى حُدُودِهِ مَا أَوْجَبَ. ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾[15].

إِنَّ شَأْنَ هَذِهِ ٱلدَّارِ لَعَجِيبٌ، وَلِقَلْبِكَ فِيهَا يَوْماً وَجِيبٌ[16]، فَإِذَا وَجَبَ قَلْبُكَ فَجِدَّ فِي مُفَارَقَةِ ٱلسُّكُونِ، فَتِلْكَ طَلاَئِعُ ٱلْمَنُونِ، فَاصْبِرْ لِمَا جَاءَكَ وَعَلِّقْ بِٱللَّهِ

(9) الأعلاق : جمع علق وهي الأشياء الكريمة والنفيسة.
(10) جواد : بضم الجيم شدة العطش.
(11) كلمة مطموسة من أولها في الأصل، الورقة : 93.
(12) كلمة مطموسة في الأصل أكملتها بما تستقيم به السجعة والمعنى الورقة : 93.
(13) الجود : بفتح الجيم وسكون الواو المطر الذي لا مطر بعده. ومنها الفعل جاد يجود بمعنى أمطر.
(14) الجبة : من الفعل وجب، يجب، وجوبا وجبة، بمعنى تم ونفذ.
(15) الآية 229 من سورة البقرة.
(16) وجيب : خفقان القلب.

وَحْدَهُ رَجَاءَكَ، فَإِذَا وَجَبَتْ[17] شَمْسُ ٱلْحَيَاةِ وَمَازَالَ ٱلْوُجُوبُ[18] مُعْتَاداً مِنَ ٱلشَّمْسِ ذَاتِ ٱلإِيَاةِ[19] وَجَدْتَ مَا عَمِلْتَهُ مُحْضَراً، فَأَعِدَّ لِهَذِهِ ٱلْحَالِ حَذَراً، أَوْفِ لِلَّهِ بِعَهْدِهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَلاَ تُرَعْ إِنْ [كَنَفَكَ][20] ٱلْحَائِطُ[21]، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْوَاقِي وَٱلْحَائِطُ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ [هَذِهِ][22] ٱلدَّارِ، إِذَا وَقْتَكَ كَفَالَةُ ٱلأَقْدَارِ. إِنْ حَسَبْتَ[23] لِجَاهِلٍ حِسَابًا، فَتَوَخَّ أَنْ تَحْسُبَ لَهُ احْتِسَاباً، فَرُبَّ إِنْسَانٍ لَيْسَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِحُسْبَانٍ[24]، فَحَسْبُكَ لَهُ مِنْ بَابِ إِرْشَادِ ٱلضَّالِّ وَهِدَايَةِ ٱلسَّبِيلِ، وَحَسْبُكَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ ٱلأَجْرِ ٱلْجَزِيلِ.

حَسِبْتُ[25] زَمَاناً أَنِّي مُصِيبٌ فِي اسْتِشْعَارِي مِنَ ٱلأَيَّامِ وَٱلأَنَامِ أَمَاناً، إِذَا أَنَا أَصْلَحْتُ نَفْسِي، وَأَحْسَنْتُ مُعَامَلَةَ أَبْنَاءِ جِنْسِي، فَإِذَا بِي فِي ٱلَّذِي أَحْسَبُهُ أَصْرَحُ مَنِ انْتَمَى إِلَى ٱلْمُوقِ[26] نَسَبُهُ. يَا عَجَباً لِي كَيْفَ أَحْسَبُنِي نَاجِياً أَوْ أُرَى لِهَذَا رَاجِياً، وَمَازِلْتُ مُشَاهِداً وَبِيلَ ٱلْمَرْعَى وَمُعَايِناً وَسْطَهُ ٱلأَحْرَارَ بِقُبْحِ ٱلسِّعَايَاتِ صَرْعَى، يَا لَكَ مِنْ مَنْسَبَةٍ كَاذِبَةٍ وَصَفْقَةٍ فِي ٱلْحِسْبَانِ خَائِبَةٍ، فَسَأَعْتَاضُ بِتِلْكَ ٱلْمَحْسَبَةِ يَقِيناً بِمَا اسْتَفَدْتُهُ مِنَ ٱلأَيَّامِ مُشَاهَدَةً وَتَلْقِيناً، وَإِذْ لاَ سَبِيلَ إِلَى ٱلإِنْفِكَاكِ مِنْ عَلاَئِقِ هَذِهِ ٱلدَّارِ وَلاَ مَحِيدَ عَنْ مُعَاشَرَةِ سَاكِنِيهَا بِقَسْرِ[27] ٱلإِضْطِرَارِ فَسَأَنْتَقِي فِي أَهْلِيهَا مَنْ يُؤَدِّينِي إِلَيْهِ جُهْدُ ٱلإِجْتِهَادِ فِي ٱلإِنْتِقَاءِ وَٱلإِخْتِيَارِ، وَأُدُلُّ عَلَى مِثْلِهِ مُسْتَشِيراً فِي خُلْطَةِ بَنَاتِهَا وَبَنِيهَا مُؤَدِّياً حَقَّ ٱلأَمَانَةِ ٱلْمُوجِبَةِ عَلَى

---

(17) وجبت : غابت.

(18) الوجوب : الغروب.

(19) الإياة : دائرة الضوء المحيطة بقرص الشمس. يقال إياة الشمس وهالة القمر.

(20) كلمة ممسوحة في الأصل، الورقة : 93.

(21) كنفك الحائط : سترك.

(22) مطموسة في الأصل، الورقة : 93.

(23) حسبت : عددت بالعدد.

(24) حسبان : حساب، عد.

(25) حسبت : ظننت.

(26) الموق : الحمق والغباوة.

(27) القسر : الإكراه على الشيء.

ٱلْمُسْتَشَارِ، فَيَا مُسْتَرْشِدِي فِي ٱلنِّكَاحِ لاَ تَعْدِلْ بِٱلْحُرَّةِ ٱلْحَصَانِ[28]، فَٱلْحَصَانَةُ أَزْيَنُ عَلَى ٱلنِّسْوَانِ، أَمَا وَٱللَّهِ لَصِفَةُ ٱلْحُصْنِ آكَدُ فِيهِنَّ عِنْدَ ٱلدَّيِّنِ ٱلْفَطِنِ مِنْ صِفَةِ ٱلْحُسْنِ، وَمَاذَا يُجْدِي جَمَالُهَا ٱلرَّائِقُ، إِذَا سَاءَتْ مِنْهَا ٱلطَّرَائِقُ، سَوْدَاءُ[29] تَحْفَظُ ٱلْغَيْبَ خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ تَغْشَى ٱلْعَارَ وَتَتَخَلَّلُ ٱلْعَيْبَ، إِنَّ ٱلْحُسْنَ مَعَ هَذِهِ ٱلْحَالِ لَمَذِيمٌ، وَإِنَّ اقْتِرَانَهُ بِٱلْحُصْنِ لَعَظِيمٌ، أَحْصَنَتْ ابْنَةُ[30] عِمْرَانَ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ بِثَنَائِهَا ٱلْقُرْآنَ، وَحَاوَلَتِ امْرَأَةُ[31] ٱلْعَزِيزِ نُكْراً، فَأَجْرَى لَهَا بِذَلِكَ ذِكْراً، وَإِذَا حَصُنَتِ ٱلْعَقِيلَةُ طَابَتْ عَنْهَا ٱلأَنْبَاءُ ٱلْمَنْقُولَةُ، خَيْرُ ٱلْقَرَائِنِ ٱلْحَصَانُ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْحِصَانُ، فَارْتَبِطْهُ كَرِيمَا ثُمَّ رُمْ بِتَحْصِينِهِ مَرُومَا، يُنْجِزْ لَكَ دَيْنَكَ، وَيُقِرَّ تَحَصُّنُهُ عَيْنَكَ، وَلاَ تَعْدِلْ عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ، فَٱلشَّرُّ أَجْمَعُ فِي ذَلِكَ ٱلْعُدُولِ، وَهَلْ أَضَلُّ مِمَّنْ عَدَلَ عَنِ ٱلْحَقِّ فِتْراً[32]، أَوْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ هَتَكَ عَنْ نَفْسِهِ سِتْراً. أَعْدِلْ إِذَا وَلِيتَ، فَإِنَّ ٱلْعَدْلَ فِي ٱلْوِلاَيَةِ تَعَرُّضٌ لِسَعَادَةِ ٱلْغَايَةِ، وَمَا أَحْرَى مَنْ عَدَلَ فِيهَا، أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَجِيهَا، وَأَجْدَرَ مُؤْثِرَ ٱلْمَعْدَلَةِ فِي ٱلأَحْكَامِ بِٱلنَّجَاةِ مِنَ ٱلآثَامِ، وَٱلْحُظْوَةِ عِنْدَ حَاكِمِ ٱلْحُكَّامِ، فَحَسْبُكَ بِٱلْمَعْدَلَةِ خَيْراً كَثِيراً، وَكَفَاكَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِهَا حَظّاً أَثِيراً.

قَرُبْتُ مِنْ ثَنِيَّةِ ٱلْوَدَاعِ، فَجَدَّ بِي جِدُّ ٱلزَّمَاعِ[33]، وَكُلَّمَا أَقْرُبُ يَقُولُ لِي سُوءُ أَعْمَالِي مَا لَكَ لاَ تَهْرُبُ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ طَرِيقاً لَكُنْتُ بِٱلْهَرَبِ حَقِيقاً، وَلَكِنْ لاَ مَهْرَبَ إِلاَّ إِلَيْهِ وَلاَ مُعَرَّجَ عَنِ ٱلْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَأَيْنَ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلنَّجَاةِ،

---

(28) الحصان : بفتح الحاء : العفيفة الطاهرة.

(29) سوداء : قبيحة.

(30) الآية 92 من سورة الأنبياء : ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾.
والآية 12 من سورة التحريم : ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين﴾.

(31) الآيات من 23 إلى 29 من سورة يوسف.

(32) الفتر : بكسر الفاء ما بين السبابة والابهام مفتوحين وهي أقل من الشبر.

(33) الزماع : الرحيل.

أَمْ كَيْفَ ٱلْعَمَلُ فِي هَذِهِ ٱلْبِضَاعَةِ ٱلْمُزْجَاةِ[34]، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ بِرَحْمَتِهِ ٱلْمُرْتَجَاةِ، فَاعْتَمِلْ فِي ٱلْقُرْبِ إِلَيْهِ، وَامْتَثِلْ جُهْدَكَ أَمْرَهُ تَحْظَ بِذَلِكَ لَدَيْهِ، وَثِقْ بِكَرَمِهِ فَهُوَ خَيْرُ مَا وَثِقْتَ بِهِ، وَأَوْلَى مَا عَوَّلْتَ عَلَيْهِ. لاَ تَقْرَبِ ٱلْفَحْشَاءَ فَمَنْ قَرِبَهَا فَقَدْ أَسَاءَ مَا شَاءَ، إِنَّ قِرْبَانَ[35] ٱلْمُنْكَرِ حِرْمَانٌ، وَطَرِيقٌ مَا لِسَالِكِهِ أَمَانٌ، أَوَ لَيْسَ خَيْراً لَكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَرَبَ[36] مَاءَ ٱلتَّوْبَةِ لِيُرْوِيَ ظَمَأَ ٱلْحَوْبَاءِ[37]، وَيَغْسِلَ دَرَنَ ٱلْحَوْبَةِ[38]، وَإِذَا ظَفِرْتَ بِٱلْقَرَبِ فَامْلإِ ٱلدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ ٱلْكَرَبِ[39]، وَاقْرُبْ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقْرُبَ، وَسَلِ ٱللَّهَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْكَ نَجْمُ ٱلإِنَابَةِ أَلاَّ يَغْرُبَ. نَفَقَ[40] ٱلْبَيْعُ فِي صَالِحَاتِ ٱلأَعْمَالِ عِنْدَ ذَوِي ٱلإِكْرَامِ وَٱلْجلاَلِ، فَاغْتَنِمْ نَفَاقَهُ، فَلَمْ يَنْفُقْ إِلاَّ بِأَنْ أَعْمَلَ رَبُّكَ حَنَانَهُ وَإِرْفَاقَهُ، وَلَوْ عَامَلَكَ بِمَا يَقْتَضِيهِ عَمَلُكَ وَمَذْهَبُكَ لَنَفَقَ[41] بِقُدْرَتِهِ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلْمُهْلِكِ وَٱلْيَهْمَاءِ[42] ٱلْمُتَعَذِّرَةِ ٱلْمَسْلَكِ مَرْكَبُكَ، وَفِي نُفُوقِهِ[43] هُنَاكَ بِٱلْحَقِيقَةِ عَطَبُكَ، نَفِقَ[44] فِي وُجُوهِ ٱلْبِرِّ إِنْفَاقُكَ، أَمَا تَخْشَى أَنْ تَنْفَقَ أَرْزَاقُكَ وَيَضْعُفَ مِنْ خَزَائِنِ ٱللَّهِ ارْتِفَاقُكَ[45] فَٱلرِّزْقُ نَفِقٌ[46]، إِذَا حُرِمَ لَدَيْهِ مُرْتَفِقٌ[47]، وَمَا تُنْكِرُ أَلاَّ تَتَعَرَّفَ مِنَ ٱللَّهِ شَفَقاً إِذَا تَعَرَّفَ ٱلسَّائِلُ مِنْ

---

(34) البضاعة المزجاة : القليلة.

(35) قِربان : بكسر القاف مصدر للفعل قَرُب بضم الراء، يَقْرُبُ قُرْباً وَقِرْبَاناً وَقُرْبَاناً بمعنى دنا. ويقال في الفعل قَرِبَ بكسر الراء، وقرب بفتحها.

(36) قَرَبَ الماء : سار ليلا لطلب الماء. والقَرَبُ : مسيرة ليلة للوصول إلى الماء.

(37) الحوباء : النفس.

(38) الحوبة : الاثم.

(39) الكرب : الحبل الذي يشد على الدلو.

(40) نفق البيع : راج وربح.

(41) نفقت الدابة : هلكت وماتت.

(42) اليهماء : المفازة لا ماء فيها ولا علم ولا يهتدي إلى طرقها.

(43) نفوق : مصدر نفقت الدابة أي ماتت.

(44) نفق : بكسر الفاء : قل ونقص.

(45) الارتفاق : الانتفاع.

(46) نفق : بكسر الفاء : ناقص ومنقطع.

(47) مرتفق : متكىء على مرفقه.

مَعْرُوفِكَ نَفَقاً، وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ سَائِلٌ مَسْؤُولٌ، وَمُسْتَنِيلٌ تَعَرَّضَ لَهُ مُسْتَنِيلٌ، فَاعْمَلْ فِي بَذْلِ نَاكِلِكَ لِسَائِلِكَ بِمِثْلِ مَا تَرْجُو مِنْ مَوْلاَكَ فِي مَسَائِلِكَ، وَإِذَا قَدَرْتَ[48] فَأَحْسِنِ ٱلْقُدْرَةَ حِينَ تَقْدِرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ بِٱلْمِرْصَادِ لِمَا تُورِدُ وَتُصْدِرُ فَسُوءُ ٱلْمَقْدِرَةِ صَدْرٌ فِيمَا يُذَمُّ مِنْ نَتَائِجِ ٱلْخِلاَلِ ٱلْمُصْدَرَةِ وَلَوْمُ مَقْدِرَتِكَ مُقَبِّحٌ حُسْنَ مَعْذِرَتِكَ، وَمِنْ مُبَشِّرَاتِكَ بِٱلْوُرُودِ عَلَى ٱلصَّفْوِ ٱلْبَرُودِ[49] أَنْ تَتَغَمَّدَ سَيِّئَاتِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِٱلْغُفْرَانِ وَتَسْتَقْبِلَ ٱلْجَانِيَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عِنْدَ ٱلْقِدْرَانِ، فَلاَ تُغْلَبَنَّ عَلَى حُسْنِ ٱلْمَقْدُرَةِ، وَلاَ تَحْتَقِرَنَّ مِنَ ٱلْجَمِيلِ وَلَوْ مِقْدَارَ ٱلذُّرَةِ، فَلِنَفْسِكَ تَمْهَدُ وَفِي صَلاَحِهَا تَجْهَدُ، وَلَقَدْ [جَدَّ][50] فِي ٱللَّحَاقِ بِٱلأَكْيَاسِ، مَنْ حَرِصَ عَلَى ٱلإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ ٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ رَبِحَ تَجْرُهُمْ، وَوَجَبَ عَلَى ٱللَّهِ أَجْرُهُمْ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[51]. رُبَّمَا قَدَرْتُ ٱلشَّيْءَ فَأَخْطَأْتُ ٱلتَّقْدِيرَ، وَقُلْتُ ٱلسَّيِّءَ فَأَوْغَرْتُ ٱلصُّدُورَ، فَاجْعَلْنِي ٱللَّهُمَّ فِيمَا أَقْدُرُهُ صَادِقاً، وَلاَ تَجْعَلْنِي مِمَّنْ كَانَ بِٱلْهُجْرِ جَاهِراً وَبِٱلسُّوءِ نَاطِقاً، وَاكْتُبْنِي رَبِّ فِي مَنْ يَقْدِرُ ٱلأُمُورَ قَدَرَهَا، وَإِذَا أَوْرَدَ هِمَمَهُ أَحْسَنَ صَدَرَهَا، وَإِنَّ إِصَابَةَ ٱلْقَدَرِ لَنِعْمَ ٱلْمَعُونَةِ عَلَى مَا يَتَرَدَّدُ مِنْ ذَلِكَ فِي ٱلصَّدْرِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ.

ٱلدُّنْيَا عَرُوسٌ تَفْرَكُ[52] قَرِينَهَا وَتُهْلِكُ خَدِينَهَا[53]، وَتَجْعَلُ دِينَ مُصَافِيهَا دِينَهَا، وَمَا دِينُهَا إِلاَّ ظُلْمٌ عَبْقَرِيٌّ وَغَدْرٌ لاَ يُفْرَى لَهُ فَرِيٌّ[54]، وَهَا أَنَا قَدْ

(48) قدرت : هيأت.

(49) البرود : البارد.

(50) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 95.

(51) الآية 14 من سورة الجاثية.

(52) تفرك : بتغض وتكره.

(53) خدينها : صديقها.

(54) الفري : الأمر العظيم. وفلان يفري الفري إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

جَلَوْتُ[55] ٱلْعَرُوسَ[56] فَكَيْفَ تَرَوْنَ جِلْوَتَهَا، وَكَشَفْتُ لَكُمْ عَنْ حَقِيقَةِ ٱلصِّفَةِ بِٱلْمَآخِذِ ٱلْمُنْصِفَةِ فَهَلْ تَسْتَحْسِنُونَ خَلْوَتَهَا، وَجَلَوْتُ[57] سَيْفَ ٱلصَّرَامَةِ صَارِماً لِمَنْ كَانَ عَلَى مُصَارَمَتِهَا عَازِماً، فَبَالَغْتُ لَهُ جِلاَءاً، وَسَلَّطْتُ عَلَيْهِ اِمْتِحَاناً مِمَّنْ شَاءَهُ [مِنَ ٱلْقَوْمِ][58] وَٱبْتِلاَءاً، فَإِنْ نَهَضُوا أَجْلَوْا[59] عَنْ قَتِيلٍ مِنَ ٱلشَّهْوَةِ إِجْلاَءاً وَإِنْ نَكَصُوا، جَلاَ ٱلْقَوْمُ عَنْ مَنَازِلِ ٱلتَّوْفِيقِ جَلاَءً[60]، وَمَنْ لَهُمْ بَعْدُ بِٱلْعَوْدَةِ عَلَى ٱلإِخْتِيَارِ إِنْ أُجْلَوْا عَنِ ٱلدِّيَارِ، وَتِلْكَ أَدْنَى جِنَايَاتِ ٱلْعَرُوسِ ٱلْمَجْلُوَّةِ وَأَقْرَبُ غَايَاتِ خِلاَلِهَا ٱلْمَبْلُوَّةِ، فَلاَ أُنْسِيتُ غُرَرَ[61] ٱلشَّهْرِ إِنْ غِرْتُ عَلَيْهَا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ، وَكَيْفَ أَغَارُ عَلَيْهَا وَهِيَ لاَتَزَالُ تُبِيحُ ٱلأَنْذَالَ مَا فِي يَدَيْهَا، وَتَمْنَعُ ٱلْفُضَلاَءَ مَا لَدَيْهَا، لَعَلَّ غَيْرِي عَلَى مِثْلِهَا غَيْرَانُ، وَإِنْ كَانَتِ ٱلْغَيْرَةُ مِنَ ٱلإِيمَانِ فَرَفْضُهَا هُنَا هُوَ ٱلإِيمَانُ، وَلَوْ أَنَّهَا عَلَى أَوْلِيَائِهَا غَيْرَى، لَمَا اعْتَدَدْتُ ذَلِكَ فِيهَا خَيْرًا، فَكَيْفَ وَهِيَ لَهُمْ «أَخْوَنُ مِنْ ذِئْبٍ وَأَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ، وَأَخَبُّ[62] بِهِمْ مِنْ ثُعَالَةَ[63]»، وَهِيَ ٱلنِّهَايَةُ بَعْدَهَا فِي مَكْرٍ وَخِبٍّ. غَارَ[64] ٱلرَّجُلُ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ وَأَنْجَدَ فَغَارَ[65] أَهْلَهُ بِذَلِكَ وَأَنْجَدَ[66]، وَلَوْ أَخْلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلْمُنْجِدُ ٱلْغَائِرُ

---

(55) جلوت : زينت وأظهرت، والمصدر جَلْوَة.

(56) العروس : المقصود بها هنا الدنيا.

(57) جلوت : جِلاء بمعنى صقلت.

(58) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 95.

(59) أجلوا : أبانوا وأظهروا.

(60) جَلاَ جَلاَءاً : رحل وغادر المكان.

(61) غرر الشهر : ثلاث ليال من أول كل شهر.

(62) أخب : أخدع.

(63) ثعالة : أنثى الثعلب. والجمل الثلاث من أمثال العرب. انظر مجمع الأمثال للميداني : 260/1.

(64) غار الرجل : ذهب، وأغار الرجل وأنجد إذا بلغ تهامة ونجد.

(65) يُغير غِيَاراً وَغَيْراً إذا مارهم.

(66) أنجد : من النجدة.

لأَتَاهُ بِمَضْمُونِ رِزْقِهِ ٱلْقَدَرُ ٱلدَّائِرُ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ ٱلْمَرْءُ لأَهْلِهِ غِيَاراً[67] أَوْ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَهُ ٱلرِّزْقُ اخْتِيَاراً، وَأَقْضِيَةُ رَبِّهِ ٱلسَّابِقَةُ هِيَ ٱلَّتِي يَسَّرَتْ لَهُ غَيْراً، وَجَلَبَتْ إِلَيْهِمْ عَلَى يَدَيْهِ خَيْراً إِنَّمَا يَغِيرُهُمْ مَنْ بِإِذْنِهِ وَقُدْرَتِهِ تَكَوَّنَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ، وَيُجْزِلُ لَهُمُ ٱلْمِيرَةَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي غَدَا مَوْلَى كُلِّ مَوْلَى وَأَمِيرِهِ، وَهَلْ تَصْدُرُ ٱلْغِيرَةُ إِلاَّ عَنِ ٱلْجَنَابِ ٱلَّذِي مِنْهُ تَصْدُرُ ٱلْخَيْلُ ٱلْمُغِيرَةُ، ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْكَفِيلُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْعُلُوِّ إِذَا أَغَارُوا[68] عَلَى ٱلْعَدُوِّ، وَكَمْ بَاتَ ٱلأَعْدَاءُ فِي كَنَفِ ٱلْهُدُونِ[69] وَٱلْهُدُوِّ فَصَبَّحَتْهُمُ ٱلْغَارَةُ ٱلشَّعْوَاءُ مَعَ ٱلْغُدُوِّ، فَيَا لَهَا إِغَارَةً أَغَارَتْ[70] حَبْلَ ٱلإِيمَانِ إِغَارَةً، وَغَارَتْ[71] عَيْنُ ٱلْكُفْرِ بِهَا غُؤُوراً، فَأَنَّى لَهَا أَنْ تُبْصِرَ نُوراً، وَغَارَ مَاءُ ٱلْبَاطِلِ غَوْراً وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ بِٱلْكَافِرِينَ رِجْزَهُ فَاعْتَاضُوا بَعْدَ ٱلْكَوْرِ[72] حَوْراً[73]، فَكَمْ دَمٍ عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ مُرَاقٍ، وَكَمْ نَدَمٍ مَا لِدَائِهِ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ مِنْ إِفْرَاقٍ[74]، وَكَمْ سَبِيئَةٍ[75] غَالَهَا[76] يَوْمُهَا وَأَسْلَمَهَا قَوْمُهَا فَأَصْبَحَتْ فِي كَوَاعِبِ أَتْرَابٍ، مُفْتَرِشَاتٍ بَعْدَ لِينِ ٱلْمَهَادِ نَوَاخِسَ[77] قَضَضٍ[78] وَتُرَابٍ، غَابَ عَنْ نَصْرِهَا ٱلشَّاهِدُ، وَحَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا[79] لَمَا شَفَتَيْهَا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِدُ.

---

(67) غيارا : ميرة.

(68) أغاروا : هجموا وشنوا الغارة.

(69) الهدون : السكون.

(70) أغار الحبل : أحكم فتله.

(71) غارت العين : إذا دخلت في الرأس.

(72) الكور : الزيادة.

(73) الحور : النقصان.

(74) إفراق : شفاء وبرء.

(75) السبيئة : المشتراة.

(76) غالها : أهلكها.

(77) نواخس : جمع ناخس عن الفعل نخس الدابة إذا غرز في جنبها أو مؤخرتها عودا أو نحوه.

(78) قضض : الحصى الصغار.

(79) الظبا : مفردها ظبة، وهي حد السيف السنان والنصل والخنجر وما شابه ذلك. والجملة بيت شعر للمتنبي : =

تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ ٱلْبَطَارِيقُ[80] فِي ٱلدُّجَى ... وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

[الطويل]

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[81].

= فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا ... لَمَى شَفَتَيْهَا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِدُ

ديوان المتنبي بشرح العكبري : 275/1. والبيتان في يتيمة الدهر للثعالبي : 38/1 و83.

(80) البطاريق : ج. بطريق، القائد العظيم من الروم. والبيت للمتنبي بشرح العكبري : 276/1.

(81) الممتحنة : 10.

11 ـــ بَابٌ مِنْهُ[1]

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ إِبناً وَأَباً، فَجَعَلَ ٱلأَبَ فِي وُجُودِ ٱلإِبنِ سَبَباً، وَكُلٌّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُتَكَوِّنٌ، فَلاَ تُنَازِعْ فِيمَا هُوَ بِنَفْسِهِ بَيِّنٌ، وَلَمَّا ضَايَفَ بِحِكْمَتِهِ بَيْنَ ٱلْبُنُوَّةِ وَٱلأُبُوَّةِ أَكَّدَ حَقَّ ٱلأُبُوَّةِ عَلَى ٱلْبُنُوَّةِ، وَأَحْكَمَ فِي ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ ٱلْمَتْلُوَّةِ مَا أَحْكَمَ عَلَى لِسَانِ ٱلنُّبُوَّةِ، وَأَمَرَ كُلَّ أَخٍ بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى حُقُوقِ ٱلأُخُوَّةِ، فَكَبِيرٌ يَرْفِقُ صَغِيرَهُ، وَصَغِيرٌ يُوَقِّرُ بِٱلْوَاجِبِ كَبِيرَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا. إِنَّ لأُمُومَةِ ٱلأُمِّ حَقّاً عَظِيماً وَإِنَّ لِلْعَمِّ بِعُمُومَتِهِ لَخُصُوصاً مِنَ ٱلْبِرِّ وَعُمُوماً، وَٱلْخَالُ أَحَدُ ٱلأَبَوَيْنِ فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ تَفُزْ بِٱلْحُسْنَيَيْنِ. وَقَدْ بَاهَى رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْخَالِ، وَكَسَتِ ٱلْخُؤُولَةُ سَعْدَ[2] ٱبنَ مَالِكٍ فَخْراً آنَقَ مِنْ بُرُودِ ٱلْعَصْبِ [وَٱلْخَالِ][3] وَقَدْ تَكُونُ ٱلأُمُّ أَمَةً فَلاَ يَعْدَمُ إِبْنُهَا تَكْرِمَةً وَلاَ يُغِبُّ[4] مَكْرُمَةً وَتَشُدُّ أُمُوَّتُهَا لِقَوْمِهَا ظَهْراً، كَمَا أَوْجَبَ مَكَانَ هَاجَرَ وَمَارِيَةَ لِلْقِبْطِ نَسَباً وَصِهْراً، فَتِلْكَ أُمُّ ابْنِ ٱلْخَلِيلِ وَهِيَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَهَذِهِ أُمٌّ لإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلرَّسُولِ وَخِيرَةُ ٱلْمُصْطَفَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْجِيلِ، وَٱلشَّأْنُ بَعْدُ فِيمَا أَنْتَ بِهِ عَامِلٌ فَكُنْ [عَلَى][5] تَقْوَى ٱللَّهِ وَٱلشَّرَفُ

---

(1) الضمير يعود على المصادر أي باب من المصادر يلحق بالباب الذي قبله والفصل بين هذين البابين عند أبي الربيع فقط إذ لا يوجد في **فصيح ثعلب** إلا باب من المصادر.

(2) عنه قال ابن أبي الخصال في قصيدته «معراج المناقب» :

وَلاَ خَالَ إِلاَّ دُونَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ   وَلَوْ كَانَ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَيَعْـرُبِ

انظر الاكتفاء : 38/1. وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، والخال : ضرب من البرود.

(4) غبَّ : بَعُدَ.

(5) غير واضحة في الأصل، الورقة : 96.

لَكَ شَامِلٌ. أَدِّ حَقَّ ٱلْعُبُودِيَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ وَخَلِيءٌ[6] فِي يَدَيْهِ، وَمِنَ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْمَفْقُودَةِ إِهْمَالُ حَقِّ ٱلْعُبُودَةِ، فَفَارِقْ ذَلِكَ ٱلْفَرِيقَ، وَلاَ تَسْلُكَنْ تِلْكَ ٱلطَّرِيقَ، فَقَدْ قَالَ مَنْ أَتَانَا ٱللَّهُ بِهِ هُدىً وَنُوراً، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، وَلَمَا خُيِّرَ سَلَكَ سَبِيلاً قَصْداً فَقَالَ بَلْ نَبِيّاً عَبْداً، فَهَلْ تَجِدُ لِهَذَا ٱلْمَجْدِ نِدّاً أَوْ تَقْدِرُ أَنْ تَتَجَاوَزَ فَوْقَ هَذَا ٱلْحَدِّ حَدّاً ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ آتِي ٱلرَّحْمَانَ عَبْداً﴾[7].

إِغْتَنِمْ شَبَابَكَ أَيُّهَا ٱلْغُلاَمُ فَسَتَأْتِي عَلَى غُلُومِيَّتِكَ ٱلأَيَّامُ فَبَادِرْ مَا سَاعَدَتْكَ ٱلْغُلُومَةُ، فَإِنَّ مُدَّتَهَا مَعْلُومَةٌ، وَهِيَ عَنْكَ لاَبُدَّ مَصْرُومَةٌ، ثُمَّ إِنْ فَسَحَ ٱللَّهُ لَكَ أَجَلاً صِرْتَ بَعْدَهَا رَجُلاً، فَاسْتَوْسَعْتَ ٱلْمَجَالَ وَأَصْبَحْتَ تُنَاطِحُ بِرُجُولِيَّتِكَ ٱلرِّجَالَ، وَلَرُبَّمَا نَجَلْتَ[8] ٱلأَنْجَالَ وَكُنْتَ ٱلسَّيِّدَ ٱلْبَجَالَ[9]، وَبَلَغَتْ بِكَ رُجُولَتُكَ، وَإِنْ قَصَّرَتْ قَبِيلَتُكَ ٱلْغَايَةَ وَٱلْكَمَالَ، فَلاَ يُلْهِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَلاَ تَرْجِعَنَّ عَنِ ٱلْيَقِينِ إِلَى حَيْرَةِ ٱلإِشْتِبَاهِ، زِدْهُ خِدْمَةً يَزِدْكَ نِعْمَةً وَاهْجُرْ فِيهِ وَصْمَةً يُخَوِّلْكَ تَوْفِيقاً وَعِصْمَةً، وَرُبَّمَا وَهَبَكَ جَارِيَةً تَنْفِقُ جِرَاءَهَا[10] فِي خَفَرٍ وَصَوْنٍ، وَتُحْرِقُ نُظَرَاءَهَا بِمَا تَجْعَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُنَّ مِنْ بَوْنٍ، وَلاَ نُكْرَ عَلَى كَرَمِ مَوْلاَكَ ٱلَّذِي وَهَبَهَا لَكَ حَصِيفَةً أَنْ يُخْدِمَهَا وَصِيفَةً وَصَافَتُهَا حَسَنَةٌ، وَحَصَافَتُهَا مُتَمَكِّنَةٌ، فَيَجْتَمِعُ إِلَى تِلْكَ ٱلْحُرَّةِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱلأَوْصَافِ هَذِهِ ٱلْوَصِيفَةُ ٱلْحَمِيدَةُ ٱلإِيصَافِ. كَمْ وَلِيدٍ طَمِعَ لَهُ أَبُوهُ فِي تَخْلِيدٍ، فَمَا كَادَتِ ٱلأَقْدَارُ تُتِمُّ لَهُ وِلاَدَةً إِلاَّ وَأَبُوهُ يَسْتَقْرِضُ عَلَى ثُكْلِهِ جَلاَدَةً، وَسِيَّانِ عِنْدَ ٱلْمَنِيَّةِ حَالُ ٱلْهَرَمِ وَٱلْوَلِيدِيَّةِ، وَرُبَّمَا مُتِّعَ ٱلشَّيْخُ بِشَيْخِهِ،

---

(6) خلئ : من خلأ الإنسان يخلأ خلوءا : إذا لم يبرح مكانه.

(7) الآية 94 من سورة مريم.

(8) نجلت : أنجبت أولادا.

(9) البجال : الرجل الذي يبجله أصحابه ويسودونه.

(10) جراءها : صباها. يقال في الجارية : الفتية من النساء بيّنة الجَراية والجَرَاء والجَرَى والجِرَاء والجَرَائِيَّة، ومنه قول الأعشى :

وَٱلْبِيضُ قَدْ عَنَسَتْ وَطَالَ جِرَاؤُهَا ... وَنَشَأْنَ فِي قِنٍّ وَفِي أَذْوَادِ

وَبَاعَدَتِ ٱلسِّنُونَ مَا بَيْنَ مُفْتَتَحِ عُمُرِهِ وَمُنْسَلَخِهِ، فَصَحِبَ[11] دَهْراً سَمَلَ[12] ٱلشَّيْخُوخَةِ يُطِيلُ ٱلأَمَلَ كَأَنَّ ٱلْمَنَايَا لَيْسَتْ عَلَيْهِ بِٱلْمُنِيخَةِ، فَخَفَّ عَلَى هَذَا ٱلتَّشْيِيخِ أَنْ لاَ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى ٱلتَّخْفِيفِ [عَنْهُ][13] فِي أُخْرَاهُ وَٱلتَّشْيِيخِ، بَلْ يَزِيدُهُ ثِقْلاً إِلَى ثِقْلٍ، وَيُبَيِّنُ نَقْصَهُ فِي دِينٍ وَعَقْلٍ، وَمَا أَقْرَبَ هَذَا ٱلْمُتَوَقَّعَ مِنَ ٱلصِّدْقِ عَلَى قَوْلِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ ٱلْحَقِّ : ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾[14] فَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ شَيْخُوخِيَّةٍ مَا أَشْبَهَهَا بِحَالَةٍ مُسُوخِيَّةٍ، وَهُوَ — وَإِنْ عُمِّرَ عُمْرَ نَسْرٍ — وَاقِعٌ مِنَ ٱلْمَنَايَا فِي أَوْثَقِ أَسْرٍ، وَلاَبُدَّ لِوَعْدِ ٱلْمَوْتِ مِنَ ٱلتَّنْجِيزِ فِي ٱلشَّيْخِ ٱلْهِمِّ[15] وَٱلْعَجُوزِ ٱلْبَيِّنَةِ ٱلتَّعْجِيزِ. إِنَّ ٱلأَيِّمَ[16] إِذَا أَمَّتْ[17] جَنَابَ ٱلْعَفَافِ لِتُخَيِّمَ خَلِيقَةٌ بِأَنْ يَكْنُفَهَا ٱللَّهُ مِنْ ذُلِّ ٱلأَيْمَةِ وَيَقِيَهَا زَمَانَ ٱلْجَدْبِ مِنَ ٱلْعَيْمَةِ[18]، فَتُصْبِحَ عَلَى وَهْنِ ٱلأُيُومِ[19] غَنِيَّةً عَنِ ٱلْقَيِّمِ[20] بِٱلْقَيُّومِ[21]، إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

إِنْ وَلَدَتْ امْرَأَةُ ٱلْعِنِّينِ[22] فَقَالُوا مَا لِلْوِلاَدَةِ وَٱلتَّعْنِينِ، فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً فَلاَ تُنْكِرُوا أَنْ تُخَصَّ ٱلْعِنِّينَةُ

---

(11) وضع فوق الكلمة «معا» وفي طرة الكتاب فسحب وعليها أيضا علامة «معا»، الورقة : 96.

(12) السمل : الثوب الخلق.

(13) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 96.

(14) الآية 67 من سورة يس.

(15) الهم : بكسر الهاء : الشيخ الكبير.

(16) الأيم : الجمع أيامى : الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء.

(17) أمت : اتجهت وقصدت.

(18) العيمة : الشهوة إلى اللبن وقد تقدم شرحها ص 43.

(19) الأيوم : مصدر للفعل أم يئم أيمة وأيوما.

(20) القيم : الزوج الذي يقوم بمصالحها.

(21) القيّوم : من أسماء الله تعالى.

(22) العنّين : الذي لا يأتي النساء. وفي الفصيح : العنين بين العنية والتعني، ص 283. وامرأة عنينة : لا تريد الرجال.

مِنْ هَذَا بِوَصْفٍ يَعْقِبُ بُنُوَّةً، وَهَبْكَ أَنَّ ٱلْعِنِّينَةَ بَائِنَةٌ، فَمَا مِنْ نُفَسَةٍ بِكَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِلاَّ وَهِيَ كَائِنَةٌ، وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَبِيَدِهِ سُبْحَانَهُ ٱلإِيجَادُ وَٱلإِنْشَاءُ.

إِنَّ ٱللِّصَّ قَدْ أَحْكَمَ ٱللَّهُ فِي قِطْعِهِ ٱلنَّصَّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱللِّصُّ أَنْ يُقْطَعَ إِذَا عَلِقَ بِهِ ٱلشِّصُّ[23]، مَا أَبْعَدَ ٱللُّصُوصِيَّةَ مِنَ ٱلإِيمَانِ وَأَوْلَى مُؤْثِرَهَا نَسِيمَةَ أَثَرَةٍ بِٱلْحِرْمَانِ، تِلْكَ خَلَّةٌ لاَ يَرْضَى بِهَا حُرٌّ، وَلاَ تَقْتَضِي ٱلْحَرُورِيَّةُ ٱلْمَحْضَةُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهَا شَرٌّ، إِنْ خَصَصْتُكَ يَوْماً بِٱلْعِتَابِ فَلاَ تَرْتَبْ، فَتِلْكَ خُصُوصِيَّةُ ٱلأَحْبَابِ، لَوْ لَمْ أُحِبَّكَ لَمْ أُعَاتِبْ، إِنَّ ٱلْوُدَّ مَعَ ٱلْعِتَابِ رَاتِبٌ[24]. وَيَا فَارِساً عَلَى ٱلْخَيْلِ يَخْتَالُ، لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغْتَالُ أَوْ تُغْتَالُ إِذَا لَقِيَكَ ٱلأَقْتَالُ[25]، إِنَّ ٱلْفُرُوسِيَّةَ صَالِحَةٌ لِلإِغْتِيَالِ، وَمَوْقِفُ ٱلْحَرْبِ يُسْتَحْسَنُ فِيهِ قَبِيحُ ٱلإِخْتِيَالِ، وَيَسُوغُ فِيهَا مَحْظُورُ ٱلْخَدِيعَةِ وَمَذْمُومُ ٱلإِحْتِيَالِ، فَإِنِ اغْتَلْتَ فَاهْنَأْ فُرُوسَةً تَظَلُّ بِهَا دُرُوبُ ٱلإِسْلاَمِ مَحْرُوسَةً، وَإِنِ اغْتَالَكَ سِوَاكَ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاكَ، ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[26]. إِنَّهُ لَيَقْضِي فِيكَ بَيِّنُ[27] ٱلْفِرَاسَةِ بِصَلاَحِكَ لِلْحِرَاسَةِ هَذَا ٱلَّذِي أَتَفَرَّسُ وَبِمِثْلِكَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تُحَاطُ ٱلثُّغُورُ وَتُحْرَسُ.

حَلَمْتُ فِي ٱلنَّوْمِ فَكَتَمْتُ ذَلِكَ عَنِ ٱلْقَوْمِ، أَضَنُّ[28] حِينَ أَحْلُمُ بِٱلإِعْلاَمِ، إِمَّا لأَنَّ ٱلرُّؤْيَا مِنْ أَضْغَاثِ ٱلأَحْلاَمِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ ٱلثِّقَةِ بِمَوَدَّاتِ ٱلأَنَامِ، أَوْ عَدَمِ ٱلْفَهْمِ فِيهِمْ وَٱلإِفْهَامِ، وَلاَ تُقَصُّ ٱلرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى حَبِيبٍ أَوْ لَبِيبٍ، وَقَدْ أَوْرَثَنِي فَقْدُ هَذَيْنِ فَيْضَ دَمْعٍ صَبِيبٍ، فَإِنْ أَخْبَرْتُ غَيْرَهُمَا بِمَا أَنَا بِهِ حَالِمٌ فَإِنَّمَا أَنَا لِنَفْسِي ظَالِمٌ، وَلَنْ يُوجَدَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنِّي ٱلظُّلْمُ، فِيمَا جَرَى بِهِ وَسَنِي ٱلْحُلْمُ.

---

(23) الشص : حديدة عقفاء يصطاد بها السمك.

(24) راتب : دائم.

(25) الاقتال : الأعداء، مفردها قتل بكسر القاف وبسكون العين.

(26) الآية 169 من سورة آل عمران.

(27) بين الفراسة : الذي يتفرس في الأشياء وينظر فيها.

(28) أضن : أبخل.

حَلُمْتُ[29] عَنْ بَاغٍ عَلَيَّ أَحْلُمُ لأَجْلَبَ ٱلأَجْرَ إِلَيَّ، إِنَّ ٱلْحِلْمَ لَخُلُقٌ كَرِيمٌ وَفَضْلُ غَرِيزَةٍ يَكْفِي فِيهَا قَوْلُ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعَلِيمِ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[30].

أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلْمُسْتَصْحِبُ لِخِلاَلِهِ ٱلْمُسْتَدِيمُ، «أَدَابِغَةٌ وَقَدْ حَلِمَ[31] ٱلأَدِيمُ»[32] فَهَلاَّ اعْتَمَلْتَ حِينَ يَحْلَمُ فِي أَنْ يَجْرِيَ بِصَالِحَةٍ عَنْكَ ٱلْقَلَمُ، فَإِذْ قَدِ اسْتَهَنْتَ مِنْ أَدِيمِكَ حَلَماً، فَأَخْشَى أَنْ تَرْفَعَ بَعْدُ فِي خَيرٍ عَلَماً، وَلاَ تُرِيحَ ٱلْكَاتِبَيْنِ قَلَمَا فَإِنْ قَذِيَتْ عَيْنُكَ فَأَنْتَ بِسُوءِ عَمَلِكَ أَقْذَيْتَهَا[33]، فَاصْبِرْ لِلْجِنَايَةِ إِذَا جَنَيْتَهَا وَلَعَلَّهَا لَمْ تَكُنْ تَقْذَى[34] قَذىً لَوْ لَمْ يَلْحَقْهَا مِنْ إِقْذَائِكَ أَذىً، فَاسْعَ كَيْفَ تَقْذِي[35]، فَإِنَّهَا إِنْ قَذَتْ زَالَ عَنْهَا بِٱلْقَذْيِ ٱلتَّأَذِّي، وَإِلاَّ فَاسْتَعْمِلْ لَهَا تَقْذِيَةً، إِنْ قَذَّيْتَهَا[36] لَمْ تُوجِدْ أَذِيَّةً، وَإِنَّكَ يَا هَذَا لَبَطَّالٌ[37]، وَفِيكَ بِصَالِحِ ٱلأَعْمَالِ مِطَالٌ، لَقَدْ بَطَلْتَ فَأَزْرَتْ بِكَ ٱلْبَطَالَةُ، فَهَلْ تُجْدِي فِيكَ ٱلإِطَالَةُ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ بَطَّالٍ وَبَطَلٍ، أَيْنَ مِنَ ٱلْمُسَدَّدِ ٱلْمُصِيبِ ذُو خَطَلٍ[38]. إِنَّ ٱلْبُطُولَةَ لَنِعْمَ ٱلْخَبِيئَةُ فِي ٱلإِنْسَانِ، وَإِذَا بَطَلَ ٱلرَّجُلُ لَحِقَ بِمَقَامِ ٱلإِحْسَانِ، لاَ تُبَالِ بِسَاعٍ يُحِيلُ[39] وَيُبْطِلُ، فَإِنَّ ٱلْحَقَّ يَحِقُّ وَٱلْبَاطِلَ يَبْطُلُ، وَكَمْ بَطَلَ سَعْيُ أَمْثَالِهِ، وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى

---

(29) حلمت : عفوت.

(30) الآية 115 من سورة التوبة.

(31) حَلِمَ : إذا فسد الجلد وأحدثت الديدان فيه ثقوبا.

(32) من أمثال العرب. انظر فصل المقال، ص 180، 472. ويضرب المثل في الأمر الذي انتهى فساده، ونسبته لخالد بن معاوية الأسدي.

(33) أَقْذَيْتها : ألقيت فيها القذى.

(34) تَقْذى : يصير فيها قذى.

(35) تَقْذي : تلقي ما بها من قذى.

(36) قَذَّيْتها تَقْذِيَةً : إذا أخرجت منها القذى.

(37) بطال : بيّن البطالة.

(38) خطل : الحمق والعجلة.

(39) من الحيلة والقوة.

إِبْطَالِهِ، ٱللَّهُ كَفِيلٌ بِبُطُولِ ٱلْمَيْنِ[40]، يَا وَيْحَ ذِي بُطْلٍ بَعْدَ ٱلْحَيْنِ، خَزِيَ[41] فِي ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَخْزَى، وَظَفِرَ بِأَخَسِّ نَسَبٍ مَنْ كَانَ إِلَى عَذَابِ ٱلْخِزْيِ يُعْزَى، لاَ كَٱلْكَرِيمِ خَزِيَ[42] أَنْ إِلَى رَذِيلَةٍ عُزِيَ، وَلاَيَزَالُ خُزْيَانَ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ ٱلإِعْرَابَ عَنِ اسْتِحَالَةِ ذَلِكَ وَٱلْبَيَانَ، وَمَنْ كَانَ يَخْزَى مِنْ أَمْثَالِهَا فَحَرَى أَنْ يَبْعُدَ عَنِ ٱنْتِحَالِهَا وَأَمْثَالِهَا، دَلَّتِ ٱلْخَزَايَةُ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ مِنْ فَعَالٍ عَلَى خُلُقٍ عَالٍ، وَقَدْ تَبِيتُ ٱلْمَرْأَةُ خَزْيَى سَادِرَةً إِنْ طَلَقَتْ[43] لِرِيبَةٍ وُجِدَتْ عَنْهَا صَادِرَةً، فَإِنْ طَلَقَتْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ يَلْحَقُ ٱلطَّالِقَ ٱلْوَدُودَ وَٱلْفَارِكَ، رُبَّ حَسْنَاءِ طَالِقٍ وَشَرْهَاءَ لَيْسَ زَوْجُهَا لَهَا بِمُفَارِقٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ ٱلْخَالِقِ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ طُلِّقَتْ[44] أَنْ جَاءَتْ بِجَارِيَةٍ لَمَّا طُلِقَتْ[45]، وَإِنَّ رَبَّنَا ٱلْحَلِيمَ ٱلشَّكُورَ هُوَ ٱلَّذِي ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ﴾[46] وَلَكِنَّ ٱلْجَاهِلَ يَسُوءُ مِنْهُ ٱلْخُلُقُ إِذَا تَمَخَّضَ عَنْ أُنْثَى ٱلطَّلْقُ، وَلَوْ وَلَدَتْ مَكَانَ ٱلْجَارِيَةِ غُلاَماً لاَزْدَادَتْ مِنْ قَلْبِهِ عَلاَقَةً، وَطَلُقَ[47] لَهَا وَجْهُهُ طَلاَقَةً، وَلَطَلَّقَ[48] لَهَا يَدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ بِمَا يَمْلأُ ٱلْبَيْتَ وَلَمْ يُحْوِجْ إِذْ أَطْلَقَهَا أَنْ يُنْشِدَ هَذَا ٱلْبَيْتَ :

أَطْلِقْ يَدَيْكَ تَنْفَعَاكَ يَا رَجُلْ ... وَاعْتَضْ مِنَ ٱلرَّيْثِ بِمَحْمُودِ ٱلْعَجَلْ[49]

[الرجـــز]

---

(40) المين : الكذب.

(41) خزي : هان.

(42) خزي : استحيى.

(43) طَلَقَت : من طلق الولادة.

(44) طُلِّقَت : بانت عن زوجها بالطلاق.

(45) طُلِقَت : ولدت.

(46) الآية 49 من سورة الشورى.

(47) طَلُقَ : سمح وجهه وانبسطت أساريره.

(48) طَلَّقَ يده : أرسلها بالنفقة والخيرات.

(49) البيت غير منسوب، رواه ثعلب في **الفصيح**، ص 284.

أطلق يـديك تنفعـاك يـا رجـل ... بالرّيث مـا أرْوَيْتَهـا لا بالعجـل=

وَبِقَصْدٍ مَّا غُيِّرَ ٱلشَّطْرُ ٱلأَخِيرُ، فَٱلأَلْيَقُ بِهِ هُنَا هَذَا ٱلتَّغْيِيرُ. وَلَمْ يَزَلْ مُعْتَاداً عَلَى مَرِّ ٱلدُّهُورِ أَنْ يُرَى أَبُو ٱلذَّكَرِ طَلْقَ ٱلْوَجْهِ كَأَنَّمَا بُشِّرَ بِأَنَّ ٱبْنَهُ غُلاَمٌ عَلِيمٌ وَفِي ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلْمَسْطُورِ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[50]. وَقَدْ يُرَى وَجْهُ ٱلرَّجُلِ طَلِيقاً، وَإِنَّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَحَرِيقاً، وَٱلْحُرُّ يَتَجَمَّلُ[51] وَيَتَحَمَّلُ مِنْ عِبْءِ [ٱلْغُمُومِ][52] مَا يَتَحَمَّلُ، يُزَجِّي أَيَّامَ ٱلزَّمَانِ كَمَا تَكُونُ، وَيَلْقَى حَرَكَتَهَا كَأَنَّمَا لَقِيَهُ مِنْهَا ٱلسُّكُونُ، وَسُكُونُ ٱلأَيَّامِ عَدِيمٌ، وَدَاءُ ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ قَدِيمٌ. مَا أَقَلَّ ٱلْيَوْمَ ٱلطَّلْقَ[53] فِي ٱلأَيَّامِ، وَأَعْدَمَ ٱللَّيْلَةَ ٱلطَّلْقَةَ فِي لَيَالِي ٱلْعَامِ، وَأَقَلَّ مِنْهُمَا ٱلْمُنْجِدُ عَلَى خَيْرٍ مِنَ ٱلأَقْوَامِ، وَمَا أُرِيدُ بِطَلاَقَةِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِلاَّ سَجَاحَةَ[54] ٱلْمَدَارِ وَإِقْشَاعَ سُحُبِ ٱلنَّوَائِبِ عَنْ جَوِّ ٱلإِيرَادِ وَٱلإِصْدَارِ، وَأَمَّا سُكُونُ ٱلْهَوَاءِ، وَصَفَاءُ دِيبَاجَةِ ٱلسَّمَاءِ، وَٱرْتِفَاعُ أَلَمِ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ عَلَى السَّوَاءِ فَقَدْ يُوجَدُ هَذَا كَثِيراً، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً، فَمَنْ لِي بِيَوْمٍ طَلْقٍ كَأَنَّمَا يُطْلِقُ ٱلنُّفُوسَ مِنْ عِقَالٍ، وَلَيْلَةٍ طَلْقَةٍ يَجِدُ فِيهَا

= وتصرف أبو الربيع في تغيير شطره الثاني بما يناسب الموضوع وأشار إلى ذلك في العبارة التي تلي البيت.

ونسبه أبو العباس التدميري في **شرح غريب الفصيح**، الورقة : 29 : «لِرَجُل من الاعراب يلوم أخاه على الإساءة في إيراد الإبل والخرق فيه فيقول :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ   يَا سَعْدُ مَا تُرْوَى بِهَا ذَاكَ ٱلإِبِلْ

أَطْلِقْ يَدَيْكَ تَنْفَعَاكَ يَا رَجُلْ   بِٱلرَّيْثِ مَا أَرْوَيْتَهَا لاَ بِٱلْعَجَلْ

وَبِٱلْجِبَا سَقَّيْتَهَا لاَ بِٱلْقَبَلْ»

الجبا : الماء المجموع في الحوض، القبل : الماء المصبوب على أفواه الإبل.

وفي **شرح الفصيح** لابن هشام اللخمي، ص 31 :

أطلق يديك تنفعاك يا رجل   بالريث ما أرويتها لا بالعجل

ويروى بالريث ما أوردتها وهو الصواب لأن بعده : وبالجبا أرويتها لا بالقبل».

(50) الآية 58 من سورة النحل.

(51) يتجمل : يتصبر.

(52) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 98.

(53) اليوم الطلق والليلة الطلقاء اللذان لا حر فيهما. وقصد أبو الربيع إلى معنى خلوهما من الاكدار.

(54) سجاحة : ليونة وسهولة.

ٱلسَّارِي إِلَى ٱللَّهِ حُسْنَ ٱلْمَعُونَةِ عَلَى ٱلإِرْقَالِ(55)، وَلاَ يَخْلُو ٱلْيَوْمُ ٱلْقَارُّ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنَ ٱلْقِرَّةِ(56)، وَهُوَ ٱلَّذِي عَنَوْهُ بِٱلْيَوْمِ ٱلْقَرِّ وَٱللَّيْلَةِ ٱلْقَرَّةِ، أَوْ يَكُونَ ذَلِكَ مَأْخُوذاً مِنَ ٱلْقَرَارِ(57)، فَيَكُونَ كَٱلْيَوْمِ ٱلطَّلْقِ وَٱللَّيْلَةِ ٱلطَّلْقَةِ فِي ٱلإِعْتِبَارِ، فَإِنْ كَانَ فِي ٱلْمُؤَوَّلِ مِنَ ٱلأَوَّلِ، فَإِذَا قَرَّ يَوْمُكَ فَأَعِدَّ لَهُ حِينَ يَقِرُّ دِفْئاً، فَقَدْ جَعَلَهُ ٱللَّهُ لِلْقُرِّ(58) كُفْئاً، وَإِنْ كَانَتْ فِي ذَلِكَ ٱلْمَعَانِي بِٱلإِعْتِبَارِ ٱلثَّانِي، فَأَنَّى لِي بِيَوْمٍ قَارٍّ، آمَنُ فِيهِ مِنْ عَدُوٍّ مُضَارٍّ، وَلَيْلَةٍ قَارَّةٍ بِخَفْضِ ٱلأَرَاذِلِ سَارِيَةٍ وَبِرَفْعِ ٱلأَفَاضِلِ سَارَّةٍ، فَكَأَنَّهَا مِنْ لَيْلِ تِهَامَةَ لاَ حَرٌّ وَلاَ قَرٌّ وَلاَ مَخَافَةَ وَلاَ سَآمَةَ، ٱللَّهُمَّ فَاجْعَلْ أَيَّامَنَا وَلَيَالِيَنَا بِرِضَاكَ قَرَّةً، وَلاَ تُعْدِمْنَا أُنْساً بِغُفْرَانِكَ وَمَسَرَّةً. إِنْ حَرَّ يَوْمُكَ فِي ٱلْيَهْمَاءِ(59) وَأَنْتَ مِنَ ٱلْمُخْلِصِينَ لِمَالِكِ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ، فَلاَ يَطُلْ حَوْمُكَ(60) إِذْ يَحِرُّ يَوْمُكَ، وَاسْتَسْقِ رَبَّكَ بَرْدَ ٱلْمَاءِ فَإِنْ شَاءَ أَنْبَطَهُ لَكَ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ، وَأَوْجَدَكَ ٱلْبَرُودَ ٱلْمَوْرُودَ فِي وَطِيسِ ٱلْحَرَارَةِ فَٱلْقُدْرَةُ ٱلْقَاهِرَةُ تُحِيلُ ٱلْحَرَّ بَرْداً وَٱلْبَرْدَ حَرّاً، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِ ٱللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللَّهِ لَمَا عَدِمَ مِنْ كَرَمِهِ لِقَسَمِهِ مُبِرّاً.

حَرَّ(61) ٱلْمَمْلُوكُ بِقَصْدِ ٱلْقُرْبَةِ مِنْ مَالِكِهِ فَبُشْرَى [لَهُ](62) بِنَقَاءِ مَسَالِكِهِ وَٱلأَمَانِ مِنْ مَعَاطِبِهِ وَمَهَالِكِهِ، فَٱلْمَمْلُوكُ ٱلْيَوْمَ يَحَرُّ، وَٱلْمَالِكُ غَداً يُسَرُّ، وَإِنْ كَانَ إِعْتَاقُ ٱلْعَبْدِ بِغَيْرِ هَذَا ٱلْقَصْدِ، فَٱلْعَبْدُ يُحْرِزُ حَرَارَهُ(63)، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِعْلاَنَ ٱلْمُعْتِقِ وَإِسْرَارَهُ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. قُلْ لِمَنْ حَاوَلَ بِٱلْبَاطِلِ أَنْ يَعِزَّ، إِنَّكَ لَمْ تُصِبِ

---

(55) الإرقال : ضرب من عدو الإبل فوق الخبب.

(56) القِرَّة : بكسر القاف ما أصاب الإنسان وغيره من القُرّ أي البرد.

(57) القَرَار : بفتح القاف الاستقرار والهدوء.

(58) القُرّ : بضم القاف البرد.

(59) اليهماء : الفلاة لا حياة فيها.

(60) حومك : طوافك حول الماء.

(61) حر المملوك : أصبح حرا.

(62) تصحيح من هامش الكتاب، الورقة : 99.

(63) حراره : حريته.

ٱلْمَحَزِّ[64]، أَنْتَ ٱلذَّلِيلُ وَإِنْ رَغِمْتَ، فَقَدْ نَقَضَ عَلَيْكَ ٱلذُّلُّ مَا أَبْرَمْتَ، ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[65]، وَٱلذِّلَّةُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لِأَمْرِهِ مُطِيعاً سَمِيعاً، فَإِنْ كَرِهْتَ ٱلْمَذِلَّةَ، فَارْجِعْ إِلَى ٱللَّهِ يَرْفَعْ تِلْكَ ٱلْعِلَّةَ، لاَ تُنَالُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلدَّابَّةِ ٱلذَّلُولِ، وَإِنْ بَانَ ذِلُّهَا، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِهِ ٱلدَّارُ ٱلَّتِي أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، تَظَلُّ مِنَ ٱلشَّرَابِ نَشْوَانَ، وَلِخَبَايَا أَسْرَارِ ٱلْمُسْلِمِينَ نَشْيَانَ[66]، ثُمَّ تَلْتَمِسُ ٱلْعِزَّةَ بَيْنَ ٱلنَّشْوَةِ مِنَ ٱلْمَحْظُورِ، وَٱلنِّشْوَةِ لِلْخَبَرِ ٱلْمَسْتُورِ، إِنَّ ذَلِكَ وَٱللَّهِ لَعَيْنُ ٱلْغُرُورِ، ضَافَكَ ٱلضَّيْفُ فَمَا قَرَيْتَهُ[67]، وَقَرَيْتَ[68] ٱلْمَاءَ فِي ٱلْحَوْضِ ثُمَّ حَمَيْتَهُ، فَإِذَا مَنَعْتَ ابْنَ ٱلسَّبِيلِ وُرُودَ ٱلْمَاءِ وَأَبَيْتَ أَنْ تَقْرِيَ ٱلضَّيْفَ سَدِيفَ[69] ٱلْكَوْمَاءِ، فَمَا أَنْتَ فِي ٱلدَّهْمَاءِ[70]، لَقَدْ جِئْتَ بِعَارِ ٱلنَّهَارِ وَٱلظَّلْمَاءِ، أَنْتَ تُنْزِلُ ٱلضَّيْفَ فَتَقْرِيهِ، أَمْ رَبُّكَ هُوَ ٱلَّذِي أَرَاكَ مَا تُرِيهِ، وَمَاؤُكَ ٱلَّذِي بَخِلْتَ بِهِ عَلَى ٱلْوَارِدِينَ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[71]. مَا أَوْلاَكَ إِذَا مَنَعْتَ ٱلْقَرَاءَ أَنْ يُخْلِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ٱلأَهْرَاءَ[72] وَأَقْرَبَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ لِلْفَرِيقَيْنِ مِنْ صَادٍ[73] وَقُصَّادٍ قِرًى، أَنْ لاَ تَجِدَ بَعْدَهَا لَذَّةَ كَرًى، وَأَنْ يَذُودَكَ ٱللَّهُ عَنْ رِزْقِهِ ٱلْمَعْهُودِ وَمَائِهِ ٱلْمَوْرُودِ :

ذِيَادَ ٱلصَّوَادِي عَنْ قِرَى ٱلْمَاءِ بَعْدَمَا أَتَى بِٱلْفَلَى سَبْعٌ لَهَا وَثَمَانِ[74]

[الطويـل]

---

(64) المحز : موضع القطع.

(65) الآية 140 من سورة النساء.

(66) النشيان للاخبار : الذي يخبرها.

(67) قريته : أطعمته.

(68) قريت الماء : جمعته.

(69) سديف : لحم السنام، والكوماء : الناقة العظيمة السنان.

(70) الدهماء : من معانيها الجماعة من الناس.

(71) الآية 30 من سورة الملك.

(72) الاهراء : مفردها هري وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان.

(73) صاد : والمؤنث صادية والجمع صَوَادِ : من الفعل صدي. بمعنى اشتد عطشه.

(74) البيت ذكر أبو العباس التدميري في شرح غريب الفصيح أن ثعلبا روى هذا البيت في بعض الروايات ولم ينسبه لقائله. الورقة 30.

أَيُّهَا ٱلْمُلِحُّ عَلَى ٱلأَرْضِ بِٱلْبَذْرِ بَعْدَ ٱلْبَذْرِ، مُسْتَظْهِراً مِنْ قِلَّةِ ذَاتِ ٱلْيَدِ، وَكَثْرَةِ ٱلأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ بِأَعْذَرِ ٱلْعُذْرِ، إِنَّكَ مَا قَرَوْتَ[75] ٱلأَرْضَ مُسْتَقْرِضاً جَدْوَاهَا لَمْ تَرْضَ ٱلْقَرْضَ، فَأَجِمَّهَا يَكْرُمْ لَكَ رِيعُهَا وَيَتَيَسَّرْ عَلَيْكَ إِنْ شِئْتَ بَيْعُهَا، فَإِنَّ فِي قَرْوِ ٱلأَشْيَاءِ مَا لاَ يُنْكَرُ مِنَ ٱلإِغْيَاءِ[76]. إِنْ شَفَّكَ[77] ٱلْمَرَضُ فَرَبُّكَ اسْتَشْفِ، فَلَنْ تَجِدَ سِوَاهُ لإِمَاطَةِ ٱلشَّفِّ[78]، يَشُفُّ ٱلسَّقَمُ ٱلصَّحِيحَ، فَيَكُفُّ ذَاكَ عَمَلَهُ ٱلْقَبِيحَ، وَلاَ يَأْلُو بَعْدَ ٱلْبُرْءِ أَنْ يُوَاقِعَ ٱلْمُحَرَّمَ وَيَسْتَبِيحَ، ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَيَا ذَا ٱلَّذِي شَفَّتْ[79] عَنْهُ بُرُودُهُ تَرَفاً، إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ سَرَفاً، وَمَنَعَكَ أَنْ تَمْشِيَ فِي ٱلنَّاسِ مُنْكَشِفاً، فَٱلْبَسِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنَ ٱللِّبَاسِ، وَخَلِّ مَا يَشِفُّ مِنَ ٱلثِّيَابِ لِلنَّاعِمَاتِ ٱلأَجْسَامِ ٱلْمُنْبَهِرَاتِ ٱلأَنْفَاسِ لَعَلَّهُنَّ فِي إِيثَارِ ٱلشُّفُوفِ أَعْذَرُ، وَٱللَّهُ ٱلْكَفِيلُ بِوِقَايَةِ مَا يُحْذَرُ.

إِنْ زَبَدَكَ[80] ٱلأَمِيرُ نَفِيساً مِنْ عَيْنٍ أَوْ عَرَضٍ، وَزَبَدَكَ جَارُكَ ٱلْمُوَاسِي صُفَاوَةَ لَبَنٍ مَحْضٍ، أَبْرَزَ خَالِصَهَا طُولُ مَخْضٍ، فَاشْكُرْ لِلَّذِي يَزْبُدُكَ ٱلْمَخِيضَ كَمَا تَشْكُرُ لِلَّذِي يَزْبِدُكَ ٱلصُّفْرَ وَٱلْبِيضَ[81]، فَكِلاَهُمَا عَامِلٌ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلإِحْسَانِ، وَٱلْقَلِيلُ وَٱلْكَثِيرُ فِي بَابِ ٱلْمَعْرُوفِ سِيَّانِ، وَلَعَلَّ صَاحِبَ ٱلْقَلِيلِ أَوْلَى بِٱلشُّكْرِ ٱلْجَزِيلِ، إِذَا كَانَ مُعْطِياً عَنْ خَلَّةٍ[82]، وَمُقَلِّلاً مَا يُعْطِيهِ بِعِلَّةِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ كَثْرَةِ قِلَّةٍ. إِنْ نَسَبْتَ ٱلرَّجُلَ إِلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ أَسْفَرَ ـ إِذْ تَنْسُبُهُ إِلَيْهِ ـ وَجْهُهُ، وَإِنْ نَسَبْتَهُ إِلَى أَبٍ لَئِيمٍ نَفَرَ فَاسْتَقْبَلَكَ لأَجْلِ تِلْكَ ٱلنِّسْبَةِ بِسُورُهُ[83]

---

(75) قروت : تتبعت الأرض من أرض إلى أرض.

(76) الإغياء : الغي.

(77) شفك المرض : إذا بلغ منك وأضمرك وأهزلك.

(78) الشف : بثر يخرج فيروح.

(79) شف الثوب : إذا رق ونم عما تحته.

(80) زبدك : أعطاك مالا، وزبدك جارك : أعطاك زبدة.

(81) الصفر والبيض : الذهب والفضة.

(82) خلة : حاجة وفقر.

(83) بسوره : عبوسه.

وَنَجْهُهُ[84]، وَ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[85]، فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ بِالْزُّرفَاتِ عَلَى مَا تَجَلَّلُوهُ مِنْ مَذْمُومِ ٱلصِّفَاتِ انْزِلُوا عَنْ مُرْتَقَاكُمْ، رُبَّ شَاعِرٍ نَسَبَ[86] بِكَرِيمَةِ قَوْمٍ فَبَاءَ بِمَا لَمْ يَشَأْ وَمَا شَاءَ مِنْ إِثْمٍ وَلَوْمٍ وَرُبَّمَا أَوْرَطَهُ نَسِيبُهُ مَعَ جَرِيءٍ غَيْرَانَ، فَيَظَلُّ خَائِفاً حَيْرَانَ، حَتَّى وَدَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَنْسِبُ بِهَا وَلَمْ يَصِلْ سَبَبُهُ فِي قَرِيظِهِ بِسَبَبِهَا.

شَبَّ ٱلصَّبِيُّ وَٱلشَّبَابُ شُعْبَةٌ[87] مِنَ ٱلْجُنُونِ، مَا كُلُّ مَنْ يَشِبُّ تُخْطِئُهُ سِهَامُ ٱلْمَنُونِ، كَمْ مِنْ ذِي شَبِيبَةٍ غَضَّةٍ اخْتُرِمَ، وَأَخَّرَتِ ٱلْمَنَايَا ذَا ٱلْفَنَدِ[88] ٱلْهَرِمَ، وَقَدْ فَرَغَ ٱللَّهُ فِي ٱلآجَالِ مِنَ ٱلإِنْظَارِ وَٱلإِعْجَالِ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى. اِمْتَطَى ٱلْفَارِسُ فَرَساً فَشَبَّ[89] مَا أَوْضَعَ[90] فِي [ٱلْمَيْدَانِ][91] وَلاَ خَبَّ، وَلِلْخَيْلِ أَخْلاَقٌ تَنْزُو[92] بِهَا وَتَلِينُ وَتَشِبُّ ثُمَّ يَتَلاَفَا شِبَابُهَا ٱلسُّكُونَ، وَلَيْسَ عِنْدَ ٱلْعَاقِلِ بِحَبِيبٍ أَنْ يَكُونَ ٱلْفَرَسُ ذَا شَبِيبٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَبَّ[93] قَوْمٌ بَيْنَهُمُ ٱلْحَرْبُ، وَتَصَافُّوا لِيَصْدُقَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ٱلضَّرْبَ، فَشَبَّ بِأَحَدِ ٱلْفَرِيقَيْنِ جَوَادٌ وَقَدْ دَنَا مِنْ سَوَادٍ سَوَادٌ، أَلَيْسَ مُعَرَّضاً أَنْ يَكُونَ قَتِيلَ فَرَسِهِ وَلَمْ يُغْنِ وَخَنِيقَ مَرَسِهِ[94] قَبْلَ ٱلضَّرْبِ وَٱلطَّعْنِ، وَإِنَّمَا شُبُوبُ ٱلْحَرْبِ كَشُبُوبِ ٱلنَّارِ يَشُبُّهَا قَوْمٌ

---

(84) نجهه : قبح رده عليك.

(85) الآية 13 من سورة الحجرات : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.

(86) نسب : تحدث عنها في شعره.

(87) شعبة : معناها هنا طائفة وقوله شعبة من الجنون من حديث ابن مسعود إذ شبه الشباب بالجنون الذي يزيل العقل لما في الشباب من الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار.

(88) الفند : الخطأ في الرأي والقول.

(89) شب الفرس : إذا رفع يديه جميعا من الأرض وهي صفة مذمومة فيه وغير مستحبة.

(90) أوضع : نوع من العدو فوق الخبب.

(91) غير واضحة في الأصل، الورقة : 100.

(92) تنزو : تثبت إلى أعلى.

(93) شبت الحرب : اندلعت.

(94) مرسه : حباله جمع مفرده مرسة وجمع الجمع أمراس.

فَيَنْجُونَ وَيَصْلَى بِشَبِّهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَعَلَى ذِكْرِ ٱلنَّارِ فَيَا مَنْ شَبَّ شَيْئاً مِنْهَا كُنْ عَلَى ذُكْرٍ مِنْ قَوْلِ ٱلْمُخْتَارِ ٱلَّذِي أَخَذَ بِنَوَاصِينَا عَنْهَا [لاَ تَتْرُكُوا ٱلنَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُوا](95). جَزَى ٱللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ خَيْراً، فَمَازَالَ جَاهِداً فِي أَنْ يَدْفَعَ عَنَّا فِي ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلآجِلَةِ ضَيْراً، وَيُبَاعِدَنَا عَنْ أَدْنَى ٱلنَّارِ فِي تِلْكَ ٱلدَّارِ وَفِي هَذِهِ ٱلدَّارِ.

إِذَا سَحَّتْ(96) سُحُبُ ٱلرَّحْمَةِ فِي ٱلْبِلاَدِ أَصَحَّتْ وَأَصْبَحَتْ شَاةُ ذِي ٱلْعِيَالِ وَقَدْ سَحَّتْ(97)، فَأَسْقَى ٱللَّهُ بِسَحِّ ٱلْعَهْدِ عِبَادَهُ مَاءاً غَدَقاً، وَوَجَدَ ٱلْبَائِسُ ذُو ٱلْجَهْدِ بِسُحُوحَةِ شَاتِهِ مُرْتَفَقاً، وَفِي قُدْرَةِ ٱللَّهِ أَنْ تَكُونَ ٱلشَّاةُ سَاحّاً، وَٱلْمَطَرُ بِإِذْنِهِ مُمَانِعاً مُشَاحّاً(98) وَأَنْ يَكُونَ ٱلْغَمَامُ يَسِحُّ وَٱلشَّاةُ بِفَضْلِ دِرَّتِهَا تَشُحُّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱلنَّاسُ صُنْعَ ٱللَّهِ فِيهَا إِذْ تَجِفُّ أَوْ تَسِحُّ فَـ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(99).

إِنْ أَعْرَضْتَ عَنِ ٱلْمُلْحِدِ تَعَرَّضْتَ لِرِضَى رَبِّكَ ٱلأَحَدِ، فَأَوْلِ ٱلْمُلْحِدِينَ فِي آيَاتِهِ إِعْرَاضاً، وَلاَ تُسَوِّغْ لَهُمْ فِي دِينِ ٱللَّهِ اعْتِرَاضاً، أُولَئِكَ شِرَارُ ٱلْخَلْقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ ٱللَّهِ وَٱلْحَقِّ. أَعْرَضَ(100) لَكَ ٱلصَّوَابُ فِي هَجْرِهِمْ فَٱبْتَدِرْ مُعْرِضَهُ، وَعَرُضَ(101) ٱلثَّوَابُ وَطَالَ فِي زَجْرِهِمْ فَاغْتَنِمْ طُولَهُ وَعَرْضَهُ. أَيُّهَا ٱلْعَارِضُ عَلَى ٱلأَمِيرِ إِنْ عَرَضْتَ كِتَابَ مَظْلُومٍ فَاجْهَدْ لَهُ وَاسْأَلْ أَمِيرَكَ عَدْلَهُ، وَإِنْ عَرَضْتَ ٱلْجُنْدَ عَلَيْهِ فَانْفَعْهُمْ مَا اسْتَطَعْتَ لَدَيْهِ، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ(102) ٱلإِسْلاَمِ، وَحُمَاةُ ٱلسُّرُوجِ فِي شَفَقِ ٱلصُّبْحِ وَغَسَقِ ٱلظَّلاَمِ، يَبْذُلُونَ دُونَ أَرْوَاحِ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(95) حديث نبوي شريف، انظر صحيح مسلم : 107/6.

(96) سحت : نزلت الأمطار.

(97) سحت الشاة : امتلأت سمنا.

(98) مشاحا : بخيلا، ضنينا.

(99) الآية 24 من سورة الأنبياء.

(100) أعرض لك : ظهر وبدا.

(101) عرض : اتسع عرضه.

(102) الردء : العون والنصر.

أَرْوَاحَهُمْ، وَيُعْمِلُونَ فِي عُدَاةِ ٱلدِّينِ رِمَاحَهُمْ، وَيَصِلُونَ فِي حِمَايَةِ ٱلذِّمَارِ وَإِذَانَةِ ٱلْكُفَّارِ غُدُوَّهُمْ وَرَوَاحَهُمْ فَالْحَظْ لَهُمْ هَذَا عِنْدَ ٱلْعَرْضِ تُقْرِضْ [مَوْلاَكَ][103] ٱلْكَرِيمَ أَحْسَنَ ٱلْقَرْضِ، وَيَا عَارِضَ ٱلرَّقِيقِ إِنْ عَرَضْتَ ٱلْجَارِيَةَ ذَاتَ ٱلْجَمَالِ ٱلرَّائِحِ وَٱلْمَنْظَرِ ٱلأَنِيقِ فَرَغِّبْ فِيهَا مَنْ آنَسْتَ مِنْهُ خِلاَلَ ٱلتَّوْفِيقِ لَعَلَّ ٱللَّهَ يَصُونُ جَمَالَهَا عَنِ ٱبْتِذَالٍ، وَيُعَرِّفُهَا وَإِيَّاهُ قُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فِي حَالٍ وَمَآلٍ، وَيَا ذَا ٱلَّذِي عَرُضَ بَعْدَ أَنْ كَانَ شَخْتاً[104] ، لاَ تَعُدَّ عِرَضَكَ بَخْتاً[105]، فَجَمَالُ ٱلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ جَمِيلاً لاَ أَنْ يَكُونَ جِسْمُهُ جَلِيلاً. مَا يَعْرِضُكَ لِهَذَا ٱلأَمْرِ ٱلْمَنْقُومِ، لَئِنْ كُنْتَ سَعَيْتَ فِيهِ بِتَكْثِيرِ ٱلْمَطْعُومِ، لَقَدْ بُؤْتَ بِصِفَةِ ٱللُّؤْمِ وَأَصْبَحْتَ مَوْسُوماً بِسِمَةِ ٱلنَّهِمِ ٱلْمَذْمُومِ، فَانْفُضِ ٱلطُّولَ وَٱلْعَرْضَ، فَإِنْ وَجَدْتَ رَاضِياً مِنْكَ بِهَذِهِ ٱلْخَلَّةِ فَارْضَ. نَزَلَ ٱلْكَرِيمُ بِعِرْضِ[106] وَادِيهِ وَأَنْزَلَ مَالَهُ مَنَالَ يَدِهِ إِعْدَاداً لأَيَادِيهِ، ثُمَّ حَيْعَلَ بِٱلْمَارَّةِ مُنَادِيهِ، فَأَقْبَلُوا يُجَدِّدُونَ زَادَهُمْ، وَيَمْلأُونَ مِنَ ٱلْمَحْضِ[107] وَٱلْحَقِينِ[108] مَزَادَهُمْ فَمَا أَحْرَى عِرْضَهُ[109] بِٱلطِّيبِ، وَأَوْلَى ذِكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَادَّةَ شِعْرِ ٱلشَّاعِرِ، وَخُطْبَةِ ٱلْخَطِيبِ، وَٱلْكَرِيمُ نَقِيُّ ٱلْعِرْضِ[110] فِي كُلِّ لِسَانٍ، وَحَبِيبٌ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ وُفِّقَ ٱلْمُنْفِقُ، بَذَلَ عَرَضاً[111] مِنَ ٱلدُّنْيَا أَبَى لَهُ ٱلْقَدَرُ ٱلْبَقَاءَ وَاعْتَاضَ مِنْ مَحَبَّةِ ٱلنُّفُوسِ مَا صَيَّرَهَا لَهُ أَرِقَّاءَ، فَلاَ يَرَوْنَ كَعُرْضِهِ[112] عُرْضاً، وَلاَ يُؤَدُّونَ كَشُكْرِهِ فَرْضاً. أَيُّهَا

(103) مطموسة في الأصل، الورقة : 100.

(104) الشخت : الهزيل الجسم دقيقه أصلا وليس من علة.

(105) بختا : حظا.

(106) عرض الوادي : جانبه أو أثنى منه.

(107) المحض : الحليب الخالص.

(108) الحقين : الحليب المحقون في وطب أو سقاء كان فيه حليب رائب فيأخذ بعض طعمه.

(109) عرضه : ريحه كانت طيبة أو خبيثة.

(110) نقي العرض : بريء من أن يشتم أو يعاب.

(111) عرض الدنيا : طمع الدنيا وما يعرض منها.

(112) عُرْض الشيء ناحيته.

ٱلْمُتَقَزِّزُ أَنْ يَبِيتَ ٱلإِنَاءُ مُنْكَشِفاً، ٱلآبِي أَنْ يُرَى لَهُ لأَجْلِ هَذَا مُرْتَشِفاً، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَدَبِ خَاتِمِ ٱلأَنْبِيَاءِ وَإِرْشَادِهِ إِلَى حِفْظِ ٱلْمَاءِ بِعُودٍ يَكُونُ مَعْرُوضاً عَلَى ٱلإِنَاءِ[113]. ٱلسَّيْفُ مَعْرُوضٌ عَلَى فَخِذَيِ ٱلْجَبَّارِ، أَتُرَى ذَلِكَ لأَمْرٍ كُبَارٍ، ٱللَّهُمَّ فَأَمِّنَّا حَيْفَهُ وَاغْمِدْ عَنَّا سَيْفَهُ، وَلاَ تُرِنَا فِي ٱلْيَقَظَةِ شَخْصَهُ، وَلاَ فِي ٱلْمَنَامِ طَيْفَهُ، وَخَفِّفِ ٱللَّهُمَّ فِي كُلِّ أَزْمَةٍ مِنْ بُرَحَائِنَا[114]، وَاجْعَلْ أُمُورَنَا بِأَيْدِي صُلَحَائِنَا.

إِنْ لَحُمَ ٱلرَّجُلُ وَشَحُمَ[115] فَلَمْ يَدُرْ عَلَى مَوْرِدِ ٱلسَّدَادِ وَلَمْ يَحُمْ، مَا لِلْعُقَلاَءِ أُولِي ٱلزَّعَامَةِ وَلِمَمْقُوتِ ٱللَّحَامَةِ وَٱلشَّهَامَةِ، أَرَأَيْتَ شَحِيماً لَحِيماً يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ زَعِيماً، تِلْكَ صِفَةٌ إِنَّمَا يَحْمَدُهَا ٱلنِّسَاءُ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِهِنَّ لِذِي ٱلإِرْبَةِ[116] ٱلاِئْتِسَاءُ[117]، وَرُبَّمَا شَحَمَ[118] ٱلْكَرِيمُ ضِيفَانَهُ وَلَحَمَهُمْ فَزَيَّنَ بِٱلسَّنَامِ جِفَانَهُ، إِنَّمَا يَشْحَمُهُمْ كَرَماً وَيَلْحَمُهُمْ لِعَادَةٍ لَمْ يَزَلْ وُقُودُهَا مُضْطَرِماً، فَهُوَ لِلضُّعَفَاءِ رَاحِمٌ وَلِلضِّيفَانِ شَاحِمٌ لاَحِمٌ، وَمَا ٱلْعَجَبُ أَنْ يُطْعِمَ وَقَدْ أَشْحَمَ وَأَلْحَمَ[119]، وَإِنَّمَا أَنْ يُرَى لَهُمَا مُطْعِماً وَلَيْسَ مُشْحِماً [وَلاَ][120] مُلْحِماً، وَلَكِنَّهُ يُقِيمُ عَلَى تَكَلُّفِ أَوَدِهِ، وَيَسْأَلُ ٱللَّهَ حِفْظَ مَا عَوَّدَهُ، وَرُبَّ رَجُلٍ شَحِمَ وَلَحِمَ فَدُعِيَ ٱلشَّحِمَ ٱللَّحِمَ، وَلَوْلاَ ٱلْقَرَمُ مَا كَانَ يَشْحَمُ وَلاَ يَلْحَمُ لَعَلَّ قَرَمَهُ

---

(113) حديث نبوي شريف، انظر صحيح مسلم : 105/6. في رواية لمسلم وغيره : «غَطُّوا ٱلإِنَاءَ وَأَوْكُوا ٱلسِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا ٱلْبَابَ، وَأَطْفِئُوا ٱلسِّرَاجَ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً وَلاَ يَفْتَحُ بَاباً وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوداً وَيَذْكُرَ اِسْمَ ٱللَّهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ ٱلْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ ٱلْبَيْتِ بَيْتَهُمْ».
انظر الأحاديث الصحيحة للألباني : 58/1.

(114) برحائنا : من شدتنا ومشقتنا.

(115) لحم وشحم : امتلأ لحما وشحما.

(116) الأربة : الحاجة.

(117) الائتساء : الاقتداء، وفعله إِئْتَسَى، يَأْتَسِي، إِئْتَسِ.

(118) شَحَمَ الكريم ولَحَمَ : أطعم ضيوفه شحما ولحما.

(119) أشحم وألحم : كثر عنده الشحم واللحم.

(120) استدركها الناسخ في طرة الكتاب، الورقة : 101.

عَنْ جَهْدٍ هُوَ بِهِ مَعْذُورٌ، إنَّ مَنْعَ ٱلْجَاهِدِ لَمَحْظُورٌ، إذَا قَرَّبْتَ قَرَابِينَكَ فَأَحِدَّ(121) أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ سِكِّينَكَ، فَإنَّكَ مَا أَحْدَدْتَهَا هَيَّأْتَهَا لإِحْسَانِ ٱلذَّبْحِ وَأَعْدَدْتَهَا، أَنْتَ مَأْمُورٌ فِيهَا بِٱلإِحْدَادِ، وَفِي ذَبِيحَتِكَ بِٱلإِرَاحَةِ بَعْدَ فَرْيِ ٱلأَوْدَاجِ، بِٱلشَّفْرَةِ ٱلْحَدَادِ، إنْ لَمْ [يَكُنْ](122) مِنْكَ فِي ٱلذَّبْحِ تَرْدِيدٌ، فَسِكِّينُكَ حَدِيدٌ. أَحْدَدْتَ(123) ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلَّذِي ٱحْتَمَلَ ٱلرَّيْبَ فَكَأَنِّي بِإِحْدَادِي اِطَّلَعْتُ ٱلْغَيْبَ، تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِ ٱلْمَرْءِ مَرْآتُهُ، وَٱلْعَيْنَانِ طَلِيعَةُ ٱلْحَازِمِ ٱللَّبِيبِ وَمِرْآتُهُ، كَمْ نَهَجَ ٱلْيَقِينَ بِٱلنَّظَرِ ظُنُونِي «كَادَ ٱلْمُرِيبُ يَقُولُ خُذُونِي»(124). حَدُّ ٱلْعَقَارِ(125) مُفْتَقَرٌ إِلَيْهِ فِي حِفْظِ عَيْنِهِ وَأَيْنِهِ(126) كُلَّ ٱلإِفْتِقَارِ، فَإِذَا حَدَدْتَ دَارَكَ فَاسْتَوْفِ حُدُودَهَا إِذْ تَحُدُّهَا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ ٱلْوُجُوهِ ٱلَّتِي لِتَوَقِّي ٱلْغَصْبِ يُعِدُّهَا، فَلاَ تَعْدَمِ ٱلْيَوْمَ لَهُ فِي ٱلنَّاسِ مُسْتَسْهِلاً وَلِمُتَوَقِّيهِ مُسْتَضْعِفاً أَوْ مُسْتَجْهِلاً، فَبَشِّرْ أُولَئِكَ إِنْ لَمْ يُنِيبُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِدَارٍ حُدُودُهَا كُلُّهَا مِنْ نَارٍ، فَحَيْثُ مَا رَمَوْا بِٱلأَبْصَارِ لَمْ يَرَوْا إِلاَّ نَاراً تُنَادِي بِلِسَانِ ٱلإِعْتِبَارِ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. فُقِدَ ٱلرَّجُلُ فَحَدَّتْ(127) عِرْسُهُ، لَزِمَهَا ٱلْحِدَادُ مُنْذُ فَاضَتْ نَفْسُهُ، كُلُّ فَاقِدَةِ زَوْجٍ تَحِدُّ، إِنَّ فِرَاقَ ٱلأَلِيفَيْنِ لَهُوَ ٱلأَمْرُ ٱلْجِدُّ، إِنْ رَغِبَتْ فِي ٱلإِسْتِئْنَافِ لِصُحْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلأُلاَّفِ فَسَتَعُدُّ مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي شَرَعَتْ تَحُدُّ، ثُمَّ تَتَجَمَّلُ لِلْخُطَّابِ وَتَرْتَقِبُ ٱلْمُعَرِّضَ بِخِطْبَتِهَا جِدَّ ٱلإِرْتِقَابِ وَإِنْ لَمْ تُرِدْ ذَاكَ أَبَداً فَهِيَ حَادٌّ إِلَى غَيْرِ مَدًى. أَحَدَّتِ ٱلْعَدَدَ ٱلْمَعْلُومَ اِسْتِيعَاباً لِلْمَأْمُورِ بِهِ وَاسْتِيفَاءً، ثُمَّ بَقِيَتْ بَعْدُ مُحِدّاً وَجْداً بِمَفْقُودِهَا وَوَفَاءً. حَدَدْتَ(128) عَلَى صَاحِبِكَ أَيُّهَا ٱلْغَضْبَانُ فَكَأَنَّمَا تَنَاوَلْتَ جِسْمَكَ

---

(121) أحد : اجعلها حادة.

(122) زيادة من المصحح في طرة الكتاب، الورقة : 101.

(123) أحددت النظر : إذا أمعنت فيه ودققت.

(124) شطر بيت يضرب مثلا.

(125) حد العقار : تحديد الملكية.

(126) أينه : حينه.

(127) فحدّت : لزمت الحداد على زوجها وكذلك أحدت.

(128) حَدَدْتَ : تماديت في الغضب وحِدَّتِهِ.

ٱلْقُضْبَانُ، لَعَلَّكَ فِي ٱلْحَدِّ عَلَيْهِ ظَالِمٌ، وَٱللَّهُ بِحَقِيقَةِ سِرِّهِ عَالِمٌ، ما كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَحِدَّ حَتَّى تَتَحَقَّقَ جِنَايَتَهُ وَلاَبُدَّ فَتُعْذَرَ حِينَئِذٍ فِي ٱلْحِدَّةِ، وَلاَ يُنْكَرُ مَا تَأْتِي بِهِ مِنَ ٱلشِّدَّةِ أَحَالَ[129] ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْمَكَانِ فَأَنِسَ بِهِ مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ ٱلسُّكَّانِ، وَٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ وَفِي إِقَامَةِ حَوْلٍ مَا يَكْشِفُ عَنِ ٱلْمُعَيَّبِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، ثُمَّ أَحَالَ ٱلْمَنْزِلُ فَاضْطُرَّ إِلَى ٱلرَّحِيلِ كُلُّ مُبْرَمٍ فِي دُنْيَاكَ مُعْقَبٌ بِٱلسَّحِيلِ، لاَبُدَّ مِنْ إِحَالَةِ ٱلدِّيَارِ، وَفِرَاقِ ٱلأُلاَّفِ بَيْنَ ٱلإِضْطِرَارِ وَٱلإِخْتِيَارِ، مَا تُنْكِرُ عَلَيَّ مِنْ قِيلٍ وَقَدْ حَالَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَ مَالِكٍ وَعَقِيلٍ[130]، وَكَمْ مِنْ عَقِيلٍ قَبْلَهُ وَمَالِكٍ صَدَّعَتْ شَمْلَيْهِمَا مَشِيئَةُ ٱلْقَادِرِ ٱلْمَالِكِ، ٱلْحَوْلُ[131] بَيْنَ ٱلأَحِبَّةِ سُنَّةُ ٱلزَّمَانِ وَمَنْ لَكَ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ بِٱلأَمَانِ، وَلَنْ يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ ٱلْقَوْمُ، مَا حَالَ ٱلْحَوْلُ وَدَارَ ٱلشَّهْرُ وَٱلْيَوْمُ، وَلِعَهْدِ ٱلْمَوَدَّاتِ ثُبُوتٌ وَحُؤُولٌ، فَمَنْ حَالَ عَنِ ٱلْعَهْدِ فَمَا أَحُولُ، حَالَتِ[132] ٱلنَّاقَةُ وَٱلنَّخْلَةُ فَلاَ ثَمَرَةَ وَلاَ سَخْلَةَ، وَلَيْسَ فِي ٱلْحِيَالِ مَدْخَلٌ لِلإِحْتِيَالِ، غَيْرَ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ فَرَغَ مِنْ رِزْقِ مَنْ يَعْجِزُ وَيَكْتَسِبُ، وَأَبَى أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ ٱلْمُؤْمِنَ إِلاَّ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُعَوِّضَ ذَا ٱلنَّاقَةِ بِغُرِّ ٱلْبَكَرَاتِ وَٱلنِّيبِ[133]، وَيُبَدِّلَ لِذِي ٱلنَّخْلَةِ ٱلْبَائِسِ دَقَلَ[134] ٱلْجَمْعِ[135] بِفَائِقِ ٱلْجَنِيبِ[136]. إِذَا أَحَلْتَ[137] عَلَى غَرِيمِكَ بِدَيْنٍ فَتَوَقَّ ٱلإِحَالَةَ بِعَيْنٍ غَيْرِ حَالَّةٍ فِي مُرْجَدِ عَيْنٍ، فَمِنَ ٱلأُصُولِ عِنْدَ ٱلْمُحْتَنِكِ وَٱلنَّاشِئِ ٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْكَالِئِ بِٱلْكَالِئِ[138]. حَالَ[139]

---

(129) أحال الرجل بالمكان : إذا أقام به حولا أي سنة.

(130) ندمانا جذيمة الأبرش : مالك وعقيل ابنا فارج رجلان من بلقين. انظر خبرهما في مجمع الأمثال للميداني : 138/2.

(131) الحول : من حال بين شخصين إذا منع أحدهما من الآخر.

(132) حالت الناقة والنخلة : إذا لم تحملا.

(133) النيب : جمع ناب ونيوب وهي الناقة المسنة.

(134) دقل التمر : أردأ أنواعه.

(135) الجمع : كل لون من التمر لا يعرف اسمه.

(136) الجنيب : ما حمل على جانب البعير والمقصود هنا وفرة الجني وكثرته.

(137) أحلت بدين : أمرت أن تقتضيه منه.

(138) الكالىء : النسيئة والسلفة.

(139) حال في ظهر دابته : إذا ركبها حؤولا.

فِي ظَهْرِ دَابَّتِهِ رَاكِبٌ، فَإِذَا ٱلأَجَلُ بِهِ نَاكِبٌ، فَحَمَلَتْ سَرِيرَهُ ٱلْمَنَاكِبُ، وَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّمُوعُ ٱلسَّوَاكِبُ، فَمَا كَانَ بَيْنَ حُؤُلِهِ فِي ظَهْرِ مَرْكَبِهِ وَنُزُولِ بَاغِتِ ٱلْمَنِيَّةِ بِهِ :

إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِٱلْحَجَرِ[140]

[البسيط]

شَغَلَتِ ٱلنَّوائِبُ خَاطِرِي، لَيْتَ ٱلزَّمَانَ فِي ٱلشُّغْلِ مُشَاطِرِي فَأُصِيبُ مِثْلَ مَا أُخْطِئُ، وَأُسْرِعُ عَلَى قَدْرِ مَا أُبْطِئُ، وَلاَ وَٱللَّهِ مَا رَضِيَ مِنِّي بِهَذَا ٱلْمِقْدَارِ، وَلاَ تَرَكَنِي أَسْتَقِلُّ بِٱلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ ٱلإِيرَادِ وَٱلإِصْدَارِ، مَا أُحَاوِلُ مُهِمّاً إِلاَّ أَوْهَمْتُ[141]، وَلاَ أَرُومُ بَيَانَ شَيْءٍ إِلاَّ أَبْهَمْتُ، فَكَيْفَ تَرَانِي أُوهِمُ ٱلْمُهِمَّ وَأُبْهِمُ فِي ٱلشَّيْءِ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَحْصُلَ بِغَيْرِ ٱلْبَيَانِ وَلَنْ يَتِمَّ، فَلاَ نُكْرَ إِنْ وَهِمْتُ[142] فِي ٱلْحِسَابِ وَسِوَاهُ، أَوْهَمُ ضَرُورَةً وَحَسْبِيَ ٱللَّهُ، وَإِنْ وَهَمْتُ[143] إِلَى ٱلشَّيْءِ فَمَا أَهِمُ إِلاَّ لأُمُورٍ عَلَيَّ تَنْبَهِمُ، فَيَكْذِبُ ٱلْوَهْمُ كَمَا يَصْدِفُ[144] عَنْ هَدَفِهِ ٱلسَّهْمُ، وَٱللَّهُ مَلِيٌّ بِتَنْبِيهِ ٱلذَّاهِلِينَ. إِنْ أَحْذَيْتَ[145] ٱلْفَقِيرَ اِسْتَوْجَبْتَ أَجْراً، وَإِنْ حَذَوْتَ[146] ٱلشِّرِّيرَ اسْتَحْقَقْتَ زَجْراً، وَإِنَّ حُذْيَاكَ ٱلْمُخْتَلَّ عَمَلٌ يَحْمَدُهُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُقَارَبَةُ ٱلأَرَاذِلِ بُعْدٌ عَنِ ٱلسُّنَنِ ٱلْفَاضِلِ، فَاحْذَرِ ٱلشِّرِّيرَ لاَ تَقْرَبْهُ. وَإِنْ حَذَا[147]

---

(140) البيت لابن الرومي يصف خبازا، انظر ديوانه : 1110/3 : تحقيق حسين نصار :

مَا أَنْسَ لاَ أَنْسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو ٱلرُّقَاقَةَ وَشْكَ ٱللَّمْحِ بِٱلْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَٱلْقَمَرِ
إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ تَرْمِي فِيهِ بِٱلْحَجَرِ

(141) أوهمت الشيء : إذا تركته كله.

(142) وَهِمْتُ فِي الحساب : غلطت فيه.

(143) وَهَمْتُ إلى الشيء : ذهب قلبي إليه.

(144) يصدف : يعدل عن.

(145) أَحْذَيْتُ : أعطيت.

(146) حَذَوْتُ الشرير : جلست بحذائه أو بجواره.

(147) حَذَا النبيذ لسانك : قرصه وأثر فيه.

ٱلنَّبِيذُ لِسَانَكَ فَلاَ تَشْرَبْهُ فَإِنَّهُ مَا يَحْذِيهِ إِلاَّ لأَمْرٍ يَنْطَوِي فِي حَذْيِهِ يَثْلِمُ ٱلدِّينَ وَيُؤْذِيهِ. وَإِذَا قَضَيْتَ ٱلشَّرْعَ مَا تَقَاضَاكَ بِٱلْفِعْلِ فَاجْهَدْ أَنْ تَكُونَ فِي ذَلِكَ كَأَنَّكَ حَذَوْتَ(148) ٱلنَّعْلَ بِٱلنَّعْلِ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَلاَ غَرْوَ أَنْ يَحْمَدَ ٱللَّهُ ذَلِكَ ٱلْحَذْوَ، فَمَوْرِدُ ٱلإِحْسَانِ مِنْ رَبِّكَ عِدٌّ، وَفُنُونُ نِعَمِهِ لاَ يُسْتَطَاعُ لَهَا عَدٌّ، وَٱللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا أَخْلَصَ ٱلْمَتَابَ وَتَيَقَّنَ مَا كَانَ فِيهِ ارْتَابَ مِنَ ٱلظَّمْآنِ ٱلْوَارِدِ، وَٱلْعَقِيمِ ٱلْوَالِدِ، وَٱلْمُضِلِّ ٱلْوَاجِدِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ بِإِبَانَةِ سُبُلِهِ لِلْجَاهِدِ فِي ٱمْتِثَالِ أَمْرِهِ وَٱلْمُجَاهِدِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ. إِيهِ(149) يَا مَنْ أَفَاضَ فِي مَحَامِدِ مَنْ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلأُولَى وَٱلآخِرَةِ مُخْبِراً عَنْ فَيْضِ ٱلنِّعَمِ مِنْ بِحَارِهِ ٱلزَّاخِرَةِ، قُلْ بِجُهْدِكَ فِي ٱلتَّعْبِيرِ عَنْ فَضْلِهِ ٱلْكَبِيرِ فَمَا جِئْتَ بِحَصَاةٍ مِنْ ثَبِيرٍ وَلاَ وَفَيْتَ بِأَقَلِّ ٱلْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْمَنِّ ٱلْكَثِيرِ. فَسَلِ ٱللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَهُوَ لِسَائِلِهِ مُبَاحٌ، وَلاَ تُبَالِ بِتَقْصِيرِكَ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلإِجْتِهَادِ فَمَا عَلَى بَاذِلِ جُهْدِهِ جُنَاحٌ، وَتِلْكَ غَايَةٌ تَقْصُرُ عَنْهَا ٱلْخُطَا ٱلْفِسَاحُ، وَٱلأَلْسِنَةُ ٱلْفِصَاحُ، وَعِنْدَ ٱللَّهِ فِي مِثْلِهَا تَجَاوُزٌ وَسَمَاحٌ. وَايْهاً(150) يَا مَنْ شَغَلَ ٱلأَسْمَاعَ بِٱلثَّنَاءِ عَلَى بَعْضِ ٱلْمَخْلُوقِينَ إِشَادَةً بِذِكْرِهِ وَتَنْوِيهاً، مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرُ ٱلنَّاسِ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ ٱللَّهِ وَجِيهاً. وَاهاً(151) لَكَ إِنْ صَرَفْتَ وَجْهَكَ إِلَى وَجْهِ ٱلْكَرِيمِ فَقَبِلَكَ، وَوَيْهاً لَكَ لاَ تَجْعَلْ إِلَى غَيْرِهِ سُبُلَكَ فَتَضِلَّ ٱلطَّرِيقَ، وَتُحْرَمَ ٱلتَّوْفِيقَ وَتَعْدَمَ ٱلْمُسَايِرَ ٱلصَّالِحَ وَٱلرَّفِيقَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ. إِذَا رَأَيْتَ مُؤْمِنَيْنِ قَدْ خَلَصَا نَجِيّاً وَتَنَاشَرَا بَيْنَهُمَا سِرّاً مَطْوِيّاً، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ ثَلَّثْتَهُمَا حَرِجْتَ وَعَنْ سَنَنِ ٱلصَّوَابِ فِي أَنْ تَثْلِثَهُمَا خَرَجْتَ، فَدَعْهُمَا مَا تَسَارَّا وَإِلاَّ كُنْتَ آثِماً مُضَارّاً، وَثَلاَثَةٌ إِنْ رَبَعْتَهُمْ فَقَدْ أَجَدْتَ فِي أَنْ تَرْبَعَهُمْ وَتَعَرَّضْتَ لِثَوَابِ رَبِّكَ بِأَنْ تَتْبَعَهُمْ، عَالِمٌ يُعَلِّمُ مِمَّا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ، وَغَنِيٌّ يُوَاسِي ٱلْمُضْطَرِّينَ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ، وَمُؤْمِنٌ خَفِيٌّ أَكَبَّ عَلَى مَا خَصَّهُ وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا

---

(148) يضرب مثلا لتشابه الأشياء.

(149) إيه : اسم فعل أمر بمعنى الاستزادة.

(150) وايها : تستعمل للزجر أو للاغراء.

(151) واها : تستعمل للتعجب.

عَنَاهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلظَّلُومَ وَٱلنَّمُومَ وَٱلْحَقُودَ وَٱلْحَسُودَ لَشَرُّ إِسْتَارٍ[152]، وَلَوْ كَانُوا بِهَذِهِ ٱلرَّذَائِلِ أُولِي اسْتِتَارٍ، فَإِنْ خَمَسْتَهُمْ مُوَالِياً فَنَاهِيكَ مِنِ ٱسْتِهْتَارٍ، مَا لَكَ تَخْمِسُ مَنْ يَخْطُرُ مُغْتَراً فِي هَذِهِ ٱلْمَلاَبِسِ وَيَمِيسُ فِي خُلْقَانِهَا مُزْوَرّاً عَنْ خُلُقِ ٱلْيَقُظِ[153] ٱلْمُمَارِسِ، دَعْهُمْ وَمَا ٱخْتَارُوا سَيَعْلَمُونَ أَيَّ نَبِيثٍ[154] أَثَارُوا، يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ نَدَماً، وَيَقُولُ ٱلنَّمُومُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُرِعْ بِنَمِيمَتِي مُسْلِماً، وَيَوَدُّ كِلاَ ٱلْبَاغِيَيْنِ : مِنْ ذِي ٱلْحِقْدِ وَذِي ٱلْحَسَدِ، لَوْ لَمْ [يَتَلَبَّسْ][155] رُوحُهُ بِٱلْجَسَدِ، وَلَوَدَّ إِذَا لَمْ يَدِنْ بِٱلْكَفِّ أَنَّهُ سَدَسَ أَوْ ثَمَنَ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ، وَإِنَّكَ إِنْ سَبَعْتَ[156] سِتَّةً أَشْرَاراً، فَكَأَنَّكَ سَبَعْتَ[157] صَالِحِينَ خِيَاراً، فَلاَ تَسْبَعِ ٱلصِّنْفَيْنِ عَلَى كِلاَ ٱلْمَعْنَيَيْنِ، وَإِنْ تَجَرَّدَ لَكَ ٱلْقَصْدُ ٱلأَوَّلُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْدِسَ أَوْ تَثْمِنَ إِلاَّ مَنْ تَحْسُنُ بِكَ صُحْبَتُهُ وَتَجْمُلُ، وَإِنْ تَسِعْتَ قَوْماً فَلاَ تَحْتَمِلْ بِأَنْ تَتْسَعَهُمْ لَوْماً. تَخَيَّرْ مَنْ تُجَالِسُ وَٱلْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْجَلِيسِ ٱلسَّوْءِ فَانْتَقِ مَنْ تَزِينُكَ مَعَهُ ٱلْمَجَالِسُ، ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾[158]. فَمَنْ عَشَرَهُمْ فَلَيْسَ حِزْبُهُ يَوْمَ يَعْشُرُهُمُ ٱلْمُوَفَّقُونَ ٱلْمُفْلِحُونَ، فَاعْتَبِرْ يَوْمَكَ وَأَمْسَكَ، وَانْظُرْ بِمَنْ تَجْعَلُ أُنْسَكَ، وَصُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنْ أَقْوَالِ ٱلنَّاسِ نَفْسَكَ، فَإِنَّمَا هِيَ جَنَّةُ ٱلنَّاكِلِ[159]، أَوْ نَارٌ مُسَعَّرَةٌ لِلآكِلِ. كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ تَسْتَبِيحُ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ ظُلْماً وَهَضْماً، وَيَأْكُلُونَهَا خَضْماً وَقَضْماً، وَيَجْعَلُونَ اسْتِبَاحَتَهَا أَجْنَاساً، فَإِلاَّ يَكُونُوا ثَلَثُوا نَاساً فَقَدْ رَبَعُوا نَاساً، يَرْبَعُونَ أَوْ يَثْلِثُونَ إِنَّمَا يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ وَيَنْكُثُونَ وَفِي نَارِ ٱللَّهِ ٱلْحَامِيَةِ يَمْكُثُونَ، يَا سُوءَ

---

(152) إستار : أربعة.

(153) اليَقُظ : بضم القاف مثل اليقظ بكسرها أي المستيقظ الحذر.

(154) النبيث : ما استخرج من تراب البئر.

(155) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 103.

(156) سبعت : العدد أي أصبحت سابعهم.

(157) سبعت : أفترست وأكلت.

(158) الآية 48 من سورة النمل.

(159) الناكل : الجبان والمنصرف عن الشيء، وهنا عن المحرمات.

مَا عَلَيْهِ يَنْزِلُونَ وَوَيْلٌ لَهُمْ إِذَا ثُوبَ[160] ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَنَسَخَ ٱللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ، فَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالٌ لِلنَّاسِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ بَذْلَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَكَارِمِ عَلَى حَدِّ ٱلإِخْتِيَارِ، فَمَنْ سَدَسَ ٱلْيَوْمَ أَوْ ثَمَنَ أَخَذَتْهُ ٱلأَحْكَامُ بِمَا تَخَوَّنَ وَاحْتَجَنَ[161]، وَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي حَقٍّ بِحَقِّهِ أَوْلَى فَشُكْراً لِرَبِّنَا ٱلْعَزِيزِ ٱلْمَوْلَى، وَيَا مَنْ تَسَعَ قَبْلُ أَوْ سَبَعَ إِنَّ ٱلإِيمَانَ ٱلَّذِي يُؤْكِلُ أَهْلِيهِ فِي مِعًى وَاحِدٍ[162] قَدْ حَمَاكَ أَنْ تَشْبَعَ فَحَذَارِ أَنْ تَتْسَعَ أَوْ تَسْبَعَ، نَعَمْ فَرَضَ ٱللَّهُ فِي ٱلْمَغَانِمِ ٱلْخُمُسَ، فَمَنْ خَمَسَهَا مِنْ أَمِيرٍ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَخْمُسَ، وَجَعَلَ فِي أَمْوَالِ ٱلْقَادِمِينَ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ٱلْعُشْرَ، فَمَنْ عَشَرَهُمْ بِحَقِّهِ فَلاَ نُكْرَ أَنْ يَعْشُرَ، يَا عَجَباً لِلرَّهْطِ أَعْشَرُوا فَأَنِسُوا بِذَلِكَ وَاسْتَبْشَرُوا، يَفْرَحُونَ أَنْ تَكْثُرَ مِنْهُمُ ٱلأَعْدَادُ وَلاَ يُبَالُونَ أَنْ يُقَصِّرَ مِنْهُمْ لِلآخِرَةِ ٱلإِعْدَادُ. سِيَّانِ يَا هَؤُلاَءِ أَعْشَرْتُمْ أَوْ أَثْلَثْتُمْ إِذَا تَأَخَّرْتُمْ عَنْ طَاعَةِ ٱللَّهِ وَتَأَبَّيْتُمْ، وَأَخْمِسُوا إِنْ شِئْتُمْ أَوْ أَسْدِسُوا، وَأَرْبِعُوا أَوْ أَسْبِعُوا أَوْ اِثْمِنُوا أَوِ اتْسِعُوا، واسْتَضِيفُوا إِلَى مَآئِكُمْ[163] آلاَفَ هَذِهِ ٱلآحَادِ وَأَضْعَافَ هَذِهِ ٱلأَعْدَادِ وَاجْمَعُوا، لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَسَاوَتْ وَاحِدَكُمْ مِئَتُكُمْ. إِنَّ ٱلْمِائَةَ حَادَتْ عَنِ ٱلْجَادَّةِ فَعَثَرَتْ وَلَرُبَّمَا فَازَ ٱلْوَاحِدُ دُونَهَا بِٱلنَّعِيمِ إِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَتَقَلَّلَ مِنْ هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ غَائِلَةُ ٱلْمُسَافِرِ وَٱلْمُقِيمِ، فَلاَ يُلْهِيَنَّكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلتَّكَاثُرُ، وَاسْمَعُوا مَا آثُرُ: إِذَا أَمْأَيْتَ[164] يَا أَخِي ٱلدَّرَاهِمَ هَلْ يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْكَ ٱلْمَوْتَ ٱلدَّاهِمَ، وَإِنْ أَنْتَ آلَفْتَهَا[165] فَهَلْ تَنَكَّبْتَ سَبِيلَ ٱلْمَنَايَا أَوْ خَالَفْتَهَا، وَمَا جَدْوَاهَا إِنْ آلَفَتْ أَوْ أَمْأَتْ[166] هِيَ، فَهَلْ لَكَ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ وَعَدْوَاهَا أَنْ تَنْتَهِيَ، مَا تُغْنِي ٱلْمِائَةُ

(160) ثوب : نال جزاءه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾.

(161) احتجن : اقتطع وسرق.

(162) تقدم شرحها في الصفحة : 5.

(163) مآئكم : مئاتكم.

(164) أمأيت : جعلتها مائة.

(165) آلفتها : جعلتها ألفا.

(166) آلفت أو أمأت : صارت ألفا أو مئة.

وَٱلأَلْف وَلاَ يَجوزُ عَلَى رَبِّكَ فِي وَعْدِهِ ٱلْخُلْف، أَمَا وَٱللَّهِ لَتَمُوتَنَّ سَرِيعاً وَلَتُحَاسَبَنَّ بَيْنَ يَدَيْ أَسْرَعِ ٱلْحَاسِبِينَ جَمِيعاً، إِنَّمَا نَجَاتُكَ إِنْ كَانَتْ فِي جَمِيلِ مَا عَامَلَتْ بِهِ نَفْسُكَ خَالِقَهَا وَدَانَتْ، فَإِنَّهَا كَمَا تَدِينُ تُدَانُ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ ٱلأَقْرَبُونَ وَٱلأَخْدَانُ، فَأَنْفِقْ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُنْفِقَ، وَعُدْ بِٱلطَّوْلِ[167] عَلَى عِبَادِ ٱللَّهِ تَكُنِ ٱلْبَرَّ ٱلْمُشْفِقَ، وَسَلِ ٱللَّهَ تَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ عَسَاهُ أَنْ يُرْشِدَ وَيُوَفِّقَ، وَوَجِّهْ إِلَى وَجْهِ ٱلْكَرِيمِ مَسَاعِيَكَ رَجَاءَ أَنْ لاَ تُخْفِقَ، وَلاَ يَغْتَرَّ امْرُؤٌ بِأَنْ طَالَ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ نُظَرَاءَهُ فَإِنَّمَا يَطُولُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَنْ أَخْلَصَ [لِخِدْمَةِ][168] مَوْلاَهِ ٱلْحَقِّ سَرَائِرَهُ وَآرَاءَهُ، وَلَيَسْتَضِيقَنَّ ٱلطُّولَ وَٱلْعَرْضَ إِنِ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَرْضَ، فَيَا مَنْ جَهَرَ بِمَعَاصِي ٱللَّهِ كُلَّ ٱلجَهْرِ لاَ أُكَلِّمُكَ طَوَالَ ٱلدَّهْرِ، إِلاَّ أَنْ تُنِيبَ إِلَى خَالِقِكَ، وَتُصْلِحَ مِنْ أَخْلاَقِكَ وَطَرَائِقِكَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ جَهَدْتُ ٱلْجُهْدَ فِي أَنْ أَحْفَظَ لَكَ مَا حَيِينَا ٱلْعَهْدَ، وَإِنْ أَنْسَأَتْنِي بَعْدَكَ ٱلأَحْوَالَ لَمْ يَلْحَقْنِي فِي حِفْظِ عَهْدِكَ ٱلْمَلاَلُ بَلْ أَرْعَاهُ سِرّاً وَجَهْراً، وَأُنْشِدُ رَبْعَكَ إِنْ مَرَرْنَا عَلَيْهِ سَفْراً مُحْتَمِلاً فِيكَ قَلْباً مُكْتَئِباً وَعَيْناً عَبْرَى :

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا ٱلطَّلَـلُ   وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ ٱلطِّيَلُ[169]

[البسـيـط]

وَمَنْ لِي بَعْدَكَ بِٱلْبَقَاءِ، وَإِنْ بَقِيتُ فَإِلَى أَمَدٍ لاَ تَدِينُ ٱلأَيَّامُ بَعْدَهُ بِالإِلْتِقَاءِ، وَإِلَى ٱلْمَوْتِ مَصِيرُ ٱلأَحْرَارِ وَٱلأَرِقَّاءِ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى   لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِٱلْيَدِ[170]

[الطويـل]

(167) بالطول : بالفضل.

(168) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 104.

(169) البيت للشاعر القطامي واسمه عمير بن شييم التغلبي، شاعر إسلامي نشر شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. والبيت من شواهد الفصيح : الطيل والطول من معانيها العمر والغيبة والأمد.

(170) البيت لطرفة بن العبد في معلقته. انظر ديوانه، ص 53، تحقيق علي الجندي. والشاهد في البيت لفظ : الطول : الحبل.

رُبَّ طُوَالٍ بَخِلَ بِمَا اسْتُنِيلَ مِنْ نَوَالٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ ٱلْمُوَكَّلِينَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِإِحْصَاءِ ٱلسَّقَطَاتِ أَقْصَرَ مِنْ إِبْهَامِ ٱلْقَطَاةِ، وَقَصِيرٍ سَمَحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ يَسِيرٍ فَاعْتُقِدَ بِمَا يُؤْثِرُهُ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ أَطْوَلَ مِنْ ظِلِّ ٱلْقَنَاةِ، تُنْشِدُ عَنْهُ أَفْعَالُهُ ٱلْمَلْذُوذَةُ ٱلْجَنَاةِ[171] :

فَإِلاَّ يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي ... لَهُ بِٱلْفِعَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ[172]
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ فَضَلْتُهُمْ ... بِعَارِفَـةٍ حَتَّـى يُقَـالَ طَوِيـلُ

[الطويـل]

إِنَّ ٱللَّهَ شَرَعَ[173] لَنَا دِيناً قَيِّماً وَشَرِيعَةً لاَيَزَالُ مُمْتَثِلُ أَمْرِهَا وَوَارِدُ غَمْرِهَا بِغِنَاءِ ٱلسَّعَادَةِ مُخَيِّماً، فَأَشْرَعَ[174] قَوْمٌ إِلَى طَرِيقِهَا ٱلْمُسْعِدَةِ أَبْوَابَ قَبُولِهِمْ فَوُفِّقُوا فِي ٱلإِشْرَاعِ، وَأَسْرَعَ قَوْمٌ إِلَى تَبْطِئَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَتَخْطِئَتِهِمْ فِي انْتِهَاجِ تِلْكَ ٱلْمَسَالِكِ فَأَشْرَعَ[175] ٱلشَّرْعُ إِلَيْهِمْ رُمْحَ ٱلْمُعَاقَبَةِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلإِسْرَاعِ. قُلْ لِرَاكِبِ ٱلْيَهْمَاءِ مُمْتَطِياً ظُهُورَ ٱلظَّمَاءِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلشَّهْبَاءِ، إِضْرَعْ إِلَى خَالِقِ ٱلأَشْيَاءِ وَرَازِقِ ٱلأَحْيَاءِ، فَرُبَّمَا أَرْسَلَ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ وَابِلَ ٱلسَّمَاءِ فَشَرَعَتْ[176] دَوَابُّكَ بِلَطِفِهِ فِي مَعِينِ ٱلْمَاءِ، وَلاَ تُنْكِرْ أَنْ تَشْرَعَ إِذَا لَمْ تَأْلُ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ وَتَضْرَعَ، فَهُوَ ٱلَّذِي يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ[177]، وَيُيَسِّرُ لِمَرَاكِبِكَ

---

(171) الجناة : كل ما يجتني.

(172) ينسب البيتان لرجل من فزارة قيل هو مبشر بن هذيل الفزاري والبيتان في حماسة أبي تمام والرواية فيها :

إِلاَّ يَكُـنْ عَظْمِـي صَغِيراً فَإِنَّنِـي ... لَهُ بِٱلْخِـلاَلِ ٱلصَّالِحَـاتِ وَصُولُ
وَلاَ خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا ... إِذَا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ ... بِعَارِفَـةٍ حَتَّـى يُقَـالَ طَوِيـلُ

انظر الحماسة، ص 350، تحقيق : عبد المنعم أحمد صالح.

(173) شرع : سن شريعة.

(174) أشرع الباب : فتحه.

(175) أشرع الرمح : وجهه قبله.

(176) شرعت الدواب : وردت.

(177) الآية 6 من سورة النمل : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه..﴾.

ٱلشُّرُوعَ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلَّذِي جَفَّ مَاؤُهُ وَصَوَّحَ[178] مَرْعَاهُ، وَمَخْلُوقَاتُ رَبِّكَ فِي مُقْتَضَيَاتِ لَطَفِهِ ٱلْعَاجِلِ شَرَعٌ[179] سَوَاءٌ، وَسِيَّانِ اعْوِجَاجٌ مِنْهُمْ وَاسْتِوَاءٌ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ. وَكُلٌّ بِأَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ مَوْسُومٌ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّكَ فَشَرْعُكَ[180] مِنْ رَجُلٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنَ ٱللَّهِ وَعِقَابِهِ عَلَى وَجَلٍ، أَعَدَّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُعِدَّ، فَوَرَدَ مِنْ جَمِيلِ مُجَازَاتِهِ ٱلْمَوْرِدَ ٱلْعِدَّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[181].

---

(178) صوح : يبس وجف.

(179) شرع سواء : متماثلون.

(180) شرعك : حسبك.

(181) الآية 40 من سورة النساء.

12 ـــ بَابُ مَا جَاءَ وَصْفاً مِنَ ٱلْمَصَادِرِ

إِنَّ ٱلدَّهْرَ خَصْمٌ[1] ٱلْوَى، وَٱلشَّهْوَةُ خَصْمُ عَقْلِكَ فِيمَا تَهْوَى، وَهَلِ ٱلْيَوْمُ وَٱللَّيْلَةُ إِلاَّ خَصْمٌ لَكَ فِي آمَالِكَ فَاجْهَدْ أَنْ تَفْلُجَ[2] عَلَيْهَا [بِسَعَادَةٍ][3] مَآلِكَ، ٱلأَيَّامُ كُلُّهَا لَكَ خَصْمٌ تَنْفَهِقُ[4] مِنْ نَوَائِبِهَا خُصَمٌ كُلَّمَا سُدَّ خُصْمُ[5]، فَالْزَمْ يَا هَذَا شَأْنَكَ وَاعْرِفْ حَقِيقَةَ عِرْفَانِ زَمَانِكَ وَلاَيَزَالُ ٱلْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ دَنَفاً[6] بِخُطُوبٍ جَمَعَتْ عَلَيْهِ حَاضِراً مِنْ شَرِّهَا وَمُؤْتَنَفاً، وَرُبَّ امْرَأَيْنِ دَنَفٍ وَبَيْنَ غَرَضَيْهِمَا عَرْضُ نَفْنَفٍ[7]، وَٱلأَمْرَاضُ تُصِيبُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ٱلْبَرَّ وَٱلْفَاجِرَ، وَتَعُمُّ ٱلْعَوَاقِبَ[8] وَٱلْمَحَاجِرَ[9] وَمَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ دَنَفٌ فَكُلُّهُمْ بِوِقَايَةِ ٱللَّهِ مُكْتَنَفٌ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْمَرْأَةَ إِنْ أَصْبَحَتْ دَنَفاً أَوْلَى صَاحِبُهَا ٱلِاسْتِينَاسَ جَنَفاً، حَتَّى إِذَا آنَسَ مِنْ شَكَاتِهَا ٱلأَمَانَ عَاوَدَ أُنْسَهُ كَمَا كَانَ، وَضَاهَتْ أَجْزَاءُ حَالِهِ بِحُسْنِ انْتِظَامِهَا ٱلْجُمَانَ، وَإِنَّ ٱلنِّسْوَةَ ٱلدَّنَفَ لَيُضْجِرُ تَمْرِيضَهُنَّ ٱلأَحْنَفَ، لاَسِيَّمَا إِنْ مَرَّضَ ٱلدَّنِفُ دَنِفَةً وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلأَمْرَاضَ لِلصَّابِرِ مُضْجِرَةً وَلِلْمُحْتَمِلِ مُعَنِّفَةً

---

(1) جاء في فصيح ثعلب، ص 288 : «نقول و خَصْمٌ وهي خَصْمُ وهي خَصْمٌ للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث على حال واحدة» واستعمل أبو الربيع سائر هذه الأوجه في هذه الفقرة، مع العلم أن لفظ خصم يثنى خصمان ويجمع خصوم.

(2) تفلج : تفوز.

(3) زيادة من الهامش، الورقة : 105.

(4) تنفهق : تتسع.

(5) خُصْم : بضم الخاء الجانب والطرف من الشيء.

(6) دنف : الذي نهكه المرض.

(7) نفنف : ما بين السماء والأرض.

(8) العواقب : الإبل.

(9) المحاجر : الحدائق.

وَٱلْمُؤْمِنُ فِي أَمْثَالِهَا حرىً بِٱلصَّبْرِ فَإِمَّا إِلَى ٱلْبُرْءِ وَإِمَّا إِلَى ٱلْقَبْرِ. فَمَا كُنْتَ صَانِعاً لِهَذِهِ ٱلْغَايَةِ فاصْنَعْهُ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى يَنْزِلُ بِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَإِذَا نَزَلَ لَمْ يَعُقْهُ عَائِقٌ وَلَمْ يَمْنَعْهُ وَإِنْ تَهَجَّدْتَ لِرَبِّكَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِجَزِيلِ ٱلنَّيْلِ، وَإِنْ تَقْنُتْ لَهُ بِسَحَرٍ فَأَنْتَ بِجَمِيلِ جَزَائِهِ حَرٍ[10]، إِنَّ ٱلإِحْسَانَ بِٱلإِحْسَانِ قَمَنٌ[11]، وَلِكُلِّ صَالِحَةٍ عِنْدَ ٱللَّهِ ثَمَنٌ، وَلاَ يُسْرِفُ ٱلْمُؤْمِنُ فِي طُمَأْنِينَتِهِ وَأُنْسِهِ فَيَظُنَّ ذَلِكَ وَاجِباً عَلَى ٱللَّهِ أَلاَ إِنَّ فَضْلَهُ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَيْلُ ٱلإِنْسَانِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ ٱللَّهُ لَهُ وَبُرُودُ ٱلأَعْمَالِ إِنْ لَمْ يُكَثِّفْهَا قَبُولُهُ مُهَلْهَلَه، مَا أَحَدٌ مِنَ ٱلذَّنْبِ عَرِيّاً، وَلَيْسَ خُلُقٌ بِٱلإِحْسَانِ حَرِيّاً، إِنَّمَا هُوَ فَضْلُ ٱللَّهِ يَسْبِلُهُ حَيْثُ شَاءَ سَحّاً وَيُرْسِلُهُ فِي ٱلْمَوَاقِفِ ٱلْمُسْتَصْعَبَةِ سَهْلاً سَمْحاً، وَٱلدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْوَسَائِلِ وَأَوْلاَهَا عِنْدَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَسْؤُولِ بِإِسْعَافِ ٱلْوَسَائِلِ، وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَيْنِ أَحَدُهُمَا دَاعٍ وَٱلآخَرُ مُؤَمِّنٌ كِلاَهُمَا بِإِجَابَةِ مَوْلاَهُمَا قَمِنٌ، وَلاَ تَعْجَبْ أَنَّهُمَا بِٱلإِجَابَةِ قَمِنَانِ إِذْ يَدْعُوَانِ أَوْ يُؤَمِّنَانِ، فَقَدْ سَبَقَ ٱلْوَعْدُ بِإِجَابَةِ ٱلدَّاعِينَ، وَشَهِدَتْ دَلاَئِلُ ٱلْوُجُودِ بِعَادَةٍ لِذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ أَنْ يُنْجِدَ ٱلْمُسْتَنْجِدَ وَيُعِينَ ٱلْمُسْتَعِينَ، فَعَلَى هَذَا ٱلْحَدِّ يَصْدُقُ أَنَّ ٱلدَّاعِينَ بِٱلإِجَابَةِ حَرًى وَلاَ تُبْقِي ٱلْمَغْفِرَةُ فِي صَدْرِ مُخْلِصٍ وَحَراً[12]، فَإِنْ أَلَمَّ زَوْرُهَا بِفِنَائِكَ فَذَلِكَ أَسْعَدُ آنَائِكَ، وَرُبَّمَا نَزَلَ عَلَيْكَ ٱلْعَفْوُ وَٱلإِحْسَانُ زَوْراً[13] فَغَشَّيَاكَ نُوراً، وَأَجْنَيَاكَ نَوْراً[14]، أَهُمَا خَيْرٌ أَمْ زَوْرٌ أُمُّوكَ يَسُومُونَكَ جَوْراً وَيَهْبِطُونَ بِكَ غَوْراً، فَاشْكُرْ لِمَوْلاَكَ سَابِغَ إِنْعَامِهِ ٱلَّذِي لاَ يُفِيقُ[15] لَهُ قَطْرٌ وَأَنْتَ وَكُلُّ ٱلنَّاسِ بِهِ فِطْرٌ[16]، وَإِنْ غَدَوْتَ عَنِ ٱلْحَرَامِ صَوْماً[17] فَطِبْ نَفْساً وَطِبْ نَوْماً، وَمِثْلُكَ

---

(10) حر : حَرَى، وحَرٍ، وحَرِيّ : خليق.

(11) قمن : وقمن وقمين : جدير، وخليق.

(12) الوحر : الغيظ والحقد وبلابل الصدر ووساوسه.

(13) زورا : زائرا.

(14) نَوْراً : نوارا، زهورا.

(15) يفيق : أفاقت الناقة تفيق : إذا أرسلت درتها، وفيقتها هي ما رجع إلى ضرعها من لبن بعد حلبها.

(16) فطر : مفطر.

(17) صوما : صائما.

يَا هَذَا قَوْمٌ غَدَوْا وَهُمْ عَنْ مِثْلِهِ صَوْمٌ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ سِتْرِهِ سَدْلٌ وَبُشْرَى لَهُمْ إِنْ قَبِلُوهُ فَهُمْ رِضَى[18] وَهُمْ عَدْلٌ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ عَدْلٌ رِضَى إِنْ لَمْ تَكُنْ لِخِلاَفِهِمْ مُتَعَرِّضاً، أَلاَ إِنَّمَا ٱلصِّحَّةُ وَٱلشَّبَابُ ضَيْفٌ تَنْصَرِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا ٱلأَسْبَابُ، وَٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا ضَيْفٌ بَلْ كَأَنَّهُ فِيهَا طَيْفٌ، لَيْسَ لَهُ مِنْ حُطَامِهَا إِلاَّ مَا بِهِ أَنْعَمَ، وَلاَ مِنْ طَعَامِهَا إِلاَّ مَا طَعِمَ أَوْ أَطْعَمَ، فَإِنْ نَزَلَ بِكَ جِلَّةُ قَوْمِكَ ضَيْفاً فَمِنَ ٱلْعَدْلِ أَنْ تَحِيفَ[19] عَلَى جَزَرَاتِ مَالِكَ حَيْفاً، ٱلْجِلَّةُ[20] مَبْذُولَةٌ لِلْجِلَّةِ[21]، وَفِي حَوَاشِي[22] ٱلْمَالِ ٱلْحَوَاشِي[23]، ٱلرِّجَالُ مَتَاعٌ لاَ يُنْسَبُ إِلَى ٱلْقِلَّةِ، لأَنْ يَنْصَرِفَ ٱلضِّيفَانُ يُثْنُونَ بِمَا حَمَلَتِ ٱلْجِفَانُ خَيْرٌ مِنْ قَوْلِ ٱللَّفِيفِ[24] فُلاَنٌ لاَ يُحْسِنُ قِرَى ٱلضُّيُوفِ وَٱلْسِنَةُ ٱلشَّاكِرِينَ مِنَ ٱلأَضْيَافِ نِعْمَ ٱلتُّرْجُمَانُ عَنْ خُلُقِ ٱلأَشْرَافِ، وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ ضَيْفاً فَيَقْصُرُ عَنِ ٱسْتِقْلاَلِهَا بِٱلشُّكْرِ ٱلرِّجَالُ، وَلاَ يَضِيقُ بِهَا فِي ٱلثَّنَاءِ ٱلْمَجَالُ وَلَيْسَ حُسْنُ ٱلإِدْرَاكِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ ٱلذُّكُورُ بَلْ مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ شَكُوراً فَهُوَ شَكُورٌ. مَاءُ ٱلْمَكَارِمِ رَوَاءٌ وَمَا أَفْئِدَةُ ٱلْبَاخِلِينَ إِلاَّ هَوَاءٌ، فَإِنْ تَوَخَّيْتَ بِمَائِكَ ٱلرُّوَى[25] لأُولِي ٱلْخَلَّةِ إِرْوَاءً حَتَّى يَظَلَّ ٱلْقَوْمُ رِوَاءً فَقَدْ بَهَرَ بَهَاؤُكَ وَتَظَاهَرَ خَبَرُكَ وَرُوَاؤُكَ، وَلاَ تَفْعَلْ ذَلِكَ رِئَاءَ[26] ٱلنَّاسِ فَبِئْسَ رَأْيُ ٱلْعَاجِزِينَ وَٱلأَكْيَاسِ، إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ قَعَدُوا رِئَاءً[27] يَرْقُبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تَقْصِيراً أَوْ إِغْيَاءً، وَإِنَّ ٱلْمُغْنِيَ فِي ٱلْخَيْرِ لاَ يَجِدُ مِنْ

(18) في الأصل رضا، الورقة : 106.

(19) تحيف : من تحيف ماله إذا أخذ من أطرافه ونقصه.

(20) الجلة : المسان من الإبل وكبارها.

(21) الجلة : كبار القوم ومشايخهم.

(22) حواشي المال : جوانبه.

(23) الحواشي : جمع حاشية وهي الصغيرة من الإبل.

(24) اللفيف : القوم يجتمعون من قبائل شتى.

(25) الروى : الغزير الذي يروي الواردين.

(26) رئاء : مراءة.

(27) رئاءا : مفردها رَءَّاءٌ : الرجل الكثير الرؤية.

ذَمِّهِمْ لَجَاءاً، فَكَيْفَ يُعَلِّقُ ٱلْمُقصِّرُ بِٱلنَّجَاةِ رَجَاءاً. بُيُوتُ ٱلْقَوْمِ رِئَاءٌ[28] فَهَلْ قُلُوبُهُمْ فِي تَعَاطِي ٱلصَّفَاءِ سَوَاءٌ، هَيْهَاتَ هَذِهِ مِنْ رُؤَى ٱلْمَنَامِ ٱلْمَعْدُودَةِ فِي أَضْغَاثِ ٱلأَحْلاَمِ. أَيْنَ ٱلْمُتَنَاصِفُونَ فِي صَوْنِ ٱلأَعْرَاضِ ؟ أَيْنَ ٱلْمُتَوَاصِفُونَ مَا يَنْطَوُونَ عَلَيْهِ مِنْ سَلاَمَةِ ٱلأَغْرَاضِ :

قَدْ صَرَّحَ ٱلدَّهْرُ لِي بِٱلْمَنْعِ وَٱلْيَأْسِ ... لِمَنْ أُخَاطِبُ مَا لِي أَيْنَ يُذْهَبُ بِي

كَأَنَّنِي جَاهِلٌ بِٱلدَّهْرِ وَٱلنَّـاسِ[29] ... أَبْغِي ٱلْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لاَ وَفَاءَ بِهِ

[البسـيـط]

يَا مَنْ دَلَعَ[30] لِسَانُهُ فِي ٱلأَعْرَاضِ فَدَلَعَ، وَأُلِحَّتْ عَلَيْهِ ٱلنَّصَائِحُ فَمَا أَقْلَعَ، لَعَمْرِي لَوْ شَحَا[31] فُوكَ بِذَمِّ مَنْ يَجْفُوكَ لَمَا كُنْتَ حِينَ شَحَوْتَهُ بِذَلِكَ مَعْذُوراً، وَلَئِنْ فَغَرَ عَدُوُّكَ فَاهُ مُسْتَوْعِباً مِنَ ٱلتَّنَقُّصِ أَوْ فَاهُ لَكَانَ ٱلْكَفُّ أَجْمَلَ ظَاهِراً وَأَعَزَّ ظَهِيراً، إِنَّ أَمْرَأً فَغَرَ بِٱلْقَبِيحِ فُوهُ لأَمْقَتُ مَوْصُوفٍ عِنْدَ ٱلنَّاسِ إِنْ وَصَفُوهُ فَأَنْصَفُوهُ، فَذَرْ هَذَا يَا هَذَا وَدَعْهُ، وَازْجُرْ لِسَانَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلْمَآخِذِ وَارْدَعْهُ، وَلاَ تَعْتَلَّ مُخَادِعاً بِأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ وَذَرْتُ وَلاَ وَدَعْتُ، وَمَا أَنَا وَاذِراً وَلاَ وَادِعاً فَإِنِّي إِنَّمَا أُطَالِبُكَ أَنْ تَصْدَعَ بِٱلْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِٱللَّفْظِ صَادِعاً، وَلَكَ فِي ٱلتَّرْكِ وَمَا اشْتُقَّ مِنْهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي رُسِمَ لَكَ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ فَقُلْ لِي : تَرَكْتُ وَأَنَا تَارِكٌ، وَنَهَجْتَ لِي مَسْلَكاً فَأَنَا لَهُ سَالِكٌ، وَإِنَّهُ لَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَذَرَ كُلَّ مَا أَكَّدَ ٱلشَّرْعُ مِنْهُ ٱلْحَذَرَ، وَمَالَكَ لاَ تَدَعُ مَا يُعِيدُ ٱلأَنْفَ ٱلأَشَمَّ وَهُوَ أَجْدَعُ، إِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَمُلِيمٌ، وَإِنَّ ٱلسَّمْحَ بِهِ لَلَئِيمٌ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[32].

---

(28) رئاء : يقابل بعضها بعضا.

(29) لم أعثر على قائلهما.

(30) دلع : أخرج لسانه.

(31) شحا : انفتح.

(32) الآية 12 من سورة الحجرات.

13 ـــ بَابُ ٱلْمَفْتُوحِ أَوَّلُهُ مِنَ ٱلأَسْمَاء

يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ ٱلَّذِي عَمَلُهُ ٱلإِسَاءَةُ وَأَمَلُهُ ٱلإِحْسَانُ، إِنَّكَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِكَ فَاجْعَلْ فَكَاكَ ٱلرَّهْنِ قَصْرَ أَمَلِكَ وَمُجَازًى بِمُضْمَرِكَ فَاجْعَلْ إِصْلاَحَهُ فَائِدَةَ عُمُرِكَ، إِنَّكَ لاَ تَظْفَرُ مِنَ ٱلشَّوْكِ بِجَنَى[1] ٱلْعِنَبِ وَلاَ يَفِي بِتَعْفِيَةِ ٱلأَثَرِ مِمَّا تَحْمِلُهُ ٱلسَّرِيرَةُ ٱلْخَبِيثَةُ مِنَ ٱلدَّفَرِ[2] فَائِقُ ٱلْمِسْكِ وَٱلْعَنْبَرِ، فَضْلاً عَنْ وَرَقِ ٱلْغَارِ وَحَبِّ ٱلْمَحْلَبِ[3]، لَيْسَ إِلاَّ ٱلْجِدُّ فِي ٱلطَّلَبِ وَحُسْنُ ٱلإِعْدَادِ لِلْمُنْقَلَبِ وَتَطْهِيرُ ٱلْقَلْبِ مِنْ مَذْمُومِ ٱلتَّقَلُّبِ، فَجِدَّ يَا هَذَا عَسَى، وَلاَ تَسِرْ فِي طُرُقِ ٱلصَّلاَحِ سَيْرَ مَنْ يَشْكُو عِرْقَ ٱلنَّسَا. إِنَّ ٱلأَيَّام بِكَ سَائِرَةٌ وَرَحَى[4] ٱلْمَنُونِ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ، فَاغْتَنِمْ مَا سَاعَدَكَ رَخَاءُ ٱلْعَيْشِ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلَى بِكَ مِنَ ٱلتَّوَانِي [فِي عَمَلِ ٱلآخِرَةِ][5] ٱلتَّشْمِيرُ ٱلشَّبِيهُ بِٱلطَّيْشِ، هَلْ لَكَ مَحِيدٌ عَنْ يَوْمِ ٱلْقِصَاصِ فَأَعِدَّ لِلنَّجَاةِ مِنْ نَارٍ يَذُوبُ صَالِيهَا ذَوْبَ ٱلرَّصَاصِ، أَصِخْ سَمْعاً إِلَى ٱلنَّبَأَةِ وَلاَ يُلْهِيَنْكَ صَدَاقُ ٱلْمَرْأَةِ تَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ تُؤَدِّيهِ وَتُرْتِّي لإِفْرَاطِ ٱلْفَرَاغِ هَلْ يُقَالُ صَدُقَةٌ وَصُدْقَةٌ فِيهِ. وَيْحَكَ مَا يُجْدِيكَ كَيْفَ يُقَالُ وَقَدْ آدَتْ ظَهْرَكَ ٱلذُّنُوبُ ٱلثِّقَالُ وَأَسْلَمَكَ ٱلْوَخْدُ[6] وَٱلإِرْقَالُ[7]، فَهَلْ عَثَرَاتُكَ تُقَالُ، ٱلْمَوْتُ نَازِلٌ بِرَغْمِ ٱلأَنْفِ عَلَى ذِي ٱلتَّاجِ

---

(1) في الأصل جنا، الورقة : 107.

(2) الدفر : قوة وذكاء الرائحة طيبة كانت أو خبيثة.

(3) حب المحلب : شجر صغير يسمى العُتُم يستعمل حبه في الأدوية والطيب لذكاء رائحته.

(4) في الأصل رحا، الورقة : 107.

(5) تصحيح في طرة الكتاب بخط الناسخ، الورقة : 107.

(6) الوخد : نوع من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي.

(7) الارقال : ضرب من العدو في سير الإبل.

وَذَاتِ ٱلشَّنْفِ[8]، وَهُوَ غَايَةُ ٱلْمُرْقِلِينَ وَأَوَّلُ مَنَازِلِ ٱلْمُنْتَقِلِينَ، لاَ يُنْجِي ٱلْمُتَوَّجَ مِنْهُ تَاجُهُ، وَلاَ بَيْنَ ٱلْمُشَنَّفَةِ وَبَيْنَهُ بَابٌ يَمْنَعُهَا إِرْتَاجُهُ، وَٱلشَّأْنُ كُلُّهُ فِيمَا بَعْدُ مِنْ هَوْلٍ تَرُوعُ أَمْوَاجُهُ، وَبَحْرٍ تَغُولُ[9] ٱلسَّابِحِينَ أَثْبَاجُهُ[10]، فَهَالِكٌ بِعَمَلِهِ فِي ٱلْهَوَالِكِ، وَنَاجٍ بِمَا أَزْلَفَهُ[11] مِنْ سَدِيدِ ٱلْمَنَاحِي وَحَمِيدِ ٱلْمَسَالِكِ، وَرُبَّمَا تَدَارَكَتِ ٱلْمُسِيءَ رَحْمَةُ رَبِّهِ فَتَجَاوَزَ مُتَفَضِّلاً عَنْ ذَنْبِهِ فَوَجَدَ مِنْ مُتَضَايِقِ ٱلأَمْرِ مُنْفَرَجاً، وَنُسِخَتْ[12] لَهُ ٱلشِّدَّةُ فَرَجاً، وَنَجَا مِنْ مَا كَانَ يَخَافُهُ، وَلَكِنْ سَلْهُ كَيْفَ نَجَا، فَلاَ تَيْأَسْ يَا أَخِي مِنْ رَحْمَةِ ٱلْكَرِيمِ وَلاَ تَتَعَرَّضْ بِٱلتَّقْصِيرِ لِهَذَا ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[13].

وَهَذَا فَصُّ ٱلْخَاتَمِ مِنَ ٱلنَّبَإِ ٱلْيَقِينِ قَدْ فَرَغْتُ لَكَ مِنْ قَصِّهِ وَأَتَيْتُكَ بِٱلأَمْرِ مِنْ فِصِّهِ[14] فَاقْبَلْ مَا أَتَاكَ مِنْ صَادِقِ ٱلنَّقْلِ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَى فَمَازَالَ وَهُوَ خَصْمُ ٱلْعَقْلِ، أَفَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَفْطِمَهُ عَنْ ثَدْيِ ٱلشَّهَوَاتِ وَتَخْطِمَهُ[15] عَنْ هَذِهِ ٱلْهَنَوَاتِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ عَلَى ٱلصَّلاَحِيَّةِ اعْتِيَادُهُ وَيُسْمِحَ لِلإِنَابَةِ قِيَادُهُ، وَيَسْهُلَ إِلَى أَنْحَاءِ ٱلْخَيْرَاتِ انْقِيَادُهُ، وَيَحْسُنَ إِصْدَارُهُ فِي ٱلصَّالِحَاتِ وَإِيرَادُهُ، وَيَبِينَ لِلْمُخَاصِمِ إِلَيْهِ سَدَادُهُ، فَلاَ يَحْتَاجُ أَنْ يُؤَنِّبَهُ مُتَأَلِّماً وَيَشْكُوَهُ إِلَيْهِ مُتَظَلِّماً، مَا لَكَ إِلَيَّ، قَدْ خَاصَمْتَ فُلاَناً فَكَانَ ضِلْعُكَ[16] عَلَيَّ، هَلْ أَظْلَمُ مِمَّنْ نَصَبَ إِلَى ٱلْحَقِّ فَأَبْطَلَ وَمَالَ عَلَى ٱلْمُحِقِّ، فَخُذْ أَيُّهَا ٱلْبَاغِي مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، وَتَطَلَّبِ ٱلْعَدْلَ

(8) الشّنْف : القرط الذي تضعه المرأة في أذنها حلية.

(9) تغول : تهلكه وتأخذه من حيث لم يدر.

(10) أثباج : ثَبَجُ كل شيء معظمه ووسطه وأعلاه.

(11) أزلفه : قربه.

(12) نسخت : أبطلت الشدة وأقيم مكانها الفرج.

(13) الآية 165 من سورة الأنعام.

(14) فصه : من أصله ومفصله.

(15) تخطمه : تضع له خطاما.

(16) كان ضلعك علي : أي ميلك وهواك ضدي.

فَجِيءْ بِهِ مِنْ حَسِّكَ وَبَسِّكَ[17]، وَلاَ يُزْهِكَ ثَوْبُكَ ٱلْمُعَافِرِيُّ[18] فَعَنْ قَرِيبٍ تُعَفَّرَانِ[19]، وَلاَ يُونِقُ مُبْصِرَ إِنْسَانِكَ نَقَاءُ أَسْنَانِكَ فَإِلَى ٱلتُّرَابِ وَٱللَّهِ مَصِيرُ تِلْكَ ٱلأَسْنَانِ فَهُنَالِكَ لاَ يُغْنِي عَنْكَ ٱلْجِدَةُ [وَٱلْيَسَارُ][20] وَتُسْلِمُ مَكْسُوبَهَا ٱلْيَمِينُ وَٱلْيَسَارُ، فَيَا لَهُ مِنْ مَصْرَعٍ لاَبُدَّ لِكَأْسِهِ مِنْ مُتَجَرِّعٍ، سِيَّانِ فِي تَجَرُّعِ صَابِهِ[21] ٱلسَّيِّدُ ٱلسَّمَيْدَعُ[22] وَٱلْعَبْدُ ٱلْمُجَدَّعُ[23]، كِلاَ[24] ٱلْقَلْبَيْنِ يُصْدَعُ[25] وَكِلاَ[24] ٱلشَّمْلَيْنِ بِٱلْمَوْتِ يُصَدَّعُ، وَذَائِقٌ مَا ذَاقَهُ ٱلأَغْمَمُ ٱلصَّدَعُ. أَجْدِيهِ[26] لاَبُدَّ أَيْتَامٌ، ثُمَّ لِلْمَنِيَّةِ بِذَهَابِ كُلِّ ٱلْجِدَاءِ ٱنْخِتَامٌ، هَيْهَاتَ إِنَّ جَدْيَ ٱلْفَرَاقِدِ لَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ حَتْفٍ لَهُ مُنَاجٍ، فَكَيْفَ يَنْجُو جَدْيُ ٱلأَعْنُزِ مِنْ وَعِيدٍ يُغْنِي نَجَازَهُ عَنِ ٱلتَّنَجُّزِ. آهِ مِنْ سَيْفٍ لِلْمَنِيَّةِ عَضْبٍ[27] يَقْضِي عَلَى أُسُودٍ وَأُظُبٍ[28]، فَيَا لِلظِّبَاءِ وَلِلأُسُودِ مِنَ ٱلْمَنَايَا ٱلسُّودِ، وَحَبْلٍ لِلنَّوَائِبِ مَمْسُودٍ[29]، وَيَا بُعْدَ أَجْرِي[30] ٱلْقِثَّاءِ مِنْ أَجْرِي ٱلْكِلاَبِ ٱلضِّرَاءِ، هَذِهِ يُنْسِلُهَا جَارِحٌ، وَتِلْكَ تَحْمِلُهَا أُمٌّ[31]

(17) من حسك وبسك : من حركتك ومن سكونك.

(18) المعافري : نسبة إلى معافر اسم قبيلة وقرى باليمن.

(19) تعفران : تمرغان في التراب وخطاب المثنى موجه إلى الباغي وثوبه.

(20) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 108.

(21) صابه : الصاب عصارة شجر مر.

(22) السميدع : السيد الشجاع الكريم الذي توفرت فيه كل الخصال الحميدة.

(23) مجدع : مقطوع الإذن.

(24) كلي في الأصل، الورقة : 108.

(25) يصدع ويصدع : يشق نصفين.

(26) أجدي : جمع جدي ويقال أيضا الجداء. والمقصود هنا صِغارُهُ.

(27) عضب : قاطع.

(28) أظب : ثلاثة ظباء، وظباء جمع ظبي.

(29) ممسود : مفتول.

(30) أجرى : جمع جرو وهو الصغير من كل شيء حيوان أو نبات.

(31) أم النبات : الأرض.

ٱلنَّبَاتِ ٱلَّذِي يَجُودُهُ سَافِحٌ[32] وَيَرُودُهُ سَارِحٌ[33] ثُمَّ يَجْمَعُهُمَا ٱلْفَنَاءُ فَلاَ بَنَاتُ ٱلأَرْضِ تَبْقَى وَلاَ ٱلْجِرَاءُ أَبْنَاءِ تِلْكَ ٱلضَّرَّاءِ تُمْنَعُ مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ وَتُوَقَّى، إِنَّ ٱلثُّرَيَّا وَإِنْ شُدَّتْ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ فِي مَصَامِهَا[34] فَلاَبُدَّ مِنَ انْفِصَامِهَا، وَلاَ مَطْمَعَ فِي نَجَاتِهَا مِنَ ٱلإِنْتِشَارِ وَاعْتِصَامِهَا، وَإِنَّ ٱلسِّمَاكَ ٱلرَّامِحَ[35] نَحْبُهُ مَقْضِيٌّ وَلَوْ أَنَّ رُمْحَهُ خَطِّيٌّ[36]، وَمَا تُغْنِي ٱلرِّمَاحُ ٱلْخَطِّيَّةُ إِذَا جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لاَ تَعُوقُ عَجْلَتَهُ ٱلتَّئِيَّةُ.

مَا أَكَلْتُ أَكْلاً فَلَذَّ لِي مُنْذُ اعْتَبَرْتُ آخِرِي وَأَوَّلِي، وَلاَ ذُقْتُ غَمَاضاً فَهَدَأَتْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْنُ مُنْذُ طَالَعَنِي مِنْ مَرْتَبَإٍ[37] ٱلسِّتِّينَ ٱلْحَيْنُ وَمَا جَعَلْتُ فِي عَيْنِي حِثَاثاً[38]، مِنْ [حِينَ][39] اسْتَشْعَرْتُ مِنَ ٱلأَجَلِ اسْتِحْثَاثاً، وَمَاذَا يُسَوِّغُ مُقْلَتِي ٱلْحَثَاثُ إِذَا نَادَتْنِي ٱلدَّلاَئِلُ ٱلصَّادِقَةُ لاَ لَبَاثَ وَلاَ إِلْبَاثَ، يَا دُنْيَا لَقَدْ جَمَعْتِ أَشْتَاتَ ٱلرَّذَائِلِ جَمْعاً، وَأَجْمَعْتِ عَلَى بَوَارِ مَنْ جَمَعَ طَاعَةً لأَمْرِكِ ٱلْمَشْؤُومِ وَسَمْعاً. وَإِنَّ ٱلَّذِي حَوَيْتِ مِنَ ٱلْقُبْحِ لأَبْيَنُ مِنْ فَلَقٍ[40] أَوْ فَرَقِ ٱلصُّبْحِ، وَلَكِنْ، أَعْمَى ٱللَّهُ أَبْصَارَ ٱلْبَصَائِرِ مِنْ ذَوِيكِ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً مِنْ مَسَاوِئِكِ، فَشُكْراً لِمَاقِتِكِ وَلاَحِيكِ، بَلْ شُكْراً لِمَنْ بَصَّرَنِي بِمَذْمُومِ مَنَاحِيكِ، هَذَا لَكِ عِنْدِي، وَبِعِلْمِ ذَا مِنْ أَنْبَائِكِ وَرِيَتْ زَنْدِي، وَمَازِلْتُ أُبْغِضُكِ كَمَا تَعْلَمِينَ، وَأَعْتَقِدُ ضَرَّتَكِ ٱلآخِرَةَ

(32) سافح : مطر.

(33) سارح : ماشية.

(34) يشير أبو الربيع إلى بيت امرىء القيس :

كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

(35) السماك سماكان وهما نجمان نيران. سماك أعزل وسماك رامح وهو الذي لا نور له وهو إلى جهة الشمال.

(36) خطية : نسبة إلى الخط ميناء قرية باليمن ترفأ فيها الرماح من جزائر الهند ثم تحمل إلى سائر البلدان.

(37) مرتبأ : مرقبة ومطلع.

(38) الحثاث : بفتح الحاء وكسرها : القليل من النوم والقليل من الكحل.

(39) تصحيح من الهامش، الورقة : 108.

(40) فلق أو فرق الصبح : ضياؤه.

خَيْراً لِمَنْ صَرَمَكِ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ، فَإِنْ تُسْأَلِي عَنِّي مَا ٱلَّذِي عَرَفْتِ مِنِّي :

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي أُثْنِي عَلَيْكِ بِمِثْلِ رِيحِ ٱلْجَوْرَبِ[41]

[الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا عَارِضُ ٱلْخَبَالِ ٱلَّذِي حَمَلَ ٱلنَّاسَ عَلَى ٱلنَّهْيِ عَنْ صُحْبَةِ ٱلْكَوْسَجِ[42] دُونَ ٱلْوَافِي ٱلسَّبَالِ[43]، كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْخُطَى[44] مُتَقَارِبَةٌ فِي هَذَا ٱلْمَجَالِ، وَلَيْسَتِ ٱلْكَوْسَجَةُ مِمَّا تَقْتَضِي ٱلشَّرَّ فِي ٱلرِّجَالِ ذُو ٱلشَّرِّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلشَّرِّ مَطْبُوعٌ، وَٱلْخَيْرُ حَيْثُ شَاءَ رَبُّكَ مَوْضُوعٌ فَلاَ يَصِلْ بِكَ إِلَى ٱلتَّحَامُلِ هَوىً، وَالْجَأْ إِلَى رَبِّكَ إِنْ كَانَ بِصَبِيِّكَ لَوىً[45] فَهُوَ إِنْ شَاءَ لَوَى عَنْهُ عِنَانَ لَوَاهُ، فَطَابَقَ أُمْنِيَّةَ قَلْبِكَ وَهَوَاهُ، وَهُوَ ٱلَّذِي يُغْنِي عِبَادَهُ مِنَ ٱلْفَقْرِ، وَيَتَكَفَّلُ فِي أَعْلَى ٱلنِّيقِ[46] بِرِزْقِ فِرَاخِ ٱلصَّقْرِ، إِنَّ ٱلْبُخْلَ عَنْ صِفَاتِ رَبِّنَا ٱلْكَرِيمِ مُخْتَزَلٌ، وَكُلُّ طَعَامِهِ لَهُ نَزَلٌ[47]، إِلاَّ أَنْ تَبْخَلَ مِنْهُ بِٱلْيَسِيرِ عَلَى ٱلْمِسْكِينِ وَٱلْيَتِيمِ وَٱلأَسِيرِ فَتَكُونَ آفَةَ نَفْسِكَ، وَمَا آفَتُكَ إِلاَّ أَنْ تُمْسِكَ فَاضْرِبْ فِي طَعَامِكَ لِلضُّعَفَاءِ بِشِقْصٍ[48] تَأْمَنْ فِيمَا[49] أَطْعَمَكَ مِنْ نَقْصٍ وَٱللَّهُ يُجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ.

يَا مَعْشَرَ ٱلْمِعْرِضِينَ عَنِ ٱلآيَاتِ أَلاَ تَعْجَبُونَ لِلشَّمْعِ مَا يَنْفَكُّ عِنْدَ لِقَاءِ ٱلنَّارِ هَامِي

---

(41) كذا ورد هذا البيت في «المثلث» لابن السيد البطليوسي، تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي : 387/1، حكاه عن بعض اللغويين، وصرح في كتابه «**الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**» تحقيق : مصطفى السقا والدكتور حامل عبد المجيد : 34/1 بقوله : «أنشد أبو عمر المطرز عن ثعلب».

(42) الكوسج : الاثط، ذو اللحية الصغيرة وليس على عارضيه شعر.

(43) السبال : مفردها سبلة وهي الشعر على الشارب واللحية.

(44) الخطأ في الأصل، الورقة : 108.

(45) لوى : وجع يصيب البطن.

(46) النيق : النخيل.

(47) نزل : بَرَكَةٌ.

(48) شقص : نصيب معلوم.

(49) [في ما] في الأصل، الورقة : 108.

ٱلْمَدْمعِ، لَعَلَّهُ إِنَّمَا يَبْكِي لِمَضَاضَةِ أُوَارِهَا مُضْطَرّاً، فَنَحْنُ وَٱللَّهِ أَوْلَى بِٱلْبُكَاءِ وَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً، تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلَّتِي يَقِفُّ[50] لِذِكْرَاهَا ٱلشَّعَرُ، وَلاَ يَنِي جَاحِمُهَا يُسَعَّرُ، إِنَّ خَيْراً مِنْهَا لَلْجَنَّاتُ وَٱلنَّهَرُ وَٱلْجَنَابُ ٱلَّذِي خَصَّهُ بِٱلرَّحْمَةِ ٱلْمَلِيكُ ٱلْمُقْتَدِرُ، فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ عَلَى هَذَا يَفُزْ بِخَيْرِ ٱلْعَوَضِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي يَبْذُلُ فِيهِ مِنْ نَفَائِسِ ٱلْمَالِ أَجْدَى عَلَيْهِ فِي ٱلْمَآلِ مِمَّا حَصَلَ لَدَيْهِ فِي ٱلْقَبَضِ[51]، وَإِنَّ ٱلذُّنُوبَ لَتَحَاتُّ بِٱلصَّدَقَةِ وَٱلذَّخَائِرِ ٱلْمُنْفَقَةِ تَحَاتَّ ٱلنَّفَضِ[52] وَإِنْ كَانَ فِي سَيْرِكَ أَيُّهَا ٱلْمُقَصِّرُ إِبْطَاءٌ فَمَا يُغْنِي عَنْكَ ٱلْقَبَضُ وَإِنَّمَا يَنْفَعُكَ ٱلْعَطَاءُ وَلَيُوشِكَنَّ إِنْ بَخِلْتَ بِمَالِكَ فِي سَبِيلِ ٱلإِئْتِجَارِ[53] أَنْ تَنْفُضَهُ ٱلنَّوَائِبُ عَنْكَ نَفْضَ وَرَقِ ٱلأَشْجَارِ، فَتُصْبِحَ لاَ ثَوَابَ ٱلْجُودِ أَحْرَزْتَ وَلاَ بَقِيَ لَكَ ٱلَّذِي كُنْتَ كَنَزْتَ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ. إِنَّ ٱلْجَوَادَ لَقَلِيلُ ٱلدَّخَلِ[54]، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ذُو ٱلْبَخَلِ[55] فَجُدْ يَجُدْ عَلَيْكَ وَيَزْدَدْ فِي فَضْلِ ٱللَّهِ وُجُودِهِ أَمَلُكَ، وَصِلْ إِخْوَانَكَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱلْبِرَّ وَٱلصِّلَةَ يَزِيدَانِ فِي ٱلأَعْمَارِ، وَيَذُودَانِ عَنْ مَصَارِعِ ٱلْبَوَارِ، وَيُفِيدَانِ مُؤْثِرَهُمَا كُلَّ ٱلإِيثَارِ بِكَرَمِ ٱلثَّنَاءِ وَأَفْضَلِ ٱلآثَارِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكَ تِيهُ ٱلشَّبَابِ ٱلْمُقْتَبَلِ عَلَى أَنْ تَقُولَ لِمُسْلِمٍ لاَ أُكَلِّمُكَ إِلَى عَشْرٍ مِنْ ذِي قِبَلٍ، إِلاَّ أَنْ تُفَارِقَ حَبِيباً إِلَى هَذَا ٱلْمِقْدَارِ فَتَقُولَهَا مُتَفَجِّعاً لِمَا دَارَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهِ دَوَائِرُ ٱلأَقْدَارِ، وَعَلَى سَبِيلِ ٱلإِسْتِطَالَةِ لِمَسَافَةِ بَيْنِهِ وَٱلإِسْتِكْثَارِ، فَهَذَا عَسَى إِذَا أُنْطَقَ بِهِ ٱللِّسَانُ مُضْمَرُ ٱلأَسَى، وَأَمَّا إِرْسَالُ هَذَا ٱلْكَلاَمِ بِقَصْدِ ٱلْقَطِيعَةِ لِقَسِيمِكَ فِي ٱلإِسْلاَمِ، فَمَجْلَبَةٌ لِلآثَامِ وَمُخَالَفَةٌ لِلْقَبَائِلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلسَّلاَمِ : «لاَ يَحِلُّ

---

(50) يقف : من الفعل قَفَّ بمعنى وقف شعر رأسه من الفزع.

(51) القبض : ما جمع وقبض من الأموال.

(52) النفض : ما يتساقط من الشيء عند نفضه.

(53) الائتجار : شراء الثواب بالأعمال الحسنة.

(54) الدخل : الغش والعيب والفساد والريبة.

(55) البخل : بفتح الباء والخاء لغة في البخل.

لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[56] فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلْيَحْذَرْ مَنْ أُوتِيَ فِي تَنْمِيقِ ٱلْكَلاَمِ بَاعاً، وَأَنِسَ مِنْ نَفْسِهِ فِي ٱلنَّظْمِ أَوِ ٱلنَّثْرِ انْطِبَاعاً أَنْ يَغْتَنِمَ لَهُ فِي سُوقِ ٱلدُّنْيَا نَفَاقاً، فَيَسْتَجْلِبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَزَائِنِ رَبِّهِ رِزْقاً وَإِنْفَاقاً، فَيَجْعَلَ شُكْرَ مَوْلاَهُ عَمَّا أَوْلاَهُ مِنْ إِبْدَاعٍ وَإِحْسَانٍ ٱلتَّعَرُّضَ بِنَتَائِجِ إِحْسَانِهِ لإِنْسَانٍ، أَفَهَذَا جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ، وَحَقُّ مَنْ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِنَ ٱلْخُرْسِ إِذْ جَعَلَهُ مِنَ ٱللَّسِنِينَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَخُصَ سِعْرُ ٱلْهِمَّةِ عَلَى مَنْ كَانَ ٱلشِّعْرُ لَهُ رَأْسَ ٱلذِّمَّةِ، إِذَا أَنْفَقَهُ فِي ابْتِغَاءِ ٱلنَّفَقَةِ وَأَطْلَقَهُ فِي مَسْرَحِ ٱلْغُلْوَاءِ[57] ٱلْمُوبِقَةِ[58] يَشْتَمِلُ لَبُوسَ[59] ٱلنَّعِيمِ أَوِ ٱلْبُؤْسِ، وَيَمْتَطِي ذَاتَ ٱلْقِبَالِ[60] أَوْ ذَا ٱلْقَرَبُوسِ[61] مِنْ طَرَسُوسَ[62] إِلَى أَقْصَى بِلاَدِ ٱلسُّوسِ[63] يَخْبِطُ أَرْضاً فَأَرْضاً، وَيَتَعَرَّضُ لِلْمُسْتَنِيلِ بِسَرَفِ[64] ٱلْقَالِ وَٱلْقِيلِ، فَيَرْضَى ذَاكَ مِنْهُ أَوْ لاَ يَرْضَى فَيَسْتَقْصِرُهُ وَقَدْ أَغْيَى[65]، وَيَقْتُلُهُ بِٱلْمَنْعِ وَإِنَّمَا تَعَرَّضَ ٱلْبَائِسُ لِيَحْيَى، كَذَلِكَ مَنْ يَقْرَعْ بَابَ غَيْرِ ٱللَّهِ يَبُؤْ بِصَفْقَةِ ٱلْخَسَارِ فِي ٱلْمَمَاتِ وَٱلْمَحْيَى، فَيَا لَهُ مَغْبُوناً تَعَجَّلَ مِنَ ٱلْحِرْمَانِ عَرَبُوناً، وَلَوَدَّ أَنَّهُ اقْتُصِرَ بِهِ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ عَلَى ٱلْعُرْبَانِ[66] إِذَا شَاهَدَ فِي ٱلآخِرَةِ ضِيقَ ٱلْمُحَاسَبَةِ عَلَى جِنَايَاتِ ٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ، بُؤْسَاهُ وَٱللَّهِ بُؤْسَاهُ، إِذَا اشْتَدَّ أَسَاهُ عِنْدَ ٱلتَّقْرِيرِ عَلَى مَا كَتَبَتْ وَاكْتَسَبَتْ يَدَاهُ، وَنَسَبَتْ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَٱلأَمْرِ ٱلأَضْخَمِ إِلَى غَيْرِ وَلِيِّهِ

---

(56) حديث نبوي شريف. انظر صحيح مسلم : 9/8.

(57) الغلواء : المغالاة في الشيء.

(58) الموبقة : المهلكة.

(59) لبوس : ثياب.

(60) القبال : الزمام.

(61) القربوس : حِنْوُ السرج.

(62) طرسوس : مدينة ببلاد الشام تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، معجم البلدان : 28/4.

(63) السوس : بلد بالمغرب. معجم البلدان : 280/3.

(64) سرف : مجاوزة القصد.

(65) أغيا في الأصل، الورقة : 109.

(66) العُربان : لغة في العربون.

وَمَوْلاَهُ، وَتِلْكَ خَصَائِصُ ٱلإِلَهِيَّةِ(67) وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ وَإِنَّ ذَا ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَبَرُوتِ لَمْ يَرْضَ بِإِسْرَافِ ٱلْجَبْرِيَّةِ(68) فِي ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْمَلَكُوتِ، فَكَيْفَ يَسُوغُهُ لِعَبْدٍ فِي عَبْدٍ عَلَى تَعَمُّلٍ وَعَمْدٍ، يَتَعَرَّضُ لِقَوْمٍ فِيهِمْ جَبَرِيَّةٌ(69) فَيَقُولُ لَهُمْ أَنْتُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ وَخِلاَلُكُمْ مِنْ كُلِّ ذَيْمٍ(70) بَرِيَّةٌ، مَا أَدْرَاهُ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ أَوْ مَا ٱلَّذِي سَلَكَ بِهِ هَذِهِ ٱلْمَسَالِكَ ٱلَّتِي لَعَلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلسَّدَادِ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ فَلْكَةِ ٱلْمِغْزَلِ وَٱلسِّمَاكِ(71) ٱلأَعْزَلِ هَذَا فِي ٱلسَّمَاءِ يَتَرَدَّدُ، وَتِلْكَ تَمْنَعُ غَزْلَ ذَاتِ جَهْدٍ أَنْ يَتَبَدَّدَ، عَمَرَكَ ٱللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ وَفَضْلُ رَبِّنَا كَفِيلٌ بِإِرْشَادِ ٱلضَّالِّ وَهِدَايَةِ ٱلْحَيْرَانِ وَإِذَا وَجَدَ ٱلْمَرْءُ فَضْلاً مِنَ ٱلْقَوْلِ فَإِمَّا أَنْ يُصَرِّفَهُ فِي عَظَمَةِ رَبِّنَا ذِي ٱلْجَلاَلِ وَٱلطَّوْلِ، وَإِمَّا أَنْ يَقْتَصِدَ خَوْفاً مِمَّا فِي ٱلْغُلُوِّ مِنَ ٱلْغَوْلِ(72)، وَلَقَدْ كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ عَلَى عِلاَّتِهَا وَخِلاَّتِهَا يَتَجَنَّبُونَ فِي ذَلِكَ مَسَالِكَ ٱلأَنْذَالِ وَيَصُونُونَ هِمَمَهُمْ وَأَحْسَابَهُمْ عَنِ ٱلإِبْتِذَالِ، وَيَصْرِفُونَ أَقْوَالَهُمْ فِيمَا يَحْضُرُ لَدَيْهِمْ وَيَكْثُرُ دَوْرُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلإِبِلِ وَٱلْخَيْلِ وَمَا يَرْكَبُونَهُ مِنَ ٱلأَخْطَارِ فِي رُكُوبِ ٱللَّيْلِ إِلَى مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ ٱلسُّرُوجِ وَٱلأَقْتَابِ(73)، وَخَبْطِ ٱلْقَفْرِ ٱلْيَبَابِ، وَٱلتَّشَوُّفِ إِلَى ٱلطَّارِقِ ٱلْمُنْتَابِ، وَمَا هُمْ بِهِ مُتَحَقِّقُونَ مِنْ حِمَايَةِ ٱلذِّمَارِ وَرِعَايَةِ ٱلْجَارِ وَٱلْخِلاَلِ ٱلدَّالَّةِ عَلَى طِيبِ ٱلْمُحْتِدِ وَكَرَمِ ٱلنِّجَارِ قَدْ أَعْرَضُوا عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمْ عَنِ ٱلإِبْتِذَالِ لِوُجُوهِهِمْ وَٱلإِخْلاَقِ، وَرَضُوا خَوْفَ ٱلذُّلِّ بِحُرْقَةِ ٱلإِمْلاَقِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يُخَالِفُ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدَ فَيَجْعَلُ ٱلْقَصَائِدَ لأَغْرَاضِهِ وَصَائِدَ(74) وَلآمَالِهِ مَصَائِدَ

---

(67) الإلاهية في الأصل 109.

(68) الجَبْرية : بسكون الباء، قوم يعتقدون أن الإنسان مجبر على المعاصي وعلى الطاعات.

(69) جَبَرية : بفتح الباء، كبر وتغطرف.

(70) الذيم : العيب.

(71) السماك الأعزل : نجم من منازل القمر وسمي أعزل لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب، أو لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد فهو أعزل منها.

(72) الغول : الهلاك.

(73) الأقتاب : جمع قتب وهو إكاف البعير أي رحله.

(74) وصائد : حظائر تتخذ من الحجارة في الجبال للمال.

فَأُولَئِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمَاهِيرِهِمْ قَلِيلٌ وَفِي أَوْصَافِهِمْ إِذَا ذُكِرَتْ عَلَى ٱلْوَهْنِ دَلِيلٌ، وَإِنَّ ٱلشِّعْرَ لَحِلْيَةٌ زَائِنَةٌ إِذَا كَانَتْ لِتِلْكَ ٱلْمَآخِذِ مُبَايِنَةٌ، وَحُلَّةٌ أَنِيقَةٌ مَا لَمْ تُسْلَكْ بِهَا تِلْكَ ٱلطَّرِيقَةُ، فَإِنْ سُلِكَتْ فَإِنَّمَا ٱلشِّعْرُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ :

زَخَارِفٌ وَأَكَاذِيبٌ يَبِيتُ بِهَا ... ذُو ٱللُّبِّ رَهْنَ وَسَاوِيسٍ وَأَفْكَارِ

وَرُبَّمَا لَقِيَ ٱلْمَمْدُوحُ مَادِحَهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ مَوَاعِيدٍ وَأَعْذَارِ

فَلاَ يُطِعْنِي لِسَانِي إِنْ مَلأْتُ بِهِ ... مِنِّي غَدَاةَ احْتِفَالٍ شِدْقَ مِهْذَارِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ حَوْبَاءٍ[75] مُكَرَّمَةٍ ... فَمَا إِذَالَتُهَا[76] بِٱلْمَوْقِفِ ٱلزَّارِي[77]

صَوْنُ ٱلْفَتَى وَجْهَهُ أَوْقَى[78] لِهِمَّتِهِ ... وَٱلرِّزْقُ جَارٍ عَلَى حَدٍّ وَمِقْدَارِ

قَنِعْتُ وَامْتَدَّ مَا لِي فَٱلسَّمَاءُ يَدِي ... وَنَجْمُهَا دِرْهَمِي وَٱلشَّمْسُ دِينَارِي[79][80]

[البسيط]

ٱلتَّذْكِرَةُ نِعْمَ ٱلأَسْيَانِ[81]، وَأَضَرُّ شَيْءٍ بِكَ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ عَارِضُ ٱلنِّسْيَانِ، يُذْهِلُكَ عَنِ ٱلْمُنْقَلَبِ، وَيُنْهِلُكَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ فِي دَلْوٍ عَرْقُوَتُهَا[82] مَشْدُودَةٌ فِي عُرْوَتَي ٱلْعَطَبِ، فَفَكِّرْ دَائِباً فِي انْقِرَاضِ ٱلْعُمُرِ، وَاذْكُرِ ٱلأَمْرَ أَبَداً بِٱلأَمْرِ، وَإِذَا لَمَسْتَ تَرْقُوَتَكَ فَاذْكُرْ بُلُوغَ ٱلنَّفْسِ ٱلتَّرَاقِي وَعَدَمَهَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ ٱلأَوَاقِي، وَاسْتِشْعَارَهَا ٱلْيَقِينَ بِأَنَّهَا لاَ تَجِدُ إِلاَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلْبَاقِي، وَقَدِّمْ لِذَلِكَ ٱلْهَوْلِ مَا اسْتَطَعْتَهُ مِنْ صَالِحِ ٱلْعَمَلِ وَمَعْرُوفِ ٱلْقَوْلِ، وَإِذَا قَرَأْتَ سُورَةَ ٱلسَّجْدَةِ فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ :

---

(75) حوباء : نفس. تقدم شرحها ص 69.

(76) إذالتها : إهانتها.

(77) في الأصل الزار، الورقة : 110.

(78) في ديوان الرصافي الرفاء ص 94 أبقى وكذا في زاد المسافر 132.

(79) في الأصل دينار، الورقة : 110.

(80) البيتان الأخيران منسوبان للرصافي الرفاء في ديوانه، ص 94. تحقيق د. إحسان عباس، وكذلك وردا في زاد المسافر، ص 132.

(81) الأسيان : الحزين.

(82) عرقوتها : العرقوة خشبة توضع على فم الدلو يشد فيها الحبل ولكل دلو عرقوتان.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[83]، وَازْدَدْ مِنَ ٱلذُّهُولِ وَٱلنِّسْيَانِ تَبَرُّؤاً إِنِ اسْتَطَعْتَ وَانْتِبَاذاً وَاجْهَدْ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ يُورِدُونَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ وَيُصْدِرُونَ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِهِ خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[84].

وَإِذَا وَضَعْتَ جَفْنَتَكَ أَوْ قَصْعَتَكَ لِتَطْعَمَ فَلاَ تَنْسَ جَارَكَ ٱلَّذِي لاَ يَجِدُ ٱلطُّعَمَ فَلاَ يَشْبَعُ ٱلْمُؤْمِنُ وَجَارُهُ طَاوٍ، وَلاَ يُؤْثِرُ هَذِهِ ٱلرَّذِيلَةَ إِلاَّ غَاوٍ، وَٱللَّهِ إِنَّ قَبِيحاً أَنْ يُعَامَلَ بِهَا كَلْبٌ عَاوٍ، فَكَيْفَ بِمُسْلِمٍ لَهُ فِي ٱلإِسْلاَمِ مَا لَكَ مِنْ دَعَاوٍ، وَرُبَّمَا كَانَ لَهُ صِبْيَةٌ يَتَضَاغَوْنَ[85] مِنَ ٱلْجُوعِ حَوْلَهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ حِيلَةَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ ٱللَّهَ لَهُمْ طَوْلَهُ، فَبَادِرْ لَعَلَّ قَبُولَ ذِي ٱلْفَضْلِ ٱلْجَزِيلِ قَدْ جَعَلَ إِحْسَانَكَ إِلَيْهِمْ جَوَابَ ذَلِكَ ٱلدُّعَاءِ، وَبَاعَدَكَ عَنْ تَضَاغِي أَهْلِ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ بِمَا أَسْكَتَّ مِنْ ذَلِكَ ٱلضُّغَاءِ، وَإِنَّ فِي بَعْضِ ٱلأَلْيَةِ[86] مِنْ نَعْجَتِكَ ٱلأَلْيَانَةِ أَوْ كَبْشِكَ ٱلأَلْيَانِ[87] مَا فِيهِ كِفَايَتُهُ وَكِفَايَةُ ٱلصِّبْيَانِ، وَلإِحْسَانُكَ ٱلْمُوَالَى أَوْلَى بِكَ مِنْ أَنْ تُرَى بِأَثَرِ ٱلْبِطْنَةِ آلَى[88]، ولأَنْ يُهْزَلَ جِسْمُكَ فِي ٱلثِّيَابِ وَتَسْمَنَ بِمَا يُوجِبُهُ لَكَ خَالِقُكَ مِنَ ٱلثَّوَابِ، أَجْمَلُ لَكَ فِي ٱلْعُيُونِ مَنْظَراً وَأَفْضَلُ لِمَا بَعْدَ وَقْعِ ٱلْمَنُونِ مُدَّخَراً، وَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ ٱلْعَجْزَاءَ لَوْ آثَرَتِ ٱلإِجْتِزَاءَ وَٱلْتَمَسَتْ عِنْدَ ٱللَّهِ بِشَطْرِ طِعْمَتِهَا ٱلْجَزَاءَ لَكَانَ لَهَا فِي أُخْرَاهَا أَصْلَحَ وَلَوْ أَوْلاَهَا ذَاكَ فِي أُولاَهَا ٱلرَّسَحَ[89]، هُنَاكَ ٱلشَّأْنُ أَيَّتُهَا ٱلْمُتْرَفَةُ هُنَاكِ، فَابْذُلِي غِنَاكِ فِي ٱلإِعْدَادِ لِمَغْنَاكِ، وَلاَ تَغْنِيكِ إِلاَّ هَذِهِ ٱلأَشْيَاءُ،

---

(83) آلآية 35 من سورة الجاثية. وقد وهم أبو الربيع فيها إذ الآية 15 من سورة السجدة هي : ﴿وذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾.

(84) الآية 26 من سورة السجدة.

(85) يتضاغون : يتصايحون ويتباكون.

(86) ألية النعجة : مؤخرتها.

(87) الأليانة والأليان : العظيم المؤخرة.

(88) آلى : عظيم العجز.

(89) الرسح : خفة الاليتين ولصوقهما.

مَا قَوْلُهُمْ[90] إنَّ كَلاَمَ ٱلْعَرَبِ عَجْزَاءُ وَٱلْقِيَاسُ أَلْيَاءُ، ذَلِكَ جَهْلٌ لاَ يَضُرُّ وَعِلْمٌ لاَ يَنْفَعُ، وَوَسِيلَةٌ لاَ تَشْفَعُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلاَ تُشَفَّعُ، وَيَا هَذَا إنَّ أَعْدَى[91] ٱلأَعْدَاءِ عَلَيْكَ نَفْسُكَ بَيْنَ جَنْبَيْكَ، هِيَ ٱلَّتِي تُحَارِبُكَ وَتُضَارِبُكَ، وَتُرَاجِيكَ أَحْيَاناً وَتُوَارِبُكَ[92] وَتُبَاعِدُكَ فِي حَقِّ هَوَاهَا أَكْثَرَ مِمَّا تُقَارِبُكَ فَلاَ تَكُنْ مِنْكَ لَهَا بِٱلْحَقِّ صَدْعَةٌ، وَخَادِعْهَا جُهْدَكَ فَإِنَّ ٱلْحَرْبَ خَدْعَةٌ، لَعَلَّكَ إذَا أَنِسْتَ أَوْثَقْتَهَا، إِنَّكَ إِنْ أَخَذْتَهَا بِٱلْمُنَفِّرَاتِ أَوْبَقْتَهَا، أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمُوَقَّفَةَ[93] ٱلْحَرُونَ. إِنْ رَامَ لَحَاقَهَا ٱلْمُجْرُونَ بَعُدَ عَلَيْهِمُ ٱلْمَدَى وَتَعَذَّرَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا ٱلْمُدَى[94]، فَإِنْ رَامُوهَا بِٱلْحِيَلِ سَرَتْ إِلَيْهَا فِي طَيِّ ٱلْحِيلَةِ سُمُومُ ٱلْغِيلِ، فَمَا بَيْنَ شُرُودِهَا فِي ٱلْقَفْرِ ٱلْقَوَاءِ وَبَيْنَ انْتِظَامِ لَحْمِهَا فِي سَفُّودِ ٱلشِّوَاءِ، إلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَلْتَقِي وَحْيُ ٱلْحِيلَةِ بِمَقْدُورِ ٱلْحَيْنِ فَإِذَا بِهَا مَصْرُوعَةٌ لِلْفَمِ وَٱلْيَدَيْنِ، وَإِنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلْمُعْتَادَةَ رُكُوبَ هَوَاهَا لأَشْرَدُ مِنَ ٱلنَّعَامِ، وَأَبْعَدُ عَنْ فَهْمِ ٱلصَّوَابِ مِنَ ٱلأَنْعَامِ فَإِذَا لاَيَنْتَهَا فِي لَطَفٍ وَدَرَجْتَهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْمَقْصُودَةِ فِي مُنْعَرَجٍ مِنْ طَرِيقِهَا وَمُنْعَطَفٍ، فَرُبَّمَا انْقَادَتْ بِٱلتَّدْرِيجِ وَقَرُبَ عَلَيْكَ مَا كُنْتَ اسْتَبْعَدْتَهُ مِنْ إِصْلاَحِ أَمْرِهَا ٱلْمَرِيجِ، وَيَحْسُنُ ٱلصَّبْرُ عَلَى تَدْرِيجِهَا زَمَاناً، وَإِنْ تَلَوَّنَتْ لَكَ أَلْوَاناً، حَتَّى تَسْمَحَ انْقِيَاداً لِلْمُرَادِ وَإِذْعَاناً، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسُكَ لاَ تَسْتَطِيعُ بِهَا تَنْدِيداً، وَلاَ تَزَالُ فِي ارْتِيَادِ ٱلأَصْلَحِ لَهَا مُبْدِئاً وَمُعِيداً :

وَمَــنْ تَكُــنْ قُرْحَــةٌ بِفِيــهِ يَصْبِرْ عَلَى مَصِّهِ ٱلصَّدِيــدَا[95]

[مخلع البسيط]

---

(90) هذا قول ثعلب في الفصيح «وامرأة عجزاء كذلك كلام العرب والقياس : ألياء». انظر **فصيح ثعلب**، تحقيق الدكتور عاطف مدكور، ص 291-292.

(91) في الأصل أعدا، الورقة : 111.

(92) توّاربك : تداهيك.

(93) الموقفة : الدابة التي في قوائمها خطوط سود.

(94) المدى : جمع مدية وهي السكين.

(95) البيت لأبي القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسميسر والبيت موصولا قبله :

أَقَــارِبُ ٱلسُّوءِ دَاءُ سُوءٍ فَاحْمِـلْ أَذَاهُـمْ تَـعِشْ حَمِيــداً =

إنَّ ٱلْقَنَاعَةَ لِذِي ٱلإِقْلاَلِ لَنِعْمَ ٱلْعَوْنُ عَلَى ٱلْعِيَالِ، تُغْنِيهِ ٱلدَّجَاجَةُ ٱلْبَيُوضُ إِذَا أَعْذَرَهُ ٱلنَّشِيلُ[96] وَٱلْغَرِيضُ[97]، وَإِنَّ فِي ٱلدَّجَاجِ ٱلْبُيَّضِ لَكِفَايَةً كَافِيَةً فِي هَذَا ٱلْغَرَضِ، فَلاَ تَخْرُجْ عَنْ مُحِيطِ ٱلْقَنَاعَةِ إِلَى مُنْفَسَحِ ٱلْكَثْرَةِ مِقْدَارَ أُنْمَلَةٍ[98]، وَاجْعَلِ ٱلإِقْتِصَادَ غَايَتَكَ ٱلْمَقْصُودَةَ وَبُغْيَتَكَ ٱلْمُؤَمَّلَةَ، ثُمَّ سِرْ إِلَيْهَا أَبَداً فِي رِفْقٍ، فَلَنْ يُخْطِئَكَ مَا قُدِّرَ لَكَ مِنْ رِزْقٍ هُوَ آتِيكَ وَلَوْ كُنْتَ بِرَأْسِ[99] عَيْنٍ أَوْ قَفَا أَسْنُمَةٍ[100] وَقَدْ فَرَغَ ٱللَّهُ مِنْهُ لِلْفِئَتَيْنِ فِئَةٍ كَافِرَةٍ، وَأُخْرَى تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ مُسْلِمَةٍ، فَاشْكُرْهُ أَصِيلاً وَغَدْوَةً، وَاخْدُمْهُ صَيْفَةً وَشَتْوَةً، حَذَارِ أَنْ يَصُدَّكَ عَارِضُ ٱلْبَرْدِ عَنْ خِدْمَةِ ٱلصَّمَدِ ٱلْفَرْدِ، أَوْ يَكْسِرَ نَشَاطَكَ كَرَبُ ٱلْحَرِّ عَنِ ٱلْعَمَلِ لَهُ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ، هُوَ ٱلْمُخِيفُ وَٱلْمُؤْمِنُ وَهُوَ ٱلسُّبُوحُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلاَمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ بِإِذْنِهِ تَسْرِي إِلَى ٱلرُّوحِ غَائِلَةُ ٱلذُّرُّوحِ[101] وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ ٱلشِّفَاءَ فِي ٱلذَّرَارِيحِ وَرُبَّ دَاءٍ لَيْسَ غَيْرَهَا شِفَاؤُهُ، وَرَبُّكَ يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاؤُهُ، فَسُبْحَانَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ٱلْمُدِيرُ كَيْفَ شَاءَ مِنْ طَرْدٍ أَوْ عَكْسٍ زِمَامَ ٱلْمَقَادِيرِ، فَإِذَا أَرَادَ [وَلاَ رَادَّ][102] لِمَا يُمْضِيهِ مِنَ ٱلأُمُورِ أَدْفَأَ فِي ٱلشُّفَّانِ[103] بِٱلشُّفُوفِ[104]،

= فَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةٌ بِفِيهِ يَصْبِرْ عَلَى مَصِّهِ ٱلصَّبِيدَا

انظر الذخيرة ق 884/2/1 تحقيق د. إحسان عباس.

(96) النشيل : قطعة اللحم تنتشل من القدر باليد.

(97) الغريض : اللحم الطري، والطري من اللبن والماء والتمر أيضا يسمى الغريض.

(98) أنملة : مفرد أنامل.

(99) رأس عين : اسم موضع في جزيرة العرب بين حران ونصيبين ودنيس. انظر معجم البلدان : 13/3، 14. ورد في شعر المخبل يهجو الزبرقان. انظر اللسان : رأس.

(100) أسنمه : اسم لرملة معروفة، وقفا أسنمة اسم موضع ورد في بيت لزهير :

ضَحَّوْا قَلِيلاً قَفَا كُثْبَانِ أَسْنُمَةٍ وَمِنْهُمُ بِٱلْقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكُ

اللسان : سنم، شرح غريب الفصيح للتدميري، الورقة : 40.

(101) الذروح : دويبة طيارة تشبه الزنبور مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة لها جناحان تطير بهما. وهو سم قاتل، كان العرب إذا أرادوا أن يكسروا حد سمه خلطوه بالعدس واستعملوه كدواء لمن عضه الكَلْبُ الكَلِبُ، جمعها ذراح وذراريح.

(102) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 112.

(103) الشفان : القر والمطر.

(104) الشفوف : جمع شف وهو الثوب الرقيق أو الستر الرقيق يري ما وراءه.

وَأَصْرَدَ[105] عِنْدَ غَلَيَانِ ٱلْمَصِيفِ بِٱلسُّمُّورِ[106] وَجَمَعَ بَيْنَ ضَبٍّ وَشَبُّوطٍ[107] عَلَى ٱلْحَيَاةِ فِي صُعُودٍ أَوْ هُبُوطٍ، أَوْ عَلَى ٱلْحَيْنِ فِي مُضْطَرَمِ ٱلتَّنُّورِ، فَلاَ تَرْتَبْ مِنْ رَبِّكَ بِمَقْدُورٍ، فَيُوثِقَكَ فِي أَنْكَاءِ كَلُّوبٍ[108] مِنْ قَدَرٍ لَهُ غَلُوبٍ، ثُمَّ يُرْهِقَكَ بَعْدُ صُعُوداً ثُمَّ يُعْكِسَكَ فِي حَدُورٍ يَنْتَهِي بِكَ إِلَى نَارٍ تُصْبِحُ لَهَا وَقُوداً وَتَفْقِدُ بُرُوداً ضَافِيَةً مِنْ رَحْمَتِهِ وَبُرُوداً، فَتَعَوَّذْ بِكَرَمِهِ مِنْ هَذَا ٱلْمَقَامِ وَاعْمَلْ جُهْدَكَ لِوَجْهِ ذِي ٱلْجَلاَلِ وَٱلإِكْرَامِ، وَاظِبْ وُضُوءاً لَهُ وَطُهُوراً، وَاجْعَلْ حَظَّكَ مِنْ رِزْقِهِ فُطُوراً وَسُحُوراً، وَكُنْ أَبَداً شَدِيدَ ٱلْوُلُوعِ بِٱلسُّجُودِ لَهُ وَٱلرُّكُوعِ، وَكَثِيرَ ٱلْقِيَامِ بِمَفْرُوضٍ أَوْ مُتَنَفَّلٍ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَجِدْهُ حَسَنَ ٱلْقَبُولِ لأَعْمَالِ ٱلْعَامِلِينَ جَمِيلَ ٱلإِسْعَافِ لآمَالِ ٱلآمِلِينَ، يَا بَرْدَ مَغْفِرَتِهِ إِنْ صَحَّتْ عَلَى ٱلْكَبِدِ، وَيَا بُشْرَى ٱلسَّعِيدِ بِهَا إِلَى ٱلأَبَدِ وَلِلصَّدَقَةِ فِي حُصُولِهَا تَأْثِيرٌ وَثَوَابُ ٱللَّهِ بِإِزَاءِ قَلِيلِهَا كَثِيرٌ، فَتَعَرَّضْ بِجَزِيلِهَا لِكَرَمِهِ ٱلْمُسْعِفِ وَأَكْثِرْ لِلضُّعَفَاءِ تُضْعِفْ[109]، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُضْعِفِينَ[110]، وَإِذَا نَحَرْتَ ٱلْجَزُورَ، فَلاَ تَجْعَلْ حَظَّ جَارِكَ ٱلْفَقِيرِ فِي ٱلْمُسْتَرْذَلِ مِنْهَا وَٱلْحَقِيرِ، إِبْعَثْ إِلَيْهِ مِنْهَا بِٱلْفَخِذِ وَاعْلَمْ أَنَّ عَادَةَ ٱلإِحْسَانِ أَحْسَنُ مَا يَتَوَجَّهُ إِلَى اتِّخَاذِهِ رَأْيُ ٱلْمُتَّخِذِ، وَدَعْ فَحِثَ[111] ٱلْكَرِشِ فَمَا تَبْعُدُ فِي ٱلْقَدَرِ وَٱلْقَذَرِ عَنْ مَصِيرِ ٱلْمُحْتَرِشِ[112]، وَهَلْ يَعْتَدُّ مُعْطِي ٱلْقِبَةِ[113] بِكَرَمٍ، أَوْ مَاذَا غَنَاؤُهَا عَنْ مَسَاكِينِ أُولِي قَرَمٍ، وَلَعَلَّهُمْ عَلَى ٱلْخَلَّةِ أُولُو هِمَمٍ، فَيَرَوْنَ صَبِرَ[114]

---

(105) أصرد : من الصرد أي شدة البرد.

(106) السّمّور : حيوان يشبه النمس منه ما هو أسود وما هو أشقر لامع تسوى من جلوده فراء غالية.

(107) شبوط : اسم نوع من السمك. (الشابل).

(108) كلوب : مهماز وخطاف ومنشال يأخذ به الحداد الحديد الحامي.

(109) تضعف : من أضعف الرجل إذا فشت صنيعته وكثرت.

(110) المضعفين : الذين لهم أضعاف في الحسنات.

(111) فحث الكرش : ذات الأطباق من الكرش.

(112) المحترش : الضب.

(113) القبة : فحث الكرش.

(114) صبر : عصارة الصبر وهو مر المذاق.

ٱلصَّبْرِ عَنْهَا أَحْلَى وَأَوْلَى بِحُسْنِ ٱلْعَوَضِ مِنْ كَرَمِ ٱلْمَوْلَى، أَفَلَيْسَ رَدُّ ذَلِكَ عَلَى ٱلْمُتَنَفِّلِ غَيْرِ ٱلْمُحْتَفِلِ أَخْجَلَ لَهُ مِنَ ٱلضَّرْطِ[115] فِي ٱلْمَحْفَلِ، وَهَلْ فِي ٱلْحَبَقِ سِوَى ٱلْحَيَاءِ مِنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ مَيْتاً فِي ٱلأَمْوَاتِ أَوْ حَيّاً فِي ٱلأَحْيَاءِ وَفِي إِيلاَمِكَ نَفْسَ ٱلْفَقِيرِ ٱلْمَجْهُودِ إِسْخَاطُ رَبِّكَ ٱلْغَنِيِّ ٱلْحَمِيدِ، فَهَلْ أَنْتَ لِهَذَا مُقْرِنٌ أَوْ تَسْتَطِيعُ قَطْعَ أَخِيَّةٍ[116] مِنْ أَوَاخِيِّهِ مُهْرُكَ ٱلأَرِنُ[117]، لِيَحْسُنْ مِنْكَ ٱلْفِعْلُ، وَلْتَتْرُكْ خُلُقَ ٱلسَّفِلَةِ تَعُلْ، وَاحْذَرْ أَنْ تَخْبُثَ كَلِمَتُكَ فَتَزِلَّ بِكَ ٱلنَّعْلُ، فَتَبِعَةُ ٱلْكَلِمَةِ عَظِيمَةٌ، وَعُقُوبَةُ ٱلآخِرَةِ أَلِيمَةٌ، وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ تَهُونُ عَلَيْهِ عِدَتُهُ[118] وَمَنْ يَكُونُ أَعْظَمَ هَمِّهِ مَعِدَتُهُ، يَهُشُّ سَرِيعاً إِلَى ٱلْقَطِنَةِ[119] هَشَاشَةَ نَفْسٍ غَيْرِ فَطِنَةٍ أَنْجَزَتِ ٱلْقَبِيحَ نَقْداً، وَعَجَزَتْ عَنِ ٱلْجَمِيلِ قَوْلاً وَعَقْداً فَبَايَعَتْ عَلَيْهِ بِأَخِرَةٍ[120]، وَبَنَتْ عَلَى طُولِ ٱلإِمْهَالِ وَٱلنَّظِرَةِ فَانْبَعَثَتْ لَهَا ٱلْمَنِيَّةُ مُبْتَدِرَةً وَلَمْ تَجِدْ إِلاَّ أَنْ تَقُولَ مَا عَرَفْتُكَ إِلاَّ بِأَخَرَةٍ[121]، فَهَلْ مِنْ تَئِيَّةٍ أَسْتَدْرِكُ فِيهَا مَا أَفَتُّ، وَأَمْحُو مِنْ نُدُوبِ ٱلذُّنُوبِ مَا اسْتَفَدْتُ وَٱللَّهِ لَئِنْ أُخِّرْتُ لأُنْفِذَنَّ فِي مُقْتَضَيَاتِ ٱلإِنَابَةِ بَاقِي ٱلآنَاءِ، ولأَجْعَلَنَّ ٱلتَّوْبَةَ لَبِنَةَ ٱلتَّمَامِ فِي هَذَا ٱلْبِنَاءِ، هَيْهَاتَ أَيُّهَا ٱلْمُنْهَمِكُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ شَأْنُهُ ٱللَّعِبُ وَٱلضَّحِكُ، هَذَا مَوْقِفٌ لاَ يُنْجِيكَ فِيهِ ٱلْحَلِفُ وَٱلْكَذِبُ وَمَهْوًى لاَ تَجِدُ مَنْ يَصْرِفُكَ عَنْهُ وَيَجْتَذِبُ، هُوَ ٱلْمَوْتُ فَالْقِ يَداً وَٱلْجَزَاءُ فَارْتَقِبْ عَنْ كُلِّ جِنَايَةٍ قَوَداً ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[122].

---

(115) الضرط والحبق بمعنى واحد وهو خروج الريح من جسم الإنسان.

(116) أخية : حبل يدفن طرفاه في الأرض وفيه عود يظهر منه مثل عروة تشد إليه الدابة.

(117) الارن : المرح، النشيط.

(118) عدته : وعده.

(119) القطنة، فحث الكرش، القبة : كلها بمعنى واحد.

(120) أخرة ونظرة : بنسيئة وتأخير.

(121) أخرة : بفتح الخاء في آخر الأمر وعقبه.

(122) آية 93 من سورة الأنعام.

14 ـــ بَابُ ٱلْمَكْسُورِ أَوَّلُهُ مِنَ ٱلأَسْمَاءِ

حَبْلُ ٱلْبِطَالَةِ رِخْوٌ فَلاَ تَجْعَلْ سَبَبَكَ إِلَى ٱللَّهِ رِخْواً، وَلِكُلِّ كَلْبٍ جِرْوٌ فَلاَ تَقْتَنِ مِنْ كَلْبِ سُوءٍ جِرْواً، وَنَقِّ مَكَاسِبَكَ مِنَ ٱلْحَرَامِ فَعَشِيرُ[1] رِطْلٍ مِنْ مُغْتَصَبِ ٱلذَّهَبِ كَفِيلٌ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلْحَامِيَةِ ٱللَّهَبِ وَٱلإِضْطِرَامِ ذَلِكَ مَالٌ لاَ يَأْمَنُ ٱلْمُقَصِّرُ أَخْذَهُ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهُ ٱلْمُؤَمَّرُ وَلَوِ ٱسْتُعْمِلَ عَلَى ٱلشَّامِ وَمَا أَخَذَ إِخْذَهُ[2]، بَلْ رُبَّمَا زَادَهُ ذَلِكَ وَبَالاً، وَلَمْ تَأْلُهُ ٱلْوِلاَيَةُ خَبَالاً، أَفَمَا آنَ لِلأَسْيَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ حُجَّةَ لَهُ فِي دَعْوَى ٱلنِّسْيَانِ، وَلاَ يُجْدِيهِ أَنْ يُنْكِرَ وَٱلْبَيِّنَاتُ صَادِعَةٌ بِٱلْبَيَانِ، دِيوَانُ أَعْمَالِهِ حَاضِرٌ إِنْ أَنْكَرَ وَأَيُّ شَيْءٍ لَهُ فِي ٱلنِّسْيَانِ عَاذِرٌ مَعَ قَوْلِ ٱلْحَقِّ سُبْحَانَهُ : ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[3].

إِنَّ كِسْرَى وَإِنْ حَمَلَ ٱلتَّاجَ، وَتَجَلَّلَ ٱلدِّيبَاجَ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يَوَدُّ فِيهِ لَوْ كَانَ لاَبِسَ مِعْوَزٍ[4]، وَمُمَارِسَ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ[5]، وَإِنَّ خِصْبَ ٱلْخِوَانِ وَكَثْرَةَ ٱلصَّنَائِعِ وَٱلإِخْوَانِ لاَ يَمْنَعَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ وَلاَ يَقِيَانِ، إِنَّمَا تُقْتَنَصُ نَتِيجَةُ ٱلأَمَانِ عَنْ مُقَدِّمَتَيْ جِدِّ ٱلْعَمَلِ وَصِدْقِ ٱلإِيمَانِ، فَيَا رَبِّ أَجِرْنِي مِنْ مَذْمُومِ ٱلْمَجَارِي، وَإِذَا عُرِضْتُ عَلَيْكَ فَتَفَضَّلْ عَلَى عَبْدِكَ ٱلْفَقِيرِ إِلَيْكَ بِأَنْ تَقُولَ هُوَ فِي جِوَارِي، فَأَنْتَ ٱلَّذِي لاَ يُخْفَرُ لَكَ جَارٌ، وَلاَ يَكُونُ مَآلَ ٱلْمُخْلِصِينَ لَكَ ٱلنَّارُ، هَذَا ٱلطَّرِيقُ فَأَيْنَ سُلاَّكُهُ، وَٱلتَّوْفِيقُ قَرِيبٌ مِمَّنْ قَرُبَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُهُ وَهَذَا

(1) العشير : الجزء من العدد عشرة.

(2) استعمل على الشام وما أخذ إخذه : استعمل على الشام ونواحيها.

(3) الآية 37 من سورة فاطر.

(4) معوز : ثوب خلق بالي.

(5) سداد من عوز : بلغة من العيش يسد بها حاجته. **مجمع الأمثال** : 338/1.

قِوَامُ ٱلأَمْرِ وَمِلاَكُهُ وَلَيْسَ مَعَ رَبِّكَ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ يَلْبِسُ عَلَيْكَ ٱلأَمْرَ اشْتِرَاكُهُ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ. ٱلْمَالُ(6) فِي ٱلرِّعْيِ نُهْبَةٌ لِلْخُطُوبِ إِنْ لَمْ يَتَكَفَّلِ ٱللَّهُ لَهُ بِالرَّعْيِ، وَكَمْ سِقْيُ(7) أَرْضِكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّهُ يَضِيرُهَا تَمُوزٌ أَوْ يَنْفَعُهَا نِيسَانُ، وَٱللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَتَوَلَّ سَقْيَهَا ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمَاءَ وَقَدَّرَ ٱلإِرْوَاءَ وَٱلإِظْمَاءَ، لَيُصْبِحَنَّ نَبْتُهَا هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ، وَلَيَسْتَأْصِلَنَّ مَا أُخْرِجَتْ مِنْ بَرَكَاتِهَا ٱلاِجْتِيَاحُ فَتُصْبِحَ وَمَا فِي مَالِكَ نِقْيٌ(8) وَلاَ لَكَ مِنَ ٱلطَّعَامِ غِذْيٌ(9) وَلاَ سِقْيٌ(10) وَرَبُّكَ عَزَّ شَأْنُهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. وَسِيَّانِ أَنْ تَنْزِلَ ٱلْعُلُوَّ أَوِ ٱلسُّفْلَ رِزْقُكَ حَيْثُ كُنْتَ آتِيكَ وَٱلْقَدَرُ بِإِرَادَتِهِ مُوَاتِيكَ، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْقَانِطِينَ. أَبْطَرَ قَوْماً ٱلاِقْتِدَارُ وَغَرَّتْهُمْ هَذِهِ ٱلدَّارُ، فَبَنَوْا فِيهَا بِٱلْجِصِّ وَٱلشِّيدِ(11)، كَأَنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَعُوقَةٌ بِالتَّشْيِيدِ، أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَحَيْثُمَا سِرْتُمْ فَإِنَّمَا تَخْطُوْنَ فِي مَسَارِحِ ٱلْمَنَايَا بِأَرْجُلٍ مُقَيَّدَةٍ، وَيَا مُسْتَجِدَّ ٱلثَّوْبِ ٱلْمُزَأْبَرِ(12)، لاَ يَبْقَى ٱلثَّوْبُ وَلاَ زِئْبِرُهُ، وَأَنْتَ يَا مُحَبِّرَ ٱلْكَلاَمِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ يُودِي ٱلْكَلاَمَ وَمُحَبِّرَهُ، أَنْتَ مُنْحَدِرٌ عَنْ مَنَازِلِ هَذِهِ ٱلدَّارِ انْحِدَارَ ٱلزِّئْبِقِ، وَمُسْتَقْبِلٌ نَاقِداً بَصِيراً بِدِرْهَمِكَ ٱلْمُزَأْبِقِ فَإِنْ كَانَ لَكَ فِكْرٌ فَقِسْ أَنْ لَيْسَ لَكَ يَدَانِ بِٱلْقِرْقِسِ(13) عَلَى أَنَّ وَهْنَهَا يُبْصَرُ بَيِّناً، وَمَرَامَهَا يُحْسَبُ هَيِّناً، وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ مِنْ شَرِّ أَذَاكَ، يُبْعِدُ ٱلْغُمْضَ إِدْنَاؤُهَا، وَيُشَرِّدُ ٱلأُنْسَ غِنَاؤُهَا، وَرُبَّمَا أَهْلَكَ ٱلْجَبَّارِينَ اعْتِدَاؤُهَا، وَإِلاَّ فَسَلْ نُمْرُوذاً(14) مَاذَا [كَانَ](15) سَبَبُ حَتْفِهِ وَهَلْ

---

(6) المال في الرعي : الابل وما شاكلها.

(7) سقي أرضك : النصيب من الماء لسقيها.

(8) نقي : كل عظم فيه مخ.

(9) الغذي : الزرع البعيد من المياه، فهو إما يسقى بماء المطر أو بماء السيول.

(10) السقي : الزرع الذي يسقى دون الاعتماد على مياه الأمطار.

(11) الشيد : بكسر الشين كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط.

(12) المزأبر : ما يظهر على وجه الثوب من زغب أو صوف بعد نسجه.

(13) القرقس : البعوض والبق.

(14) النمروذ : ملك معروف كان على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

(15) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 112.

تَوَصَّلَتْ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْفِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ، وَهِيَ ٱلدُّنْيَا مَا أَمْرُهَا عَلَى ٱللَّبِيبِ بِمُشْكِلٍ فَمِنْ هَذَا ٱلْجِرَابِ فَكِلْ، وَقَدْ صَدَعْتُ لَكَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمُؤْمِنُ يَصْدَعُ وَلاَ يُخْدَعُ، وَمَا أَوْطَأْتُكَ[16] عِشْوَةً فِي ٱلنُّصْحِ ٱلْمَبْذُولِ فَلاَ تُوطِئْنِيهَا فِي ٱلتَّظَاهُرِ بِٱلْقَبُولِ، وَلاَ يُنْسِكَ وَصِيَّتِي عَارِضُ ٱلأَمَلِ ٱلْخَسِيسِ، فَتُسِفَّ إِلَى ٱلدَّنِيَّةِ إِسْفَافَ ٱلْحِدَأَةِ إِلَى ٱلْفَلاَلِيسِ، وَإِنَّ شَرَّ ٱلْمَلإِ فِي ٱلْمُنْتَهَى وَٱلْمُبْتَدَإِ ٱلْعَامِلُونَ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلْحِدَاءِ، فَوَٱللَّهِ لأَنْ يُصْبِحَ ٱلْحُرُّ جِنَازَةً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَى نَفْسُهُ إِلَى ٱلرَّذِيلَةِ مُنْحَازَةً، إِنَّ ٱلتَّوْبَةَ لَغِسْلَةٌ[17] مِنْ دَرَنِ ٱلْحُوبِ مُنْقِيَةٌ، وَٱلسَّمَاحَةُ خَصْلَةٌ إِلَى أَعَالِي ٱلْمَعَالِي مُرْقِيَةٌ فَاسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ، وَحُطَّ بِأَكْنَافِ ٱلإِنَابَةِ رَحْلَكَ يَرْجَحْ مِيزَانُكَ، يَوْمَ تُشْفِقُ مِنْ خِفَّتِهِ وَتَخَافُ مِمَّا يُوضَعُ فِي أَعْمَالِكَ فِي كِفَّتِهِ، لاَ تَحْتَقِرَنَّ عَدُوّاً، وَلاَ تَأْمَنَنَّ رَوَاحاً وَلاَ غُدُوّاً فَلَرُبَّمَا بَلَغَتْ صِنَّارَةُ ٱلْمِغْزَلِ مِنَ ٱلإِغْتِيَالِ مَا يُقَصِّرُ عَنْهُ شَأْوُ ٱلسُّيُوفِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلرِّمَاحِ ٱلطِّوَالِ، وَكَمْ آمِنٍ لَيْلَتَهُ هَذَا عَلَيْهِ ٱلصَّبَاحُ، وَمُصْبِحٍ فِي كَنَفِ ٱلْعَافِيَةِ ٱلْوَاقِيَةِ غَالَ رُوحَهُ ٱلرَّوَاحُ، وَإِنَّمَا هِيَ ٱلأَقْدَارُ تَدُورُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كَيْفَ تُدَارُ، وَٱلْمَنَايَا تَسْتَخْرِجُ خَبَايَا ٱلزَّوَايَا بِأَيْدِي ٱلرَّزَايَا، فِي بَنِي كُلِّ فُلاَنٍ لَهَا بِغْيَةٌ[18]، وَإِلَى كُلِّ ٱلآذَانِ لَهَا نَغْيَةٌ[19]، فَافْهَمْ عَنْهَا فَقَدْ أَبَانَتْ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ فَكَأَنْ قَدْ بَانَتْ، فَلاَ يَغْتَرَّ ٱلْمَوْلُودُ لِرِشْدَةٍ[20] [بِطِيبِ][21] مَوْلِدِهِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ لِغَيَّةٍ[22] أَوْ زِنْيَةٍ شَرِيكُهُ فِي مَوْرِدِهِ وَإِنْ بَايَنَهُ فِي كَرَمِ مَحْتِدِهِ، يَالَيْتَ عَذَبَةَ ٱللِّسَانِ كَانَتْ كَٱلإِصْبَعِ مِنَ ٱلإِنْسَانِ، لاَ تَنْتَشِلُ لُحُومَ ٱلأَعْرَاضِ، وَلاَ تَخِفُّ إِلَى ٱلْهُجْرِ خُفُوفَ ٱلسِّهَامِ إِلَى ٱلأَغْرَاضِ، فَمَرِّنْ لِسَانَكَ

(16) أوطأتني عشوة : حملتني على غير هداية.

(17) غسلة : ما يغسل به الرأس.

(18) بغية : مبتغى ومراد.

(19) نغية : نغمة.

(20) المولود لرشدة : المولود إذا كان لحلال.

(21) بطبب في الأصل، الورقة : 114.

(22) لِغَيّة : لغير الحلال.

عَنِ ٱلْكَفِّ عَنْ ذَلِكَ وَٱلإِعْرَاضِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَرَبَ[23] ٱللِّسَانِ شَرٌّ مِنْ شَرِّ ٱلأَمْرَاضِ، فَاسْتَشْفِ رَبَّكَ فَهُوَ ٱلشَّافِي، وَاذْكُرْ كَمْ لَيْلَةٍ أَبَاتَتْكَ جنَايَاتُ لِسَانِكَ عَلَى مِثْلِ وَخْزِ ٱلأَشَافِي[24]، لاَ بَلِ ٱلأَشْفَى أَخَفُّ وَخْزاً وَٱلأَفْعَى أَسْلَمُ نَكْزاً[25]، وَقَدْ تَحْدُثُ ٱلْمِحْنَةُ، وَتَنْشَأُ بَيْنَ ٱلصَّفِيَّيْنِ ٱلإِحْنَةُ، وَلَكِنِ ٱلْكَرِيمُ يَخْزُنُ لِسَانَهُ وَيَحْفَظُ مَا اسْتَطَاعَ إِيمَانَهُ، يَا لَهَذِهِ ٱلْغَائِلَةِ ٱلْمُتَرَدِّدَةِ إِنِّي لأَذْكُرُهَا فَأَجِدُ إِبْرِدَةً[26]، وَمَا أَقَلَّ مَنْ خَلَصَ بِهَا مِنَ ٱلإِمْتِحَانِ أَنِّي وَأَنْتَ فِي دَارٍ تَقَلَّبُ فِيهَا بَيْنَ صِلٍّ[27] وَعَقْرَبٍ أَوْ بَيْنَ كَلْبٍ وَسِرْحَانٍ. أَعِنْ جُهْدَكَ ٱلْمُسْتَعِينَ وَابْذُلْ لِجَارِكَ إِذَا طَلَبَ إِلَيْكَ ٱلْمَاعُونَ واحْذَرْ أَنْ تَمْنَعَهُ فِي ٱلنَّهَارِ أَوِ ٱللَّيْلِ، فَقَدْ أَوْعَدَ ٱللَّهُ مَانِعِيهِ بِٱلْوَيْلِ[28]، وَإِنْفَحَّةُ[29] ٱلْجَدْيِ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ فَابْذُلْهَا رَطْبَةً وَمُجَفَّفَةً وَقُلْهَا مُثَقَّلَةً وَمُخَفَّفَةً[30]، وَلاَ تَسْتَقِلَّ مَعْرُوفاً فَرَبُّكَ يُكْثِرُ قَلِيلَهُ وَيُرَبِّيهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، وَالْتَمِسْ أَبَداً مِنَ ٱلْعَمَلِ أَنْفَعَهُ، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، وَإِيَّاكَ وَخُلُقَ ٱلإِسْتِنْكَافِ مِنْ رُكُوبِ ٱلإِكَافِ[31]، فَقَدْ رَكِبَ ٱلْوِكَافَ خَيْرُ ٱلْبَشَرِ وَفِيهِ أَكْرَمُ إِسْوَةٍ فِي اطِّرَاحِ ٱلزَّهْوِ وَٱلأَشَرِ، وَكَمْ إِسْوَارٍ[32] مِنْ أَسَاوِرَةِ ٱلْفُرْسِ أُولِي ٱلْمَجْدِ ٱلْخَطِيبِ وَٱلأَلْسِنَةِ ٱلْخُرْسِ اِمْتَطَوا ٱلسُّرُوجَ يُعْشِي وَمِيضُهَا عَيْنَ ٱلشَّمْسِ، وَاسْتَشْعَرُوا مِنْ لَيِّنِ ٱللِّبَاسِ مَا لاَ يَكَادُ يُوجَدُ بِٱللَّمْسِ، فَسَرَتْ إِلَيْهِمُ ٱلْخُطُوبُ بَيْنَ ٱلْجَهْرِ وَٱلْهَمْسِ فَصَدَّتْهُمْ عَنِ ٱلْوِرْدِ وَٱلْخِمْسِ[33]

---

(23) ذَرَبَ : حِدَّة.

(24) الأشافي : جمع أشفى، الابرة التي تخرز بها النعال.

(25) نكز : طعن الحية بأنفها.

(26) إبردة : برد في الجوف.

(27) الصل : السيف القاطع.

(28) الآيات 4، 5، 6 و7 من سورة الماعون.

(29) إنفحة : شيء يخرج من بطنه أصفر اللون يستعمل في تغليظ الجبن.

(30) يستعمل لفظ إنفحة بالتشديد وبغيره، انظر الفصيح، ص 294.

(31) الإكاف : ويقال أيضا الوكاف وهو ما يكون فوق بردعة الحمار والبغل.

(32) إسوار : الفارس والرامي وقائد الفرس، عجمي معرب، وجمعه أساورة.

(33) الخمس : من أظماء الابل وهو أن ترد الماء في اليوم الخامس.

وَعَاقَهُمُ ٱلْهَوْلُ عَنِ ٱلْكَفْرِ[34] وَٱلرَّمْسِ، وَأَتَتْ عَلَى مُلْكِهِمْ ٱلْعَظِيمِ قُدْرَةُ ٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْقُدْسِ فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ جَشَّمَتْهُمْ عِزَّةُ ٱلإِسْلاَمِ أَذَلَّ تَجَشُّمٍ وَنَقَلَتْ سِوَارَ كِسْرَى إِلَى زَنْدِ سُرَاقَةَ[35] بْنِ [مَالِكٍ][36] بْنِ جُعْشُمٍ، فَاعْتَبِرْ لِمَا تَأْتِي بِهِ ٱلأَقْدَارُ وَاعْتَبِرْ فَرُبَّمَا نَفَعَكَ ٱلإِعْتِبَارُ، وَكَمْ إِضْبَارَةٍ[37] مِنَ ٱلْكُتُبِ دَبَرْتَ[38] فَهَلْ بِمُضَمَّنِهَا اعْتَبَرْتَ، وَكَمْ إِضْمَامَةٍ مِنْهَا ضَمَمْتَ فَكَيْفَ بَعْدُ بِٱلذَّنْبِ ٱلْمَمْتَ، أَرَاكَ طَلَبْتَ ٱلْعِلْمَ لِلْبَهَاءِ، وَجَهِلْتَ أَنَّ أَحْسَنَ ثَمَرَاتِهِ حُسْنُ ٱلإِزْدِجَارِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلإِنْتِهَاءِ. أَيُّ وَادٍ وَٱللَّهِ فِيهِ هِمْتَ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَ، مَا أَخْشَانِي أَنْ يَغْشَاكَ يَوْمٌ تَوَدُّ فِيهِ لَوْ كَانَ شُغْلُكَ فِي ٱلدُّنْيَا رَعْيَ ٱلْبَهَائِمِ، أَوْ لَوْ قُنِعَ مِنْكَ بِقَطْعِ مَا بَيْنَ ٱلْخِنْصِرِ إِلَى ٱلإِبْهَامِ، لاَ بَلْ وَدِدْتَ أَنْ يُقْطَعَ مِنْكَ عُضْوٌ رَئِيسِيٌّ وَلَوْ تَقْطَعْ زَمَانَكَ بِأَنْ يُجْلَبَ إِلَيْكَ إِهْلِيلَجٌ[39] هِنْدِيٌّ أَوْ رُمَّانٌ إِمْلِيسِيٌّ[40] أَوْ تَقْصُرَ عَقْلَكَ عَلَى تَدْبِيرِ الإِوَزَّةِ تَتَّخِذُ لَحْمَهَا صَفِيفاً وَقَدِيراً وَشَكِيرَهَا[41] مِهَاداً وَثِيراً، فَهَلْ تَجِدُ مَنْفَعَةً لِذَاكَ ٱلصَّفِيفِ وَٱلْقَدِيرِ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلاَئِكَةُ صَفّاً بَيْنَ يَدَي ٱلْعَزِيزِ ٱلْقَدِيرِ، أَوْ هَلْ تَدْفَعُ عَنْكَ وَثَارَةُ ٱلشَّكِيرِ مَضَاضَةَ ٱلْوَقْعِ مِنْ إِرْزَبَّةِ[42] مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، كَمْ شَهِدْتَ مِنْ

---

(34) الكفر : من معانيها ظلمة الليل وسواده ـــ القبر ـــ القرية ولعل هذا المعنى الذي قصده أبو الربيع.

(35) سراقة بن مالك بن جعشم : هو الذي خرج في إثر رسول الله ﷺ طمعا في المائة ناقة التي وعدت بها قريش كل من يرد سيدنا محمد ﷺ، وقصته وفرسه مشهورة.
انظر **سيرة ابن هشام** : 134/2 و135.

(36) ملك في الأصل، الورقة : 114.

(37) إضبارة : مجموعة كتب مضمومة مشدودة.

(38) دبرت : خلفتها بعدك، بقيت بعدك.

(39) إهليلج : ثمر شجر يستعمل في الأدوية، ونسبته الهندي لأنه يأتي من الهند.

(40) رمان إمليسي : حلو طيب لا عجم له في حبه وإنما هو ماء منعقد أملس منسوب إلى الامليس وهو الناعم اللين.

(41) شكيرها : الشكير من الشعر والريش والعفا والنبت : ما نبت من صغاره بين كباره.

(42) إرزبة : المعول والمطرقة.

إِمْلاَكٍ[43] مَنجُوٌّ مُفْتَخَرٍ ثُمَّ شاهَدْتَ اسْتِعْمَالَ ٱلسِّدْرِ[44] فِيهِ وَٱلإِذْخِرِ[45]، رَاقَكَ مُتَحَرِّكاً كَأَنَّهُ لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ رَاعَكَ مُهْلَكاً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، فَطَفِقْتَ تُنْكِرُ صِفَتَهُ لَمَّا نَشَرَ ٱلْفَنَاءُ عَلَيْهِ مِلْحَفَتَهُ، وَتُضْرِبُ عَنْ مَعْهُودِ بِرِّهِ وَإِلْطَافِهِ لَمَّا سَلَبَتِ ٱلْمَنُونُ مِلْحَفَ ٱلْعَيْشِ ٱلأَنِيقِ عَنْ أَعْطَافِهِ، إِنَّ نَفْسَكَ فِي ٱلْمَوْتِ لَمُغْرِقَةٌ، وَكُلُّ حَيٍّ لاَبُدَّ وَأَنْ تَقَعَ بِرَأْسِهِ لِلْمَنَايَا مِطْرَقَةٌ، فَأَعِدَّ لِوَقْعِ ٱلْمِطْرَقِ، وَجِدَّ فَلاَبُدَّ مِنْ سُلُوكِ تِلْكَ ٱلطُّرُقِ، وَلاَبُدَّ لِهَذِهِ ٱلرِّيحِ أَنْ تَهُبَّ سَمُومُهَا[46] وَلِذَرَارِيحِ هَذِهِ ٱلْقَبَائِحِ أَنْ تَغُولَكَ سُمُومُهَا، ثُمَّ لاَ تُسْتَدْفَعُ بِٱلْمِرْوَحَةِ تِلْكَ ٱلأَرْوَاحُ وَتَنْجُو بِحِيلَةٍ مِنَ ٱلْهَلاَكِ هَذِهِ ٱلأَرْوَاحُ. إِنْ تَفَقَّدْتَ مَرَّةً فِي ٱلْمِرْآةِ ظَاهِرَ شَيْبِكَ، فَتَفَقَّدْ مِرَاراً فِي مَرَائِي ٱلنَّظَرِ ٱلْجِدِّ وَٱلْعَقْلِ ٱلأَسَدِّ بَاطِنَ غَيْبِكَ وَعَيْبِكَ، ثُمَّ طَهِّرْ قَلْبَكَ وَمِئْزَرَكَ، وَحَسِّنْ مَا اسْتَطَعْتَ فِي ٱلدُّنْيَا أَثَرَكَ، وَجُدْ عَلَى ذِي ٱلْعَيْمَةِ وَٱلْعَيْلَةِ ٱلضَّعِيفِ بِمَخْلَبٍ يُرْوِيهِ، وَصَدِّقْ بِعَمَلِكَ صَادِقَ ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي فِي فَضْلِ ٱلصَّدَقَةِ تَرْوِيهِ، فَٱلصَّدَقَةُ لِمَصَارِعِ ٱلسُّوءِ كَٱلْمِقْطَعِ، وَٱلدِّيَارُ إِذَا لَمْ تُعْمَرْ بِحُسْنِ ٱلصِّلَةِ وَٱلْمُوَاسَاةِ فِي حُكْمِ ٱلْقَوَاءِ ٱلْبَلْقَعِ، أَدِّ ٱلأَمَانَةَ حَتَّى فِي مِخْيَطٍ [وَمِلْ][47] أَبَداً فِي أَفْعَالِكَ وَأَقْوَالِكَ إِلَى ٱلأَحْوَطِ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ لأَقْضِيَةِ رَبِّكَ ذَا تَسَخُّطٍ، أَوْ تَلْقَى أَقْدَارَهُ كَأَنَّمَا تُسْعَطُهَا بِمُسْعَطٍ[48] فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَصْرِفُ قَدَراً وَلاَ يُفِيدُكَ إِلاَّ كَرْباً نَاجِزاً وَعِقَاباً مُوخِزاً. إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلأَيَّامُ لِلأَعْمَارِ مُدُقٌّ تَدُقُّهَا وَٱللَّهِ دَقَّ ٱلْمِنْحَازِ[49] [حَبَّ][50] ٱلْفُلْفُلِ، وَتَأْتِي رَزَايَا مَنَايَاهَا عَلَى ٱلْيَقِظِ وَٱلْمُغَفَّلِ :

(43) إملاك : زواج.
(44) السدر : شجر النبق ومنه نوع حلو طيب الرائحة يفوح فم آكله وثيابه كما يفوح العطر.
(45) الإذخر : حشيش طيب الرائحة يطحن ويستعمل في الطيب.
(46) سموم : الريح الحارة.
(47) غير واضحة في الأصل، الورقة : 115.
(48) مسعط : آلة ينفخ بها السعوط في أنوف الدواب للتعطيس.
(49) المنحاز : الهاون، والنحز : الدق، والعبارة من أمثال العرب «دقك بالمنحاز حب الفلفل».
فصل المقال، ص 434، وفي مجمع الأمثال للميداني : «دقك بالمنحاز حب الفلفل». والفلفل شجيرة خضراء لها حب حلو طيب والمثل يضرب للاذلال والحمل عليه.
انظر مجمع الأمثال : 265/1.

يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ   كَمَوْتِ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ   وَزَادَ فِي ٱلأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ[51]

[البسيط]

تَمَعْدَدُوا[52] وَاخْشَوْشَنُوا مَعْشَرَ ٱلرِّجَالِ وَدَعُوا ٱلْمُدْهُنَ وَٱلْمُكْحُلَةَ لِرَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ، مَا اتَّخَذَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخُلاً وَلاَ آثَرَ غَيْرَ خِدْمَةِ ٱللَّهِ شُغُلاً، فَجِدُّوا فَإِنَّ ٱلأَمْرَ جِدٌّ، وَاعْلَمُوا أَنْ أَنْفَاسَكُمْ سَيُفْنِيهَا عَدٌّ وَمَنْ سَالَ عَلَيْهِ سَيْلُ ٱلسِّتِّينَ مِنْ نُقَطِ ٱلإِنَاءِ فَقَدْ حَصَلَ فِي دِهْلِيزِ ٱلْفَنَاءِ، فَلْيُعِدَّ لِلدَّارِ ٱلَّتِي هَذَا دِهْلِيزُهَا، وَلْيَقْتَدِ بِٱلْفِرْقَةِ ٱلَّتِي إِذَا جَنَّ عَلَيْهَا ٱللَّيْلُ ضَاهَى أَزِيزَ ٱلْمِرْجَلِ وَحَنِينَ ٱلْبَازِلِ مِنَ ٱلإِبِلِ حَنِينُ صُدُورِهِمْ وَأَزِيزُهَا، تُخْضِلُ مِنْدِيلَ ٱلْبُكَاءِ، وَتُعَطِّلُ مَنَادِيلَ ٱلْغَذَاءِ وَٱلْعَشَاءِ اِسْتِهَانَةً لِعَاجِلِ ٱلشِّفَاءِ، وَطَلَباً لِلأَعْلَى فِي دَارِ ٱلْبَقَاءِ، فَيَا لِهَذَا ٱلْفَرِيقِ مَا أَجْدَاهُمْ عَلَى مَنْ وَالاَهُمْ يَوْمَ ٱلشَّرَقِ بِٱلرِّيقِ، وَيَا شُفُوفَ أَنْوَارِ هَذَا ٱلْخَلِيطِ عَلَى نُورِ كُلِّ قِنْدِيلٍ أُمِدَّ بِمُحْكَمِ ٱلْفُتُلِ وَمُهَانِ ٱلسَّلِيطِ[53]، يَا عَجَباً لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ تَنَكَّبُوا فِي أَعْمَالِهِمْ سُبُلَ ٱلتَّحْسِينِ وَاقْتَصَرُوا عَلَى أَنَّ ٱلتَّمْرَ ٱلشَّهْرِيزَ[54] يُقَالُ بِٱلشِّينِ وَبِٱلسِّينِ. دَعْهُ يُقَالُ بِمَا قِيلَ وَانْظُرْ بِمَ تُخَفِّفُ عَنْكَ ٱلْعِبْءَ ٱلثَّقِيلَ، وَإِنْ قَدَّمْتَ ٱلنَّظَرَ لِعَثَرَاتِكَ كَيْفَ تُقَالُ، فَحَسَنٌ أَنْ تَعْلَمَ بَعْدُ كَيْفَ

---

(50) مطموسة في الأصل، الورقة : 115.

(51) البيتان لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يعزي أبا شجاع في موت عمته، مطلعها :

آخِرُ مَا المَلِكُ مُعَزًّى بِهِ   هَذَا ٱلَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ

الديوان، ص 212 بشرح أبي البقاء العكبري. وتعقب ابن بسام في الذخيرة هذه الأبيات فعدها من المعاني التي أخذها أبو الطيب من قول أبي غسان المتطبب. انظر **الذخيرة**، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 481، تحقيق الدكتور إحسان عباس. وانظر الأبيات في كتاب أستاذنا الكبير الدكتور محمد بنشريفة، **أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة**، ص 134.

(52) قول سيدنا عمر بن الخطاب : «اخشوشنوا وتمعددوا». وفي تمعدد قولان : أن تكون بمعنى الغلظ أو بمعنى تشبهوا بعيش معد وهو الأرجح لأنهم كانوا أهل تقشف وغلظ في المعاش.

(53) السليط : الزيت.

(54) تمر شهريز : تمر لونه أحمر وهو اسم فارسي وقد وضع فوق الكلمة لفظ «معا» أي أنها تكتب بالفتح والكسر وكذلك تكتب بالشين والسين وهذا ما وضحه أبو الربيع في الجملة التي تليها.

يُقَالُ، إِنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ نَبِيَّنَا عَرَبِيّاً وَكِتَابَنَا عَرَبِيّاً [وَلِسَانَنَا عَرَبِيّاً][55] فَكَٱلضَّرُورِيِّ بِحَسَبِ هَذَا لِلإِنْسَانِ إِذَا كَانَ مِمَّنْ زَيَّنَهُ ٱللَّهُ بِٱلْعِلْمِ وَشَرَّفَهُ بِٱلإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ مَجَارِي هَذِهِ ٱلأَلْفَاظِ فِي أَصْلِ ٱللِّسَانِ، [فَبِعِلْمِهَا][56] نَرْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْقَضَايَا عَارِضَ ٱلإِرْتِيَابِ وَنَفْهَمُ مُقْتَضَيَاتِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْكِتَابِ وَإِنَّمَا ٱلْجَهْلُ كُلُّ ٱلْجَهْلِ أَنْ يُطْلَبَ عِلْمٌ مِثْلُ هَذَا لِنَفْسِهِ، وَيُتَّخَذَ عِلْماً بِرَأْسِهِ، فَيَفْنَى ٱلزَّمَانُ فِي مُحَاوَلَةِ هَذَيَانِهِ، وَيُضْرَبَ عَنْ أَثَرِ ٱلْحَقِّ وَعِيَانِهِ، وَإِنَّ آكَدَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَوْلَى أَنْ نَعْتَنِيَ جُهْدَنَا بِخِدْمَةِ ٱلْمَوْلَى عَسَاهُ يُولِينَا حَظّاً مِنَ ٱلأُثُرِ[57] ٱلَّتِي فَاوَتَ بِهَا بَيْنَ ٱلسِّرْجِينِ[58] وَٱلْعَنْبَرِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ نَجِساً وَجَعَلَ هَذَا طَيِّباً مُنْفِساً. إِنَّ ٱلسِّكِّيرَ وَٱلْخِمِّيرَ وَٱلشِّرِّيبَ كُلُّهُمْ مُرِيبٌ وَبَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ، وَإِنَّ شَاهِرَ ٱلسِّكِّينِ لَلاَحِقٌ بِهَؤُلاَءِ ٱلْمَسَاكِينِ، فَلاَ تَكُنْ وَاحِداً مِنَ ٱلأَرْبَعَةِ فَتَجْلُوكَ ٱلأَلْسِنَةُ فِي صُورَةٍ مِنَ ٱلذِّكْرِ مُسْتَشْنِعَةٍ، أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ رَكِبْتَ سَنَنَ ٱلإِسْتِقَامَةِ لَتَعُدَّنَّ حَسَنَ ٱلرِّكْبَةِ، وَلَئِنْ تَنَكَّبْتَ سَنَنَ ٱلسَّلاَمَةِ لَيُؤَدِّيَنَّكَ سَيْرُكَ إِلَى ٱلنَّكْبَةِ، كُنْ مِنَ ٱلشَّرِّ جِدَّ مُنْتَبِذٍ، وَإِنْ مَشَيْتَ إِلَى طَمَعٍ فَلَسْتَ حَسَنَ ٱلْمِشْيَةِ يَوْمَئِذٍ فَاخْلَعْ تِلْكَ ٱللِّبْسَةَ عَنْ أَعْطَافِكَ تَأْمَنِ ٱلْعَيْبَ فِي مَطَافِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلْقِعْدَةَ فِي هُوَّةِ ٱلإِقْلاَلِ خَيْرٌ مِنْ حُصُولِكَ عَلَى عُلُوِّ ٱلرُّتْبَةِ بِٱلثَّرْوَةِ مِنْ غَيْرِ ٱلْحَلاَلِ، فَٱلْوَرِعُ ٱلْمُفْلِسُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ ٱلْغَنِيِّ ٱلَّذِي لاَ يُبَالِي مِنْ [أَيْنَ][59] يَجْمَعُ ٱلْحُطَامَ وَيَلْتَمِسُ، وَيَسْتَلِبُ ٱلْحَرَامَ وَيَخْتَلِسُ وَكَانَ نَبِيُّكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَخَشِّعاً فِي جِلْسَتِهِ، فَاعْتَمِدْ تِلْكَ ٱلْجِلْسَةَ حِينَ تَجْلِسُ وَلِلصَّدَقَةِ فِي رِضَى[60] ٱللَّهِ تَأْثِيرٌ وَٱلْقَلِيلُ مِنْهَا عِنْدَ فَضْلِهِ كَثِيرٌ، فَلاَ تَحْتَقِرَنَّ قِطْعَةَ بِطِّيخٍ تُعْطِيهَا مُعْتَفِياً[61] أَوْ عَافِياً[62] وَلاَ حِذَاءَ

(55) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 116.

(56) في الأصل [فبعنمها]، الورقة : 116.

(57) الأثر : جمع أثر مصدر للفعل آثر الحديث إذا ذكره عن غيره وحدث به.

(58) السرجين : روث الدواب.

(59) في الأصل [أن] الورقة : 116.

(60) في الأصل [رضا] نفس الورقة.

(61) معتفيا : طالب معروف.

(62) عافيا : ضيفا.

حَلْفَاءَ تُمْطِيهِ[63] فِي ٱلْحَزْنِ وَقِعاً[64] حَافِياً، فَرَبُّكَ ٱلْكَرِيمُ كَفِيلٌ بِٱلتَّسْبِيخِ[65] عَنِ ٱلْمُتَصَدِّقِ بِحُزَّةِ[66] ٱلطَّبِيخِ وَ«فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[67] وَفِي اعْتِيَادِ أَعْمَالِ ٱلْبِرِّ عَنِ ٱلشَّرِّ زَجْرٌ، وَإِنَّ وَجْهَ ٱلْمَعْرُوفِ لَجَمِيلُ ٱلرُّوَاءِ، وَمَاؤُهُ شَدِيدُ ٱلْجِرْيَةِ نَجِيعُ[68] ٱلإِرْوَاءِ، فَاعْمَلْ أَبَداً أَنْ تَرِدَ تِلْكَ ٱلْمَوَارِدَ، وَاجْهَدْ فِي أَنْ تَتَأَلَّفَ ٱلنَّافِرَ وَتَرُدَّ ٱلشَّارِدَ، وَمِنْ مُحْكَمِ أَحْكَامِ ٱلرَّجَاحَةِ إِيثَارُ ٱلسَّجَاحَةِ، فَٱلطِّبَاعُ فِي ٱلْغَالِبِ لَهَا أَطْوَعُ وَلِمَقَاصِدِهَا أَتْبَعُ، وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ [يُطْغِيهِ ٱلرِّيُّ][69] وَٱلشِّبَعُ وَلاَ يُغْنِي فِيهِ ٱلسَّيْفُ وَٱلنِّطَعُ، وَٱلْمَرْأَةُ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإِنْ ذَهَبْتَ أَنْ تُقِيمَهُ تَصَدَّعَ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ عِلاَجُ هَذِهِ ٱلأَدْوَاءِ وَٱلسَّمَاحَةُ وَلَوْ بِٱلْقِمَعِ تُذْهِبُ وَحَرَ ٱلصُّدُورِ وَتُسَكِّنُ نَازِيَاتِ ٱلأَهْوَاءِ، فَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱلْمُتَخَلِّقِينَ، وَأَحْسَنَ ٱلْخَلَفَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾[70]، وَيُؤْثِرُونَ بَاقِيَةً وَيَرْفُضُونَ فَانِيَةً ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[71].

---

(63) تمطيه : من الفعل مطأ بمعنى وطىء.

(64) وقعا تصحيح من طرة الكتاب الورقة : 116. والوقع : الذي حفي من الحجارة أو الشوك واشتكى لحم قدميه.

(65) التسبيخ : التخفيف.

(66) حزة : قطعة اللحم أو الكبد.

(67) حديث نبوي أصله : «بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب وخرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، فقالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم لاجرا، فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر» الأحاديث الصحيحة : 34/1.

(68) نجيع : ماء نجيع أي ماء نمير.

(69) غير واضحة في الأصل، الورقة : 116.

(70) الآية 275 من سورة البقرة : ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

(71) الآية 38 من سورة سبأ : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾.

15 ـ بَابُ ٱلْمَكْسُورِ أَوَّلُهُ وَٱلْمَفْتُوحِ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَلَ إِحْسَانَهُ ٱلصَّيِّبَ، فَعَمَّ بِهِ ٱلْبِكْرَ وَٱلثَّيِّبَ وَغَمَرَ بِطَيِّبَاتِهِ ٱلْخَبِيثَ وَٱلطَّيِّبَ، اِتِّسَاعاً فِي ٱلرَّحْمَةِ ٱلَّتِي تَأَخَّرَ عَنْهَا ٱلْغَضَبُ وَبَسْطاً لِرِزْقِهِ ٱلَّذِي يَكْفِي مِنْهُ أَهْلَ ٱلْبَسِيطَةِ ٱلْيَسِيرُ ٱلْمُقْتَضَبُ، وَسُبْحَانَ ٱلَّذِي اسْتَأْثَرَ دُونَ خَلْقِهِ بِعِلْمِ ٱلْغُيُوبِ، وَطَوَى لَهُمْ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ٱلْمَحْبُوبَ فِي ٱلْمَكْرُوهِ، وَٱلْمَكْرُوهَ فِي ٱلْمَحْبُوبِ، فَإِذَا وُلِدَ لِلْبِكْرِ بِكْرٌ تَظَاهَرَ لَدَيْهِ حَمْدٌ لِلَّهِ وَشُكْرٌ سُروراً بِٱلْمَزِيدِ فِي عَدَدِهِ، وَرَجَاءً فِي هَذَا ٱلْوَلِيدِ أَنْ تَكُونَ بِهِ حِيلَةُ يَدِهِ وَإِقَامَةُ أَوَدِهِ، وَرُبَّمَا أَعْجَلَتْ مَنِيَّتُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرُ وَجْهِ رَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ هَالِكٌ، وَكَذَلِكَ لِلأُمِّ ٱلْبِكْرِ بِبِكْرِهَا سُرُورٌ، وَٱلدُّنْيَا وَبَنُوهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَغُرُورٌ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا تُرَقِّصُهُ لاَهِيَةً، وَتُنْشِدُهُ مُغَيِّيَةً[1] فِي ٱلأُنْسِ بِهِ مُتَنَاهِيَةً :

يَا بِكْرَ بِكْرَيْنِ وَيَا خِلْبَ ٱلْكَبِدْ   أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَضُدْ[2]

[الرجـــز]

وَٱلْقَدَرُ يَضْحَكُ مِنْ سُرْعَةِ ذَهَابِ ذَلِكَ ٱلْمَتَاعِ، وَوَشِيكِ انْفِصَالِ ٱلْعَضُدِ عَنْ هَذِهِ ٱلذِّرَاعِ، وَإِنَّ البَكْرَ[3] ٱلْمُؤَيَّدَ إِذَا أَمْكَنَتِ ٱلنَّوَائِبُ مِنْهُ ٱلْيَدَ لَرَهِينُ ٱلإِبْدَاعِ[4]، وَلِلْخُطُوبِ سُنَّةٌ لاَ تُبْقِي عَلَيْهَا بَكْرَةٌ وَلاَ مُسِنَّةٌ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ

---

(1) مغيية : اسم فاعل من غيت إذا بلغت الغاية والنهاية.

(2) الرجز للكميت بن زيد الأسدي. [الديوان : 166/1].

(3) البكر : بفتح الباء : الفتي من الابل والشاب من الانس.

(4) الإبداع : من أبدع به إذا كلت راحلته وعطبت وبقي منقطعا به.

ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[5]. إِنَّ ٱلْخَيْطَ ٱلْوَاهِي مِنَ ٱلْكَتَّانِ نَظِيرُ ٱلْمُكْرَبِ ٱلْمُوَثَّقِ مِنَ ٱلأَشْطَانِ[6]، كِلاَهُمَا لاَ يَبْقَى عَلَى ٱلْحَدَثَانِ، وَكَذَلِكَ ٱلْخِيطُ[7] مِنَ ٱلنَّعَامِ مُغْتَالٌ بَيْنَ ٱلشَّهْرِ وَٱلْعَامِ، وَأَرْوَاحُ ٱلأَنَامِ مُخْتَطَفَةٌ بَيْنَ ٱلْيَقَظَةِ وَٱلْمَنَامِ، جَرَى بِذَلِكَ قَلَمٌ لَمْ يَخْضِبْهُ حِبْرٌ، فَسِيَّانِ جُهُولٌ وَحَبْرٌ. إِذَا عَيَّنَتْ لَكَ ٱلأَقْدَارُ قِسْماً فَارْضَ، فَمَا ٱلْقَسْمُ إِلاَّ قَسْمُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ، ثُمَّ لِيَكُنْ عَزْمُكَ صَدْفاً[8] وَقَوْلُكَ صِدْقاً، فَصَلاَبَةُ ٱلرَّأْيِ نَجَاحٌ وَيُمْنٌ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ ٱلْخَوْفِ نَجَاةٌ وَأَمْنٌ، وَأَخْلِقْ بِٱلصَّادِقِ أَنْ يَغْدُوَ وَيَرُوحَ وَهْوَ آمِنٌ فِي سِرْبِهِ[9]، وَخَلٌّ سَرْبَ[10] ٱلْمَائِنِ[11] فَلَشَدَّ مَا ظَلَّ مَائِنٌ فِي سَرْبِهِ. كَمْ حَلَّ بِجِزْعِ[12] ٱلْوَادِي عَاطِشٌ فَعَاقَهُ عَنِ ٱلْوُرُودِ أَجَلٌ بَاطِشٌ، نَزَعَ إِلَى ٱلْمَاءِ فَعَالَجَهُ ٱلنَّزْعُ وَوَاصَلَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ فَتَقَطَّعَ مِنْ أَجْيَادِ فَتَيَاتِهِ ٱلْجَزْعُ[13]، كُشِفَ ٱلشَّفُّ[14] عَنْهُنَّ وَكَانَ لَهُنَّ شِفٌّ[15] عَلَى ٱلنَّظَائِرِ فَهُنَّ، فَلاَ تَحْفِلْ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ بِشُفُوفٍ، وَلاَ تُكَاثِرْ بِٱلدَّعْوَةِ إِلَى نَسَبٍ شَرِيفٍ، فَٱلْمَوْتُ عَلَى كُلِّ هَذَا آتٍ، وَلَنْ تَجِدَ إِلاَّ ٱلَّذِي قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنَاتٍ أَوْ سَيِّئَاتٍ. وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى مُكَاثَرَةِ طَغَامٍ[16] فَاحْتَجِبْ، وَإِنْ دَعَاكَ أَخُوكَ إِلَى مُشَاهَدَةِ طَعَامٍ فَأَجِبْ، فَمُشَارَكَةُ ٱلطَّغَامِ رَذِيلَةٌ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ ٱلدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ. لَعَمْرِي لَحِمْلٌ مِنَ ٱلرَّصَاصِ أَخَفُّ

---

(5) الآية 43 من سورة فاطر.

(6) الأشطان : الحبال.

(7) الخيط : القطعة من النعام.

(8) صدفا : عدلا.

(9) آمن من سِرْبه : آمن في نفسه.

(10) سَرْب : بفتح السين : طريق.

(11) المائن : الكاذب.

(12) جزع الوادي : جانبه وما انثنى منه.

(13) الجزع : حبات الخرز تضعها المرأة قلادة على عنقها.

(14) الشف : الفضل، والدعوة في النسب.

(15) شف : ستر رقيق.

(16) طغام : أرذال الناس وأوغادهم.

عَلَى ٱلظُّهُورِ وَٱلْجُنُوبِ مِنْ [يَسِيرِ][17] ٱلذُّنُوبِ، فَاجْهَدْ أَنْ لاَ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُذْنِبِينَ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَيْكَ إِنْ أَخْلَلْتَ أَوْ ضَلَلْتَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلضَّالِّينَ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ فِي قُدْرَةِ ٱللَّهِ اشْتِرَاكٌ وَلاَ دُونَ إِذْنِهِ لِذَاتِ ٱلْحَمْلِ تَطْرِيقٌ[18]، وَلاَ لِحَمْلِ ٱلنَّخْلَةِ وَٱلشَّجَرَةِ إِدْرَاكٌ هُوَ ٱلَّذِي أَنْعَمَ عَلَى ٱلْجَافِي بِلَطَفِهِ ٱلْخَفِيِّ أَنْ يَهْتَصِرَهُ وَأَطْلَقَ لِسَانَ ٱلْعَرَبِيِّ بِأَنْ يَفْتَحَهُ وَيَكْسِرَهُ، فَلْيَقُدْكَ إِلَى إِكْبَارِ أَمْرِهِ ٱلنُّسْكُ، وَانْفُضْ أَبَداً يَدَيْكَ مِنْ عَمَلٍ يَقُولُ سَامِعُهُ مُشِيراً إِلَيْكَ : «لاَ يَعْجِزُ عَنْ عَرْفِ ٱلسَّوْءِ هَذَا ٱلْمَسْكُ[19]»[20]، وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلأُحْدُوثَةِ يُقَصِّرُ عَنْ طِيبِهَا ٱلْمِسْكُ. كَمْ ظَفِرَ بِقِرْنِهِ[21] فِي ٱلْقِتَالِ شَهْمٌ، ثُمَّ صَرَعَهُ مِنَ ٱلْمَنَايَا سَهْمٌ فَالْتَقَى مَظْفُورٌ بِهِ وَظَافِرٌ، وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى غَايَاتِ ٱلْمَنَايَا مُسَافِرٌ، وَسِيَّانِ شَكْلٌ لَكَ مُلاَئِمٌ وَضِدٌّ مُنَافِرٌ لاَ يُنْجِي ذَاتَ ٱلشِّكْلِ[22] ٱلدَّلُّ[23]، وَلاَ يَبْقَى لَكَ وَلَوْ حَرِصْتَ ٱلْخِلُّ أَيْنَ مَنْ كَانَ عَلَى قَرْنِكَ مِنْ لِدَاتِكَ، وَأَيْنَ مَنْ وَاصَلَكَ مِنْ أُوِدَّائِكَ أَوْ قَاطَعَكَ مِنْ عُدَاتِكَ، أُصْبِحُوا وَمَا بِدِيَارِهِمْ أُرِمٌ[24]، وَلاَ مِنْ آثَارِهِمْ إِرَمٌ[25] ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾[26]، فَٱلْجِدَّ يَا هَذَا ٱلْجِدَّ، فَلَيْسَ ٱلْجَدُّ يُبْقِيكَ وَلاَ مَحِيدَ لَكَ عَنْ مَصْرَعِ جَدِّكَ وَأَبِيكَ، أَجِدَّكَ طَمِعْتَ فِي خِلاَفِ ذَلِكَ، وَجِدِّكَ[27] لَقَدْ تَعَدَّيْتَ ٱلْمَآخِذَ ٱلسَّدِيدَةَ وَٱلْمَسَالِكَ، لَعَلَّ بِكَ وَقْراً[28]

---

(17) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 117.

(18) تطريق : من الفعل طرقت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها وصعب خروجه.

(19) المسك : الجلد.

(20) من أمثال العرب يضرب يضرب للرجل يكتم لؤمه فيظهر عليه انظر مجمع الأمثال للميداني : 231/2. وفيه المثال : «لا يعجز مسك السوء من عرف السوء».

(21) قرنه : مثله.

(22) الشكل : بكسر الشين : الدلال وغنج المرأة.

(23) الدلّ : الدلال. والمقصود بالعبارة «لا ينجي المرأة دلالها».

(24) أرم : أحد.

(25) إرم : علم، وهي حجارة توضع فوق بعضها البعض لتعلم بها الطريق.

(26) الآية 98 من سورة مريم.

(27) وجدك : وحقك.

(28) وَقر : ثقل السمع بفتح الواو.

عَمَّا يُوجِبُهُ نَاصِحٌ، أَوْ هَلْ ذَهَلْتَ أَنَّ وِقْرَ[29] ٱلذُّنُوبِ لِحَامِلِهِ فَادِحٌ، خَفِّفْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ لَحْيَكَ[30] فَيَا سَعَادَةَ ٱلْحِ بِهِ تَخِفُّ، وَاسْتَشْفِ بِمُدَاوَمَتِهِ فَذِكْرُهُ سُبْحَانَهُ يَشْفِي وَيُشِفُّ[31]، وَكَمْ بَيْنَ أَنْ تَخِفَّ بِذَلِكَ ٱللُّحِيُّ أَوْ يُقَاوِلَ ٱللاَّحِيَّ[32] بِالْهُجْرِ ٱلْمَلْحِيِّ. كَلاَّ لاَ سَوَاءَ، وَعَلَى فَضْلِ ٱللَّهِ أَنْ يَقِينَا ٱلأَهْوَاءَ. بَيْنَا شَبِيبَةُ ٱلْمَرْءِ غَضَّةٌ أَصْبَحَتْ لِحْيَتُهُ مُبْيَضَّةً، فَيَا سَوَادَ ذَاكَ ٱلْبَيَاضِ فِي بَاطِنِهِ، وَيَا بَرْحَ إِشْفَاقِهِ مِنْ فِرَاقِ أَخْدَانِهِ وَمُوَاطِنِهِ خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْمُشْفِقُ، فَكُلُّ أَخْدَانِكَ بِكَ لاَحِقٌ، وَبَيَاضُ ٱلشَّيْبِ لِسَوَادِ ٱللُّحَى مَاحِقٌ، وَرُبَّمَا أُعْجِلَتْ عَنْ ذَلِكَ ٱللُّحَى ٱلْمُسْوَدَّةُ، فَاسْتَقَلَّ حَامِلُوهَا وَلَمْ تَطُلْ بِهِمِ ٱلْمُدَّةُ، كُلُّ مُبْقِلَةٍ مِنَ ٱلأَرْضِ سَتُصْبِحُ فِلاَءً[33]، وَلاَبُدَّ لِلْمُظَفَّرِينَ فِي ٱلدُّنْيَا بِأَقْتَالِهِمْ[34] أَنْ يَكُونُوا لِلْمَنَايَا عِنْدَ انْصِرَامِ آجَالِهِمْ فَلاَءً[35]، فَأَعِدَّ مِنْ صَالِحِ ٱلْعَمَلِ مِرْفَقاً[36]، وَلاَ تَعْتَقِدْ غَيْرَ ٱلتَّقْوَى سَاعِداً وَغَيْرَ ٱلْبِرِّ مَرْفِقاً، لاَ تُعَامِلْ مَا لِلَّهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ[37] مُعَامَلَةَ ٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ[38] فَتَبُوءَ بِالْخُسْرَانِ وَتَسْتَوْجِبَ مِنْ وُقُوعِ وَعِيدِهِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ يَدَانِ، ثُمَّ تُغْلَقُ عَنْكَ جَنَّتُهُ[39]، وَكَمْ جُنَّةٍ[40] مُفَتَّحَةٍ لَكَ فِي

---

(29) وِقْر : بكسر الواو : الحمل كان على الظهر أو على غيره.

(30) لحيك : اللحي نظم الفك الذي به الأضراس والأسنان وجمع الثلاثة ألح، وجمعه اللحي.

(31) يشف : ينحل، يهزل.

(32) اللاحي : اسم الفاعل والملحي اسم المفعول من لحا بمعنى شاتم.

(33) فلاء : بفتح الفاء وكسرها مصدر للفعل فلا، يفلو، فلوا، وفلاء، بمعنى عزلا وفصلا. وفلاء هنا بمعنى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها.

(34) أقتالهم : أعداؤهم.

(35) فلاء : منهزمين.

(36) مرفقا : بكسر الميم ما ارتفقت به، وبفتحها مرفق الإنسان : ملتقى العضد والذراع.

(37) النعمة : ما أنعم الله عليك به.

(38) النعمة : التنعم.

(39) جنته : بفتح الجيم : التي وعد بها الله المؤمنين من عباده.

(40) جنة : حديقة.

أُولاَكَ وَتُسْلِمُكَ جُنَّتُهُ(41) فَأَيُّ جُنَّةٍ(42) تَعْصِمُكَ إِذَا أَسْلَمَكَ مَوْلاَكَ هُوَ ٱلْمُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ، وَٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَمْرُ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنَّةُ(43) إِلَيْهِ، فَكَيْفَ إِنْ ضَايَقَكَ تَجِدُ ٱلْمَخْلَصَ أَوْ أَيُّ ظِلٍّ يَكْنُفُكَ إِنْ ظِلُّ رَحْمَتِهِ عَنْكَ قَلَصَ، وَٱللَّهِ لَمُلْقَى عِلاَقَةِ(44) سَوْطِكَ فِي جَنَّتِهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ عَلَى رِضَاهُ أَوْ رَوْحَةٌ أَفْضَلُ مَا تَلْتَقِي عَلَيْهِ [مَقَاصِدُ](45) ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُوَفَّقَةِ وَمَنَاحِيهَا، فَلاَ تُعَلِّقْ بِغَيْرِ ٱللَّهِ عَلاَقَةَ قَلْبِكَ، وَاحْرِصْ أَبَداً عَلَى إِرْضَاءِ رَبِّكَ فَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي إِرْضَائِهِ، وَٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةُ لاَ تُنَالاَنَ إِلاَّ مِنْ تِلْقَائِهِ، وَعَلَيْكَ فِي ٱلسَّعْيِ لِذَلِكَ وَظَائِفُ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ وَاجْتِهَادٍ، وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنْ مُرْشِدٍ إِلَى ذَلِكَ وَلاَ هَادٍ، وَلاَ تُنَالُ ٱلْغَايَاتُ [بِٱلْهُوَيْنَى](46)، وَلاَ يَقَرُّ ٱلْكَسِلُ ٱلنَّوْمَانُ بِآمَالِهِ عَيْناً، مَا خُلِقْتَ لِلتَّقْصِيرِ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ تَأْلَفُهُ مُعْتَمِلاً وَتَتَّخِذُهُ مُعْتَمِداً، وَلاَ حَمَلَ عَاتِقُكَ حِمَالَةَ سَيْفِ ٱلإِيمَانِ لِيَكُونَ مُغْمَداً، بَلِ انْتَضِهِ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يُنْتَضَى. وَإِذَا تَحَمَّلْتَ حَمَالَةً(47) فَاقْضِهَا قَبْلَ أَنْ تُقْتَضَى، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ لِمَ كَسَرُوا حِمَالَةَ ٱلسَّيْفِ وَفَتَحُوا حَمَالَةَ ٱلدِّيَةِ وَهَلْ لِذَلِكَ عِنْدَهُمْ عِلَّةٌ قَاصِرَةٌ أَوْ مُتَعَدِّيَةٌ، أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ وَلَكِنِ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لاَ يُمَارِسُ كَمَالَهُ ٱلنَّوْمُ وَلاَ ٱلسِّنَةُ يُطْلِقُ كَيْفَ شَاءَ ٱلأَلْسِنَةَ. فَطَوْراً بِمُتَّفِقٍ فَيَقَعُ ٱلإِشْتِرَاكُ وَطَوْراً بِمُخْتَلِفٍ فَتَحْصُلُ ٱلتَّفْرِقَةُ ٱلَّتِي يُؤْمَنُ مَعَهَا ٱلإِشْتِبَاهُ وَٱلإِرْتِبَاكُ.

أَيُّهَا ٱلأَمِيرُ مَا أَحْسَنَ حَالَكَ إِنْ حَسُنَ مِنْكَ فِي رَعِيَّتِكَ ٱلضَّمِيرُ، وَمَا أَضْعَفَ مَجَالَكَ إِنْ سَاءَ فِيهَا مُغَيَّبُ نِيَّتِكَ يَوْمَ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ. إِنَّ ٱلإِمَارَةَ(48)

(41) جنته : بضم الجيم : وقايته.

(42) جنة : سلاح.

(43) الجنة : الجن.

(44) علاقة السوط : شراك في مقبضه يتعلق منه.

(45) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 118.

(46) في الأصل الهوينا، الورقة : 118.

(47) حمالة : بفتح الحاء : ما لزم الإنسان من غرم في دية.

(48) إمارة : بكسر الهمزة : الولاية.

شَأْنُهَا شَدِيدٌ وَعَقَبَتُهَا [كَؤُودٌ](49) وَٱلْعَدْلُ فِيهَا أَمَارَةٌ(50) غِبُّهَا مَحْمُودٌ، فَلْيَكُنْ عَلَيْكَ فِي إِمْرَتِكَ(51) لِلْعَدْلِ أَمْرَةٌ(52) مُطَاعَةٌ وَحَذَارِ وَفَّقَكَ ٱللَّهُ حَذَارِ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنْكَ لِبَضَائِعِهِ إِضَاعَةٌ، فَيُوشِكُ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَرَى جُزْءَ ٱلْبَضْعَةِ(53) مِنْ جَسَدِكَ ٱلْبَضِّ ٱلْغَضِّ وَقَدْ عَادَ بِضْعَةَ عَشَرَ أَوْ أَكْثَرَ بِأَلِيمِ ٱلرَّضِّ، فَلاَ تَظُنَّ ٱلأَمْرَ مُهْمَلاً، وَاعْتَبِرْ قَوْلَ ٱلصَّادِقِ ٱلْمَصْدُوقِ: «لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَنَّ نَوَاصِيَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِٱلثُّرَيَّا يَتَجَلْجَلُونَ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ وَإِنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلاً»(54) فَكَيْفَ تَجِدُكَ يَا مَنْ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ عِوَجٌ(55) وَمَنْ ذَا يُنْجِدُكَ وَلِلزَّجْرِ مِنْكَ مَوْقِعُ ٱلنُّصْحِ مِنْ ذِي هَوَجٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْصِ ٱللَّهَ لَمْ يَضُرَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي عَصَاهُ عَوَجٌ(56)، فَفِي كُلِّ عَصاً سَيْرٌ، وَكُلُّ شَرٍّ مَعَ عَدَمِ ٱلْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ خَيْرٌ. عَجِبْتُ لِذِي ٱلْهَرَمِ بَعِيرُ عَمَلِهِ ثَفَالٌ(57)، وَلِمَطَايَا حِرْصِهِ وَأَمَلِهِ كَرٌّ وَإِجْفَالٌ، وَلِلْمَنَايَا رَحًى لاَ تَحْتَاجُ إِلَى ثِفَالٍ(58)، وَلاَ تُغْفِلُ ذَا تَيَقُّظٍ وَلاَ ذَا إِغْفَالٍ يُؤَمِّلُ لَقَاحَ(59) نَاقَتِهِ وَيَسْتَشْرِفُ إِذَا لَقِحَتْ لِاصْطِبَاحَةِ رِسْلِهَا وَاغْتِبَاقَتِهِ. وَرُبَّمَا عَرَضَ مَا يَعُوقُ فَتَعَطَّلَ ٱلصَّبُوحُ وَٱلْغَبُوقُ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ضَرِيبُ ٱللِّقَاحِ، وَلاَ أَجْدَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَمِياً إِلَى ٱلْحَيِّ ٱللَّقَاحِ(60)، وَهَلْ لأَحَدٍ عَنِ ٱللَّهِ مِنْ مُلْتَحِدٍ فَلِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ

---

(49) في الأصل كوْد، الورقة: 118.

(50) أمارة: بفتح الهمزة: علامة.

(51) إمرة: اسم هيئة على وزن فعلة.

(52) أمرة: اسم مرة على وزن فعلة.

(53) البضعة: بفتح الباء: القطعة من اللحم.

(54) حديث نبوي شريف، انظر ابن حنبل: 2/352-530-521-536.

(55) عِوج: بكسر العين: كل ما لا يرى ولا يلمس.

(56) عوج: بفتح العين: كل ما يرى منتصبا كالعصا والحائط والأرض.

(57) ثفال: بفتح الثاء: البعير البطيء.

(58) ثفال: بكسر الثاء: قطعة جلد توضع تحت الرحى حتى يقع عليها الدقيق.

(59) لقاح: بفتح اللام: من لقحت الانق إذا حملت.

(60) الحي اللقاح: إذا لم يدينوا لاحد ولم يصبهم سباء في الجاهلية.

فَامْنَحْ لِقْحَتَكَ[61] تَفُزْ بِسَهْمٍ مِنَ ٱلثَّوَابِ غَيْرِ مَنِيحٍ، وَتُحْرِزْ مَا هُوَ أَجْدَى فِي ٱلْمُنْقَلَبِ عَلَيْكَ مِنْ لَبُونٍ وَلَقُوحٍ. إِنَّ ٱلْخِرْقَ[62] مِنَ ٱلرِّجَالِ إِذَا قَصَدَ بِمَا يَبْذُلُهُ وَجْهَ ذِي ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَلاَلِ، تَكَفَّلَ ٱللَّهُ لَهُ فِي ٱلآجِلَةِ بِٱلإِرْضَاءِ، وَسَرَى ذِكْرُهُ ٱلْجَمِيلُ فِي ٱلْعَاجِلَةِ مَسْرَى ٱلرِّيحِ، فِي ٱلْخَرْقِ[63] ٱلْفَضَاءِ، وَمَا لإِحْسَانِ رَبِّكَ عِدْلٌ[64] وَلاَ عَدْلٌ[65]، وَلَوْ شَاءَ لَسَاءَكَ كُلُّ مَا أَحْسَنْتَ وَذَلِكَ مِنْهُ عَدْلٌ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[66].

---

(61) لقحة ولقوح : هي التي نتجت حديثا.

(62) الخرق : بكسر الخاء الرجل الكريم الذي يتخرق في العطاء أي يتوسع فيه.

(63) الخرق : الصحراء الواسعة المترامية الأطراف.

(64) عدل : بكسر العين : مثل.

(65) عدل : بفتح العين : قيمة.

(66) الآية 49 من سورة فصلت.

16 ـــ بَابُ ٱلْمَضْمُومِ أَوَّلُهُ

لِمَنِ ٱللُّعْبَةُ أَيُّهَا ٱلْمُتَقَاضِي مِنْهُ ٱلْجِدُّ، دَعِ ٱللَّعِبَ فَإِنَّهُ ٱلأَمْرُ ٱلإِدُّ[1]، مَا عُذْرُكَ وَقَدْ مُدَّتْ لَكَ ٱلْمُدَّةُ وَضُوعِفَتْ قَبْلُ مِنْكَ بِٱلشَّبَابِ وَٱلْجِدَةِ ٱلنُّجْدَةُ، أَمْ مَا هَذَا ٱلْجَهْلُ ٱلَّذِي يَأْبَاهُ مَنْ لَمْ تُقْطَعْ مِنْهُ ٱلْقُلْفَةُ[2] وَٱلْجُلْدَةُ، ٱلأَمْرُ ضَيِّقٌ فَاحْذَرْ عَاقِبَةَ ٱلضِّيقِ، وَٱلْمَشْرَبُ رَنْقٌ[3] فَتَوَقَّ مَغَبَّةَ ٱلزِّيقِ[4]، أَخْلِصْ فَمَا يَنْفَعُكَ إِلاَّ ٱلإِخْلاَصُ، وَجِدَّ فَلاَ يَتَأَتَّى لَكَ بِغَيْرِ ٱلْجِدِّ ٱلْخَلاَصُ، ٱللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا هَذِهِ ٱلضُّغْطَةَ[5] ٱلَّتِي هَالَنَا اسْتِقْبَالُهَا، وَعَلِقَتْنَا حِبَالُهَا، وَاجْعَلْ لِي رَبِّي مِنْ تَوْفِيقِكَ كَنَفاً أَغْدُو فِيهِ وَأَرُوحُ وَأَنَا عَلَى طُمَأْنِينَةٍ، وَاحْمِلْنِي مِنْ عِنَايَتِكَ وَوِقَايَتِكَ عَلَى أَعَزِّ مَرْكَبٍ وَفِي آمَنِ سَفِينَةٍ. إِنِّي لأَذْكُرُ أَعْمَالِي فَأَجِدُ قُشَعْرِيرَةً، وَأَعْتَبِرُ مَآلِي فَتَعُودُ لِي ٱلْحَيَاةُ ٱلْحُلْوَةُ مَرِيرَةً، وَإِذَا شِئْتَ رَبِّ أَحْلَيْتَ لِيَ ٱلْمُرَّ، وَأَصْلَحْتَ مِنِّي ٱلْعَلاَنِيَةَ وَالسِّرَّ، وَلَوْلاَ لُطْفُكَ إِلَهِي مَا كَانَتِ ٱلأَمَانِي ٱلنَّوَافِرُ مُدْرَكَاتٍ وَلاَ قَدَرَ ٱلطَّبِيبُ ٱلْمَاهِرُ عَلَى إِبْرَاءِ أَقَلِّ شَكَاةٍ، وَلاَ أَغْنَى عُودُ ٱلأُسْرِ[6] فِي اسْتِدْفَاعِ ٱلأَسْرِ[7]، وَلاَ وَجَدَ طَلِيحُ[8] ٱلْحُصْرِ[9] مَخْلَصاً [سَهْلاً][10] إِلَى ٱلْيُسْرِ، وَلَكِنْ

---

(1) الإد : الفظيع.

(2) القلفة والجلدة : الجليدة التي تغطي رأس الذكر قبل الختانة.

(3) رنق : كدر.

(4) الزيق : ما كف من جانب الجيب، وزيق القميص ما أحاط بالعنق. والمعنى المقصود الخناق.

(5) الضغطة : الشدة.

(6) عود الأسر : بضم الهمزة عود يمسكه المريض على بطنه حتى يدر بوله.

(7) الأسر : بفتح الهمزة : احتباس البول.

(8) طليح : متعب.

(9) الحصر : احتباس البطن.

(10) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 119.

قُدْرَتُكَ هِيَ ٱلَّتِي تُقَرِّبُ ٱلْبَعِيدَ، وَرَحْمَتُكَ هِيَ ٱلَّتِي تُسْعِدُ مَنْ شِئْتَ، وَلَوْلاَهَا لَمْ يَكُنِ ٱلسَّعِيدَ، فَيَا أَيُّهَا ٱلْمَغْمُورُ مِنْ آثَارِهَا بِمَا لاَ يَسْتَقِلُّ لَهُ بِشُكْرٍ، اِجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ[11]، فَرُبَّمَا نَظَمَكَ ٱلذِّكْرُ فِي نِظَامِ ٱلشَّاكِرِينَ، وَمَتَى رَاقَتْكَ [ثِيَابٌ][12] جُدُدٌ فَاذْكُرْ إِنَّ ٱلْجَدِيدَ إِلَى بِلًى، وَإِنَّ لِلْمَنَايَا إِلَى رُوحِكَ سُبُلاً، فَإِذَا أَفَضْتَ إِلَيْكَ ٱلسُّبُلُ وَفَاضَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُ ٱلأَحِبَّةِ كَمَا سِيطَ[13] بِهَا ٱلْفُلْفُلُ، لَمْ تَنْتَفِعْ بِمَالٍ مِنْ مَلْبُوسِكَ وَلاَ جَدِيدٍ، وَلاَ وَجَدْتَ إِلاَّ مَا قَدَّمْتَهُ مِنْ أَثَرِ بِرٍّ وَعَمَلٍ سَدِيدٍ، وَمَا ذَاكَ مِنْكَ يَا طَوِيلَ ٱلْغَفْلَةِ بِبَعِيدٍ، فَكَمْ آيِبٍ أَتَى أَهْلَهُ طَرُوقاً[14]، فَأَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ شُرُوقاً، وَقَادِمٍ عَلَى قَوْمِهِ وَٱلشَّمْسُ صَفْرَاءُ ٱلإِهَابِ أَدْرَكَهُ ٱلْمَوْتُ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى بِٱلْحِجَابِ. فَلِهَذَا فَلْتَخْضَعْ ٱلْعُنُقُ، وَلِمِثْلِهَا فَلْيَطُلِ ٱلشَّفَقُ، وَلِمَا بَعْدَهُ فَلْيَعْمَلِ ٱلسَّعِيدُ ٱلْمُوَفَّقُ، وَهَذَا عُنْوَانُ كِتَابِ ٱلأَقْدَارِ عَنْوَنْتُهُ لَكَ تَطْرِيقاً[15] لِلإِسْتِبْصَارِ ﴿فَاقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[16]، إِذَا طُفْتَ بِٱلْبَيْتِ أَسَابِيعَ[17]، أَوْ أُسْبُوعاً فَلاَ تَنْوِ إِلاَّ خِدْمَةَ مَنْ فَجَّرَ لَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً، وَأَقْطَعَكَ مِنْهَا حَيْثُ تَشَاءُ حِلاَلاً[18] وَرُبُوعاً، وَعَقَدَ لَكَ حَبْلَ إِحْسَانِهِ بِأُنْشُوطَةٍ فَصَيَّرَكَ بِأَيْسَرِ ٱلضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ ذَا حَالٍ مَغْبُوطَةٍ، وَجِدَّةٍ مَبْسُوطَةٍ، قَدَحُكَ نُضَارٌ[19]، وَلَيْلُكَ بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ نَهَارٌ، وَهَلْ بَعْدَ قَدَحِ ٱلنُّضَارِ[20] فِي ٱلتَّرْفِيهِ مَدىً يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ ٱلْمُسْرِفُ أَوْ يَطْمَعُ فِيهِ، سُبْحَانَ[21] مَنْ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ

---

(11) على ذكر : بضم الذال المعجمة : على بال.

(12) تصحيح فوق السطر، الورقة : 119.

(13) سيط : خلط.

(14) طروقا : ليلا.

(15) تطريقا : ابتغاء طريق.

(16) الآية 14 من سورة الأنبياء.

(17) أسابيع : جمع أسبوع، أي سبع مرات.

(18) حِلالا : الحلال جمع بيوت الناس وقيل مائة بيت مفردها حِلَّة.

(19) نضار : بضم النون : ضرب من الشجر تصنع منه الأقداح.

(20) النضار : الذهب.

(21) في الأصل سبحن، الورقة : 120.

وَدَم مَادَّةَ ٱلْجُبْنِ ٱلَّذِي يَلَذُّهُ ٱلآكِلُ، وَغَرَزَ فِي ٱلطِّبَاعِ مِنَ ٱلْجُرْأَةِ وَٱلْجُبْنِ مَا يُحْمَدُ بِهِ ٱلْمُقْدِمُ أَوْ يُذَمُّ لَهُ ٱلنَّاكِلُ. فَيَا لأَثَرِ ٱلْقُدْرَةِ فِي شَأْنِ ٱلإِلْبَانِ مَا أَطْوَلَ وَأَعْرَضَ، فَيَا لِسِرِّ ٱلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ ٱلشُّجَاعِ وَٱلْجَبَانِ مَا أَدَقَّ وَأَغْمَضَ. رُبَّ رُفْقَةٍ عَظِيمَةٍ تَعَرَّضَهَا بُغَاةٌ لِهَضِيمَةٍ[22] فَنَدَرَ مِنْ أَهْلِهَا كَمِيٌّ[23] عَادَ بِهِ سِرْبُهَا وَهُوَ عَنْمِيٌّ[24] ثُمَّ طَرَقَهَا ٱلْهِرْمَاسُ[25] وَقَدْ هَجَعَ ٱلنَّاسُ فَوَفَى ذَلِكَ ٱلذِّمْرُ[26] بِحِمَايَةِ سَرْحِهَا ٱلْبَدَدِ[27] فَمَا اغْتِيلَ مِنْهَا كَبْشٌ عُوسِيٌّ[28] وَلاَ كَلْبٌ أَسْوَدُ، وَرُبَّ وَاحِدٍ يُقَصِّرُ عَنْهُ أَمْثَالُهُ فِي جِنْسِهِ وَإِنْ كَثُرُوا فِي ٱلْعَدَدِ، وَشَهْمٌ مِنَ ٱلنَّاسِ تُؤْمَنُ بِمَكَانِهِ غَائِلَةُ ٱلأَسَدِ، فَأَطْيِبْ بِذَا ثَنَاءً، وَأَكْرِمْ بِهَذَا ٱلشَّخْصِ سَنَاءً فِي ظُلُمَاتِ ٱلْمُلِمَّاتِ وَسَنَاءً ثُمَّ أَكْرِمْ مَعَهُ بِكُلِّ سَمْحِ ٱلْيَدَيْنِ مَتَى اجْتُدِيَ ٱلْمَعْرُوفَ قَالَ نَعَمْ، وَنُعْمَةُ عَيْنٍ وَنُعْمَى[29] عَيْنٍ، لاَ يَقْنَعُ بِجَوَابٍ وَاحِدٍ فِي ٱلإِسْعَافِ وَلاَ يَرْضَى إِلاَّ بِٱلْغَايَةِ مِنْ خُلُقِ ٱلأَشْرَافِ، إِنْ أَلَمَّ بِهِ ضَيْفٌ بَالَغَ فِي قَضَاءِ حَقِّ ٱلإِلْمَامِ، وَإِنِ اسْتَأْجَرَ أَحَداً فِي عَمَلٍ أَعْطَاهُ إِجْرَتَهُ[30] قَبْلَ ٱلإِتْمَامِ، لِكُلِّ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِ حَلاَوَةٌ، وَمِنْ كُلِّ أَثَرٍ جَمِيلٍ عَلَيْهِ طُلاَوَةٌ[31] وَحُجْزَةُ[32] سَرَاوِيلِهِ مِنْ كُلِّ عَابٍ فَالِجُ[33] بْنُ

---

(22) هضيمة : القهر والظلم والغصب.

(23) كمي : الشجاع الذي تكمن في سلاحه أي تستر بالدرع والبيضة.

(24) عنمي : حسن الوجه مشرب بحمرة.

(25) هرماس : من أسماء الأسد.

(26) الذمر : الشجاع.

(27) سرحها البدد : السرح : المال الذي يسام في المرعى من الانعام. البدد : المتفرق.

(28) عوسي : ضخم كبير، وقيل أبيض وملتوي القرنين، والنسبة إلى عوسة قرية بناحية البحرين.

(29) نعم، ونعمة عين، ونعمى عين : بمعنى واحد.

(30) إجرته : بكسر الهمزة : عملته وما يستحق من مال في عمله.

(31) طلاوة : بضم الطاء : البهاء والرونق.

(32) حجزة السراويل : تكتها.

(33) فالج بن خلاوة : يقال : «أنا من هذا الأمر فالج بن خلاوة أي أنا بريء منه». انظر **إصلاح المنطق**، ص 336. وأصل المثل أن فالج بن خلاوة الاشجعي قيل له يوم قتل أنس الايسري : أتنصر أنيسا ؟ فقال : أنا منه بريء فصار مثلا لكل من كان بمعزل عن أمر. انظر **مجمع الأمثال** : 46/1.

خلاَوَةَ، فَلْيُرْسِلْ زَهْواً بِهَذِهِ ٱلْخِلاَلِ خَيْرَ ذُؤَابَةٍ مِنْ [خَيْرِ][34] عِلاَوَةٍ، وَلْيَسْأَلِ ٱللَّهَ بِمَزَايَاهُ ٱلْبَرَّةِ حُسْنَ ٱلإِمْتَاعِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ لُؤْمَ ٱلْخِلاَلِ شَرٌّ مِنْ نُفَايَةِ[35] ٱلْمَتَاعِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي ٱلنُّفَايَةِ بَلاَغٌ وَلَيْسَ لِلْبَذْلِ فِي أَنْحَاءِ مِنْ أَنْحَاءِ ٱلْفَضْلِ مَسَاغٌ، وَخَيْرُ مَا انْتَهَزَ ٱلْعَاقِلُ فُرْصَتَهُ صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ كَمِ ٱلنَّسَأُ وَلاَ يَدْرِي وَقَدْ أَصْبَحَ بِمَاذَا يَؤُولُ ٱلْمَسَاءُ، كَمْ عَمِرَ ٱلْقَوْمُ فِي مَسَرَّةٍ ثُمَّ وَقَعُوا فِي أُفَرَّةٍ[36] فَكَأَنَّ ٱلسُّرُورَ مَا كَانَ وَكَأَنَّ ٱلشَّرَّ لَمْ يَرِمِ ٱلْمَكَانَ، وَشِيَمُ ٱلأَيَّامِ غَيْرُ مُنْكَرٍ مِنْهَا اخْتِلاَفُ حَالِ ٱلأَقْوَامِ، ٱلصَّحِيحُ فِيهَا مُرْتَقِبٌ لِلْعِلَّةِ وَٱلْكَثِيرُ بِصَدَدِ ٱلْقِلَّةِ، وَلاَ قَرَارَ فِيهَا بِحَالٍ إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَقِرُّ بَحْرُ ٱلأُبُلَّةِ[37] دَوَائِرُهَا نَكَالٌ، وَمَآكِلُهَا وَبَالٌ، وَإِقْبَالُهَا إِدْبَارٌ، وَإِدْبَارُهَا إِقْبَالٌ، وَفَوْقَ قَدْرِهَا عِنْدَ ٱللَّبِيبِ شِسْعٌ[38] أَوْ قِبَالٌ[39]، فَمَا أَسْعَدَ مَنْ سَلِمَ فِيهَا مِنَ ٱلتُّخْمَةِ وَلَمْ يَعْدِلْ عِنْدَهُ زُخْرُفُهَا قَدْرَ ٱلنُّخَامَةِ ٱلْمُتَنَخَّمَةِ، فَعَلَيْكَ بِٱلتُّؤَدَةِ فِي شَأْنِهَا وَمَزِيدِ ٱلاِسْتِبْصَارِ فِي هَذَيَانِهَا، وَنِعْمَتِ ٱلتُّكَأَةُ[40] قَنَاعَةٌ تُؤْوِيكَ ظِلاَلُهَا ٱلْمُتَفَيَّأَةُ، فَدَعِ ٱللُّقَطَةَ[41] بِسَبِيلِهَا، وَسَوِّ فِي قِلَّةِ ٱلْمُبَالاَةِ بَيْنَ كَثِيرِهَا وَقَلِيلِهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلاَّ حِفْظُهَا لَكَانَ فِي أَدْنَاهُ مَا يَتَأَكَّدُ بِهِ اِطِّرَاحُهَا وَرَفْضُهَا، فَكَيْفَ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَرِّكَهُ مِنَ ٱلطَّمَعِ وَتَجُرَّهُ مِنَ ٱلطَّبَعِ، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشُّحِّ ٱلْمُطَاعِ وَٱلْهَوَى ٱلْمُتَّبَعِ. إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ لُعَنَةً[42] لِلنَّاسِ فَتَفْقِدَ مِنْهُمْ لَحْظَ ٱلاِسْتِينَاسِ، وَرُبَّمَا لَمْ يُعَامِلُوكَ فِيهَا

(34) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 20.

(35) نفاية المتاع بضم النون : رديئه.

(36) أُفَرَّة : بضم الهمزة وبفتح الفاء وراء مشددة : الاختلاط والشدة.

(37) الأُبُلَّة : بضم الهمزة والباء وفتح اللام المشددة : اسم بلدة تقع في زاوية الخليج عند مدخل البصرة وهي أقدم من البصرة. معجم البلدان : 77/1.

(38) شسع : أحد سيور النعل.

(39) قبال : زمام.

(40) التكأة : العصا التي يتوكأ عليها.

(41) اللقطة : بضم اللام وفتح القاف : المال الضائع الملقوط من الأرض. انظر كتاب اللقطة، صحيح مسلم : 134/5.

(42) اللعنة : بضم اللام وبفتح العين والنون : الرجل الذي يكثر من لعن الناس.

بِٱلدَّيْنِ وَعَاجَلُوكَ بِتَسْكِينِ ٱلْعَيْنِ فَأَصْبَحْتَ لُعْنَةً(43) عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ وَصِرْتَ أُحْدُوثَةً تُصِمُّ أَخْبَارَكَ أُذُنَ ٱلسَّمِيعِ، وَلاَ تَكُنْ ضُحَكَةً فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلضَّحِكِ تُمِيتُ، وَلاَ هُزَأَةً، فَالِاسْتِهْزَاءُ يُغَيِّرُ ٱلصَّفْوَ، وَيَحْجُزُ ٱلْعَفْوَ، وَيَسْتَلِبُ ٱلْحُبَّ، وَيُبْعِدُ ٱلْقُرْبَ، وَمَا أَوْلَى ذَا ٱلرَّأْيِ وَٱلْحُنْكَةِ أَنْ يَبْعَدَ عَنِ ٱلِارْتِسَامِ بِٱلْهُزَأَةِ وَٱلضُّحْكَةِ، هَذَا إِذَا كَانَ لَهُ [فِي ذَلِكَ](44) كَسْبٌ وَاعْتِمَالٌ، وَأَمَّا إِذَا ظُلِمَ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا يَتَّسِعُ لَهُ احْتِمَالٌ، فَثَوَابٌ سَاقَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَرْتَجِيهِ، وَبَابٌ فَتَحَهُ عَلَيْهِ لِيَبْلُوَ مَا يَكُونُ مِنْهُ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ ٱلْمُؤْمِنُ فِي جُحْرِ فَأْرَةٍ [لَقَيَّضَ](45) ٱللَّهُ لَهُ فِيهِ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَهِيَ ٱلأَقْدَارُ لاَ يُنْجِي مِنْهَا ٱلْحَذَرُ وَٱلْفِرَارُ، وَلَوْ أَنْجَى مِنْ دَرَكِ ٱلأَذَى نُفُورٌ لَنَجَا مِنَ ٱلشَّرَكِ عُصْفُورٌ، رُبَّ ذَاتِ مُحَيّاً جَمِيلٍ أُصِيبَتْ فِي صَفْحَتِهِ ٱلْقَمَرِيَّةِ بِثُؤْلُولٍ(46) فَانْصَرَفَتْ عَنْهَا ٱلْعُيُونُ مُهَانَةً وَقَدْ كَانَتْ تُقَيِّدُ ٱلطَّرْفَ وَٱلْقَلْبَ صَبَابَةً وَضَنَانَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مِنْ رَبِّكَ مَقْدُورٍ، فَخَفْ مَنْ بِقُدْرَتِهِ تَتَسَلَّطُ ٱلثَّآلِيلُ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلْبُدُورِ، وَارْجُ مَنْ أَدْنَى مَسْحَةٍ مِنْ صِفَاتِ كَرَمِهِ يُصْبِحُ مَنْ خَلَعَهَا عَلَيْهِ وَهُوَ مَأْمُولٌ وَيَظَلُّ مَنْ تُنْسَبُ إِلَيْهِ وَاسْمُهُ فِي ٱلْسِنَةِ ٱلْحَيِّ ٱلسَّيِّدُ ٱلْبُهْلُولُ(47)، وَدِنْ لِلَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَناً فَلاَ مُتَقَدِّمَ لَهُ وَلاَ مُتَأَخِّرَ عَنْ مِيقَاتِهِ، وَغَايَرَ بَيْنَ ٱلْمَنَاظِرِ وَٱلْمَخَابِرِ فِي [مَا شَاءَ مِنْ](48) مَخْلُوقَاتِهِ، فَانْظُرْ إِلَى ٱلزُّنْبُورِ تَرَهُ وَقَدِ اشْتَمَلَ بُرْدَيْ حَبَرَةٍ(49) ثُمَّ سَلْ مَنْ أَبَرَهُ(50) يُعَرِّفْكَ مُخْتَبَرَهُ، فَلاَ تَثِقْ بِذِي ظَاهِرٍ حَسَنٍ حَتَّى تَخْبُرَهُ وَلاَ يَفْقِدْ قَلْبُكَ عِنْدَ حُلُولِ ٱلنَّوَائِبِ مُصْطَبَرَهُ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدُوَ مَا خَطَّهُ ٱلْقَلَمُ وَسَطَّرَهُ وَلَنْ يُخْلِفَكَ مَا شَاءَ لَكَ خَالِقُكَ وَقَدَّرَهُ،

---

(43) اللعنة : بضم اللام وسكون العين وفتح النون : الذي يلعنه الناس.

(44) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 121.

(45) في الأصل [الفيض] الورقة : 121.

(46) ثؤلول : خراج صلب مستدير يحدث بجسم الإنسان.

(47) البهلول : يقال للمذكر والمؤنث ومعناه الجامع لكل خير.

(48) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 121.

(49) حبرة : ضرب من البرود اليمانية الموشاة.

(50) أبره : من معانيها : أبر بمعنى آذى واغتاب، ولقح وأصلح.

مَقْدُورَاتُهُ إِلَيْكَ وَاصِلَةٌ وَخَيْرَاتُهُ أَوْ مَعَرَّاتُهُ لَدَيْكَ حَاصِلَةٌ، وَسِيَّانِ كُنْتَ فِي جَوْفِ قُرْقُورٍ[51] أَوْ كَهْفٍ مِنْ صُمِّ ٱلصَّفَا مَنْقُورٍ، وَٱلدُّنْيَا أُرْجُوحَةٌ تَلْعَبُ بِبَنِيهَا فَمَنِ اسْتَطَاعَ ٱلتَّثَبُّتَ عَلَى تَدَاعِي مَبَانِيهَا فَهُوَ ٱلْوَقُورَ وَلَنْ يُطِيقَ ٱلْمَرْءُ إِلاَّ مَا طَوَّقَتْهُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ٱلْغَرِيزَةُ، كَمَا لَمْ تُسَاعِدِ ٱلْعَجَّاجَ[52] وَرُؤْبَتَهُ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْقَرِيضِ إِلاَّ ٱلأُرْجُوزَةُ، وَٱللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. يَا ذَا ٱلأُضْحِيَةِ ٱلَّتِي عَنَّتْهُ زَمَناً، حَتَّى رَاقَتْهُ سِمَناً، خَيْرُ ٱلأَضَاحِي مَا عَمَّ ٱلإِحْسَانُ بِفَضْلِهَا فُقَرَاءَ ٱلْحَيِّ، فَلاَ تَكُنْ لَكَ أُمْنِيَّةٌ إِلاَّ فِي ٱلإِحْسَانِ، وَسَائِرُ ٱلأَمَانِي ٱلدُّنْيَوِيَّةِ عَيْنُ ٱلْهَذَيَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلصَّدَقَةَ بِأُوقِيَةِ ٱلذُّرَةِ تَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ أَعْبَاءَ ٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ، فَكَثِّرْ مِنَ ٱلأَوَاقِي ٱلْمُنْفَقَةِ فِي سَبِيلِ ٱلصَّدَقَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾[53].

---

(51) قرقور : السفينة العظيمة، وهو لفظ فارسي معرب، وجمعه قراقير.

(52) العجاج بن رؤبة السعدي من سعد تميم، قيل سمي كذلك لقوله :

حَتَّى يَعِجَّ ثَخْناً مَنْ عَجْعَجَا ... وَيُودِي ٱلْمُودِي وَيَنْجُو مَنْ نَجَا

(53) الآية 88 من سورة يوسف.

17 ـ بَابُ ٱلْمَضْمُومِ أَوَّلُهُ وَٱلْمَفْتُوحِ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

يَا مُطِيلَ ٱلِاشْتِغَالِ بِلَحْمَةِ[1] ٱلثَّوْبِ أَوْلَى بِكَ لَوِ ٱشْتَغَلْتَ بِخِدْمَةِ غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ، فَرَحْمَتُهُ أَجْدَى عَلَيْكَ فِي ٱلْمُنْقَلِبِ مِنْ لُحْمَةِ ٱلنَّسَبِ[2]، فَدَعْ لَحْمَةَ ثَوْبِكَ وَسَدَاهُ، وَسَلْ رَبَّكَ تَوْفِيقَهُ وَهُدَاهُ وَارْفَضِ ٱلِاعْتِدَادَ بِقَوْمِكَ وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[3]. إِنَّمَا أَنْتَ مَعَ ٱلْحَدِيثِ ٱلرَّازِىءِ وَٱلْقَدَرِ ٱلنَّازِىءِ[4] كَلُحْمَةِ[5] ٱلصَّقْرِ أَوِ ٱلْبَازِي إِنْ أَنْشَبَ فِيكَ مَخَالِبَهُ ضَعُفْتَ عَنْ أَنْ تُغَالِبَهُ، فَأَعِدَّ لِلنَّجَاةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْبِضَاعَةِ ٱلْمُزْجَاةِ، إِنَّمَا لَكَ مِنَ ٱلزَّمَانِ أَكْلَةُ ٱلْغَدَاءِ وَٱلْعَشَاءِ، وَأَنْتَ أُكْلَةٌ مِنْ أُكُلِ ٱلْمَنَايَا، وَإِنْ أَرْخَتْ لَكَ فِي ٱلطِّوَلِ[6] وَمَدَّتْ لَكَ فِي ٱلرِّشَاءِ[7]، فَاعْمَلْ لِجَنَّةٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، وَاسْعَ لِغَايَةٍ كَأَنْ قَدْ آنَ مَحِلُّهَا، وَكُنْ مِنَ ٱلنَّاسِ أَبَداً جَانِباً وَلاَ [تَأْلُ][8] أَنْ تَكُونَ لَهُمْ فِي ٱلظَّاهِرِ مُوَاصِلاً وَفِي ٱلْبَاطِنِ مُجَانِباً، فَهُمْ وَٱللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ،

---

(1) لحمة : بفتح اللام : خيوط السدى الأساس التي ينسج عليها الثوب.

(2) لحمة : بضم اللام : قرابة النسب.

(3) الآية 101 من سورة «المؤمنون».

(4) النازىء : من نزأ بمعنى أفسد.

(5) لحمة : بضم اللام أيضا : صيد البازي.

(6) الطِّوَل : الحبل، نثر معنى بيت طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ فِي ٱلْيَدِ

(7) الرشاء : الحبل.

(8) في الأصل [قال]، الورقة : 122.

دَاءٌ مُعْضِلُ ٱلْعِلاَجِ. وَلِشَرِّهِمْ ٱلَّذِي هُوَ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ[9]، بَحْرٌ مُتَلاَطِمُ ٱلأَمْوَاجِ، فَإِذَا عَايَنْتَ لُجَّةَ[10] مَائِهِ فَزُلْ عَنْ طَرِيقِهَا، وَإِذَا سَمِعْتَ لَجَّةَ ٱلنَّاسِ[11] فَحِدْ عَنْ فَرِيقِهَا، وَلاَ تَنْسَ مَا آدَكَ[12] مِنْ خَطِيَّةٍ[13] وَأَنْ لَيْسَ لَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ مِنْ مَطِيَّةٍ، فَاشْفِقْ عَلَى حَمُولَتِكَ مِنْ حُمُولَتِكَ[14]، وَلاَ وَسِيلَةَ إِلَى مَرُومِ ٱلْخَلاَصِ كَعَظِيمِ ٱلإِخْلاَصِ، فَخُذْ فِي إِعْدَادِ وَسِيلَتِكَ، لَيْسَتْ دَارُكَ بِدَارِ مُقَامَةٍ إِنَّمَا إِقَامَتُكَ فِيهَا مَا أَمْهَلَتْكَ ٱلْمَنَايَا مِنَ ٱلتِّهَامَةِ وَٱلتِّقَامَةِ فَاسْتَظْهِرْ لَهَا بِاسْتِقَامَةٍ، وَظَاهِرْ أَبَداً خَيْرَ فِرْقَةٍ وَأَفْضَلَ مَقَامَةٍ، وَلَيْسُوا إِلاَّ ٱلَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِينَهُمْ، وَاتَّخَذُوا خَوْفَ ٱللَّهِ خَدِينَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ ٱلآمِنُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَٱلْمُتَلَقَّوْنَ بِمَا شَاءُوا مِنَ ٱلْحُظْوَةِ وَٱلْكَرَامَةِ، كَمْ مِنْهُمْ مِنْ طَرِيحٍ فِي ٱلسِّكَكِ[15] مَحْنِيِّ ٱلضُّلُوعِ عَلَى مِثْلِ إِخْلاَصِ ٱلْمَلَكِ، مَنْ رَآهُ إِذَا اعْتَبَرَ عِزَّةَ رَبِّهِ وَمَلَكُوتَهُ قَالَ: «أَخَذَتْ فُلاَناً ٱلْمُوتَةُ»[16]، وَإِنَّمَا أَخَذَتْ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلْقَائِلَ فَسَلَبَتْهُ ٱلْبَصِيرَةَ ٱلْمُسْتَنِيرَةَ وَأَقْطَعَتْهُ ٱلرَّأْيَ ٱلْفَائِلَ. إِنَّ ذَا ٱلْجَنَاحَيْنِ[17] دَعَتْهُ إِلَى مُؤْتَةَ[18] دَوَاعِي ٱلْحَيْنِ فَفَازَ بِمَوْتَةٍ

---

(9) من قول جميل بن معمر:

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي ... مِنَ ٱلْحُبِّ قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدُ

(10) لجة الماء: معظمه.

(11) لجة الناس: أصواتهم وجلبتهم.

(12) آدك: أثقلك.

(13) خطية، كذا في الأصل، الورقة: 122، ولعل الصواب خطيئة.

(14) حمولتك: بفتح الحاء: الدابة التي يحمل عليها المتاع وبضم الحاء: مفرد أحمال.

(15) السكك: جمع سكة، وهي الطريق، وأصلها ما يحفر في الأرض بين كل نخلة ونخلة.

(16) الموتة: ضرب من الجنون.

(17) ذو الجناحين هو جعفر بن أبي طالب، وسمي بذلك لأنه أخذ لواء رسول الله ﷺ بيمينه حتى قطعت فأخذه بشماله حتى قطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعنه قال الرسول ﷺ قبل أن يأتيه نعيه: «مر علي جعفر بن أبي طالب في الملائكة يطير كما يطيرون له جناحان». انظر **الاكتفاء**: 281/2.

(18) مؤتة: قرية من قرى البلقاء على حدود الشام وإليها تنسب غزوة مؤتة التي بعث إليها الرسول ﷺ جيشا سنة ثمان للهجرة وجعل زيد بن حارثة أميرا عليها وفيها توفي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة.

انظر **سيرة ابن هشام**: 21/4.

أَفَادَتْهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَأَحْضَرَتْهُ نَفَائِسَ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَمَا هِيَ عَنْ مِثْلِهِ مُتَغَيِّبَةً. فَيَا لِصِدْقِ ٱلْخُلَّةِ[19] بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلرَّسُولِ وَيَا لِعَظِيمِ لَوْعَتِهِ يَوْمَ شَمِّ ٱلصِّبْيَةِ[20] فَأَذِنَتْ عَيْنَاهُ بِٱلْهُمُولِ، وَٱلْبُكَاءُ [نَصْرُ][21] ٱلْخَلِيلِ عِنْدَ فُقْدَانِ ٱلْخَلِيلِ، فَلَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ ٱلْخَلَّةِ[22] تَرْتَعُ فِي ٱلْحِمْضِ وَٱلْخُلَّةِ، نَلْهُو[23] وَنَلْعَبُ وَغِرْبَانُ ٱلْمَنِيَّةِ بِنَا تَنْعَبُ وَنَجِيءُ فِي سُبُلِ ٱلْغِوَايَةِ وَنَذْهَبُ وَأَنْفُسُنَا بَيْنَ ذَلِكَ تُسْتَلَبُ وَتُنْتَهَبُ، فَهَلْ إِلَى خَلَّةٍ[24] مَحْمُودَةٍ سَبِيلٌ أَوْ هَلْ مِنَ ٱلْخَلَّةِ[25] ٱلْفَادِحَةِ لِفُقْدَانِ ٱلْخِلاَلِ ٱلصَّالِحَةِ مُدِيلٌ[26]، ذَاكَ لَوْ كَانَ لأَكْثَبَ[27] الأَمَلَ، وَلَرَجَوْنَا أَنْ يَحْسُنَ ٱلْجَزَاءُ إِذَا حَسُنَ ٱلْعَمَلُ، وَنَحْنُ فِي دَارٍ لَيْسَ لَهَا عَلَى حَالٍ بَقَاءٌ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ إِبْقَاءٌ، وَحَظُّ ٱلْعَامِلِ فِيهَا خَيْبَةٌ وَشَقَاءٌ، دَفُّ[28] سَاكِنِهَا عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ نَابٍ، وَدُفُّ[29] لَهْوِهَا مُؤْدٍ بِٱلْمُسْتَأْنِسِ بِهِ إِلَى ٱكْتِئَابٍ وَتَبَابٍ[30]، وَٱلرَّزَايَا دَاخِلَةٌ عَلَى ٱلْمُغْتَرِّينَ بِهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ فَطُوبَى لِمَنْ قَدَرَهَا قَدْرَهَا، وَرَأَى ٱلسَّعَادَةَ بِعَيْنِ ٱلْيَقِينِ فَٱبْتَدَرَهَا، عَالِماً أَنَّ مَا يُعِينُ بِهِ ٱلْجُمَّةَ[31] ٱلسَّائِلَةَ أَنْفَعُ لَهُ فِي ٱلْمَآلِ مِمَّا يُلِينُ بِهِ

(19) الخلة : بضم الخاء المودة وهي أيضا بمعنى ما كان خلوا من المرعى.

(20) الصبية : هم أبناء جعفر بن أبي طالب.
انظر سيرة ابن هشام : 22/4، والاكتفاء : 282/2.

(21) تصر في الأصل، الورقة : 122.

(22) الخلة : انثى الابل. ابنة المخاض. في الأصل الجلة، الورقة : 122.

(23) في الأصل تلهو وتلعب، الورقة : 122.

(24) الخلة : بفتح الخاء أيضا : الحاجة.

(25) الخلة : بفتح الخاء : الخصلة الحسنة.

(26) مديل : غلبة. من الفعل أديل بمعنى غلب بعد هزيمة.

(27) أكثب : أدنى وقرّب.

(28) الدف : الجنب بفتح الدال.

(29) الدف : آلة الطرب بضم الدال.

(30) تباب : الخسران والهلاك.

(31) الجمة السائلة : بضم الجيم : القوم يسألون الدية.

ٱلْجَمَّةَ[32] ٱلطَّائِلَةَ، وَمُعِدّاً لِلنَّوَائِبِ ٱلَّتِي لاَ طَاقَةَ لأَحَدٍ بِجَمَّتِهَا[33] ٱلسَّائِلَةِ، وَمُعْتَبِراً مِنْهَا بِدَارٍ نَامَتْ عَنْهَا [حِيناً][34] نَوَائِبُ ٱلدَّهْرِ وَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا بِالسُّرُورِ عَقِبُ[35] شَهْرٍ إِلاَّ جَاءَتْ أُضْعَافُهُ فِي عُقْبِ[36] ٱلشَّهْرِ ثُمَّ ٱسْتَيْقَظَ لَهُمُ ٱلزَّمَانُ وَخَذَلَهُمُ ٱلأَمَانُ فَوَقَعَ فِيهِمْ مُوَاتٌ[37] لاَ يُشْبِهُهُ مُوتَانٌ فَأَصْبَحُوا أَحْيَاؤُهُمْ أَمْوَاتٌ وَأَرْضُهُمُ ٱلْغَدَاةَ بَعْدَ حَيَاةِ ٱلْعِمَارَةِ وَٱلْخِصْبِ مَوَاتٌ[38] وَدِيَارُهُمْ مَا بِهَا شَفْرٌ[39] وَلاَ يَطْرِفُ بِفَنَائِهَا مِنْ أَبْنَائِهَا شُفْرٌ، تُنَادِي فِيهَا لِسَانُ ٱلِاعْتِبَارِ بِجَنَبَتَي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَيْنَ سُكَّانُ ٱلدِّيَارِ، أَيْنَ ٱلْجِيرَةُ ٱلَّتِي طَالَ مَا قَرَّتْ عُيُوناً بِحُسْنِ ٱلْجِوَارِ، وَارْتَضَعَتْ أَفَاوِيقَ ٱللَّذَّاتِ وَفْقَ ٱلِاخْتِيَارِ، أَيْنَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْكَاسِفَاتُ أَنْوَارُهَا أَضْوَاءَ ٱلأَقْمَارِ، أَيْنَ ٱلأَيْدِي ٱلْكَاشِفَاتُ أَنْوَاؤُهَا أَزَمَاتِ ٱلْمُلِمَّاتِ ٱلْكِبَارِ، أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ خَضَعَتْ لَهُمْ أَعْنَاقُ ٱلْجَبَابِرَةِ بِعِزِّ ٱلِاجْبَارِ، وَأَوَتْ مِنْهُمُ ٱلآمَالُ إِلَى رُبَى ذَوَاتِ مَعِينٍ وَقَرَارٍ، ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[40].

---

(32) الجمة : بفتح الجيم : الشعر وما اجتمع منه على الرأس.

(33) جمة : بفتح الجيم أيضا : بمعنى ما اجتمع من الماء.

(34) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 122.

(35) عقب : بفتح العين وكسر القاف : ما بقي منه.

(36) عقب : بضم العين وسكون القاف : نهايته.

(37) موات : بضم الميم : الوباء وكثرة الموت وكذلك موتان بضم الميم.

(38) موات : بفتح الميم تقال لكل شيء غير الحيوان.

(39) ما بها شفر : ما بها أحد.

(40) الآية 16 من سورة المؤمنون.

18 ـ بَابُ ٱلْمَكْسُورِ أَوَّلُهُ وَٱلْمَضْمُومِ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

كَمْ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ إِمَّةٍ[1] طَالَتْ بِهَا لِلْقَصِيرِ ٱلأُمَّةُ[2] وَحَسَدَتْهُ عَلَى أَدَانِيهَا ٱلأُمَّةُ[3] وَأَذْهَلَتْهُ أَفَانِينُهَا ٱلْجَمَّةُ، فَمَا اِذَّكَرَ لِشُكْرِهَا إِلاَّ بَعْدَ أُمَّةٍ[4]، أَمَا وَمَوْلاَهَا فَلَوْلاَهَا مَا أُسْعِفَتْ لِخَاطِبِ خِطْبَةٌ[5] وَلاَ اسْتُحْسِنَتْ لِخَطِيبِ نَادٍ ــ وَلَوْ كَانَ قُسَّ إِيَّادٍ ــ خُطْبَةٌ، وَلاَ جَدَّ بِرَاحِلٍ جِدُّ رِحْلَةٍ، فَنَهَضَ بِهَا بَعِيرٌ ذُو رُحْلَةٍ[6] وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِفَضْلِ ٱللَّهِ مُقْتَنَى، وَمِنْ غَرْسِ إِحْسَانِهِ مُجْتَنَى، فَإِنْ أُبْدِعَ بِكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ، وَتَحَمَّلْتَ خَجْلَةً بِتَقْصِيرِكَ مُضْطَرّاً فِي شُكْرِ نِعْمَتِهِ، فَحَمَّلَ ٱللَّهُ يَا هَذَا رُجْلَتَكَ[7]، وَرَفَعَ بِكَرَمِ تَجَاوُزِهِ خَجْلَتَكَ وَجَعَلَكَ مِنَ

---

(1) الأمة : بكسر الهمزة : النعمة. وقد ذكر أبو العباس التدميري في التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 55 ثمانية معان لهذه اللفظة.

(2) الأمة : بضم الهمزة : القامة.

(3) الأمة : بضم الهمزة أيضا بمعنى القرن من الجماعة ومن الناس.

(4) أمة : بضم الهمزة أيضا بمعنى حين ومنها قوله تعالى في الآية 45 من سورة يوسف : ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتاويله فأرسلون﴾. ذكر أبو العباس التدميري في التصريح بشرح غريب الفصيح ثمانية معان لهذه اللفظة وهي : الجماعة / أتباع الأنبياء / الرجل الجامع للخير / الدين والملة / الحين / القامة / الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشركه فيه أحد / الأم.

انظر الورقة : 55. وانظر المثلث لابن السيد البطليوسي 327/1.

(5) خطبة : مصدر للفعل خطبت المرأة.

(6) ذو رحلة : بضم الراء : إذا كان قويا على السفر. والرحلة بكسر الراء : الارتحال، وبضمها : السفر.

(7) حمل الله رجلتك : جملة دعائية للراجل بمعنى أعانك الله على المشي أو رزقك دابة تحملك. =

ٱلْعَامِلِينَ عَلَى أَسْعَدِ ٱلْغَايَاتِ وَٱلْمُعْتَبِرِينَ بِمَا بَثَّ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ ٱلآيَاتِ، تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ مَنْ لَحَظَهَا حَقَّ لَحْظِهَا كَاسَ[8]، وَمَنِ اعْتَبَرَ بِهَا عَرَفَ ٱلدَّهْرَ وَٱلنَّاسَ. أَوَ لَمْ تَرَ إِلَى ٱلرِّجْلَةِ[9] لَمَّا تَخَيَّرَتِ ٱلرِّجْلَةَ[10] لِمَنْبِتِهَا قَدَحَ ٱلْجَاهِلُونَ فِي تَثَبُّتِهَا فَقَالُوا لَهَا ٱلْبَقْلَةُ ٱلْحَمْقَاءُ[11] مَا قَالُوهَا ــ زَعَمُوا ــ إِلاَّ لِنُزُولِهَا مَنْزِلاً يَتَعَذَّرُ فِيهِ ٱلْبَقَاءُ، فَاعْجَبْ لَهُمْ أَلْزَمُوا ٱلْبَقْلَ ٱلْعَقْلَ وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ سَكَنُوا فِي دَارٍ تَيَقَّنُوا ٱلزَّحْزَحَةَ عَنْهَا وَٱلنَّقْلَ، فَكَيْفَ يُفْلِحُ مَنْ عَقَدَ عَلَى هَذَا ٱلرَّأْيِ ٱلْفَائِلِ حِبْوَتَهُ[12]، وَمَنَعَ عَنِ ٱلْمُعِيلِ ٱلْعَائِلِ حُبْوَتَهُ[13]، أَخْلِقْ بِهِ أَنْ تَحُلَّ بَوَائِقُ ٱلرَّزَايَا حِبْيَتَهُ[14]، وَتُعَذِّرَ [طَوَارِقُ][15] ٱلْمَنَايَا بِغْيَتَهُ، فَتُصْبِحُ دَارُهُ مِنْهُ صِفْراً[16]، وَلاَ يُغْنِي عَنْهُ فِي مَرُومِ مَذْهَبِهِ كَثْرَةُ فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ، كَأَنَّمَا جَمَعَ آنُكاً[17] وَصُفْراً[18]، يَوْمَئِذٍ يَجِدُ عُشْرَ ٱلدِّرْهَمِ ٱلَّذِي تَصَدَّقَ بِهِ أَجْدَى عَلَيْهِ مُثَقَّلاً أَوْ مُخَفَّفاً[19] مِنْ قَنَاطِيرِ ٱلْحُطَامِ ٱلَّذِي أَنْفَذَ قُوتَهُ وَوَقْتَهُ فِي جَمْعِهِ مُقَدَّماً

= وقد وردت الكلمة في فصيح ثعلب بتحقيق الدكتور عاطف مدكور بالحاء المهملة وهو تصحيف بين إذ أورد في إحالة الشروح شرح الكلمة ذاكرا أن الرحلة مصدر الراحل. انظر **الفصيح**، ص 302.

(8) كاس : أصبح كيسا أي عاقلا.

(9) الرجلة : بكسر الراء : بقلة، ضرب من الحمض سميت بذلك لأنها تنبت في مجار السيول.

(10) الرجلة أيضا بكسر الراء : المطمئن من الأرض، والطرق التي يسير عليها الناس بأرجلهم.

(11) البقلة الحمقاء : يقال لها كذلك لأنها تنبت في مسالك الطرق فتداس بالأرجل، وعلى مسائل الماء فيقلعها السيل، ويقال في الأمثال «أحمق من رجلة».

(12) حبوته : من الاحتباء وهو أن يشد الرجل ثوبه حول الظهر ويجمعه حول ساقيه وهو جالس على إيالته. وهذه الجلسة خاصة بالعرب.

(13) الحبوة : بضم الحاء : العطية.

(14) تستعمل العرب هذا القول : «فلان لا يحل حبوته وحبيبته» للدلالة على الرجل الحليم الرزين الذي لا طيش ولا خفة له، والعكس بالعكس فلان يحل حبيته إذا كان طائشا.

(15) في الأصل طرارق، الورقة : 123.

(16) صفرا : بكسر الصاد : الذي خلا بيته من كل آنية.

(17) آنكا : الرصاص.

(18) صفرا : بضم الصاد : النحاس.

(19) مثقلا أو مخففا أي عشر : بضم العين وسكون الشين مخفف، وبضم العين والشين مثقل.

ثُمَّ تَرَكَ سُحْتَهُ[20] مُخَلَّفاً، فَيَا بَرْحَ ظَمَائِهِ[21] إِلَى ٱلْعَذْبِ ٱلْبَارِدِ وَيَا لَقَنَاعَتِهِ بِٱلتِّسْعِ وَٱلْعِشْرِ[22]، وَمَنْ لَهُ بِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَوَارِدِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ وَوَعْدَهُ بِٱلرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ كَرِيمٌ، وَلَيْسَ لِوَعْدِهِ سُبْحَانَهُ خُلْفٌ، وَطَالَ مَا دَرَّ بِرَحْمَتِهِ لِلْحُوَارِ مِنْ أُمِّهِ خِلْفٌ[23]، وَتَمَتَّعَ بِحُسْنِ ٱلْجِوَارِ مِنْ إِلْفِهِ إِلْفٌ، وَمَا أَحَدٌ بِإِحْسَانِ ٱللَّهِ حَقِيقاً، وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلُهُ بِهِ يَجِدُ ٱلظَّمْآنُ جِمَامَ[24] ٱلْقَدَحِ مَاءاً وَٱلسَّغْبَانُ[25] جُمَامَ[26] ٱلْمَكُّوكِ دَقِيقاً، فَاقْعُدْ فِي عُلاَوَةِ[27] ٱلرِّيحِ أَوْ سُفَالَتِهَا وَابْعُدْ عَنِ ٱلتَّعْوِيلِ عَلَى كِفَايَةِ هَذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ وَكَفَالَتِهَا فَرَبُّكَ كَافِيكَ، وَرِزْقُكَ حَيْثُ كُنْتَ مُوَافِيكَ، وَعِنْدَكَ بِذَلِكَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ، فَمَازَالَ يُيَسِّرُ لَكَ ٱلْمَآرِبَ وَيُعْذِبُ لَكَ ٱلْمَشْرَبَ وَيَمْنَعُ عِلاَوَتَكَ[28] أَنْ تُضْرَبَ، وَيُنْجِدُ عَلَى حَمْلِ ٱلْعِلاَوَةِ[29] بَعِيرَكَ ٱلأَجْرَبَ، وَلَوْلاَ لُطْفُهُ مَا تَيَسَّرَتْ هَذِهِ ٱلآمَالُ وَلاَ حُمِلَتِ ٱلْعَلاَوَى وَلاَ ٱلأَحْمَالُ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[30].

---

(20) سحته : الحرام الذي لا يحل كسبه.

(21) ظمائه : من الظمى وهو الوقت بين الشربين أي المدة التي تبقى فيها الابل بلا شرب.

(22) من أظمأ الابل، وهي أن ترعى تسعة أيام أو عشرة قبل الورد.

(23) خلف : جمعها أخلاف وهي أطراف الضروع للناقة.

(24) جمام القدح : إذا ملأه إلى حرفه.

(25) السغبان : الجوعان.

(26) جمام المكوك : المكوك، كأس وقدح يشرب به أعلاه ضيق ووسطه واسع ويستعمل في الكيل كالمد.
وجمام المكوك : ملؤه إلى أعاليه.

(27) علاوة الريح : بضم العين أن يكون فوق الصيد، وسفالتها أن يكون تحته لئلا يجد الوحش رائحته.

(28) علاوتك : بكسر العين : رأسك.

(29) العلاوة بكسر العين أيضا : ما علق على البعير بعد حمله، وجمعها علاوى.

(30) الآيتان 64-65 من سورة مريم.

19 ـ بَابُ مَا يُثَقَّلُ وَيُخَفِّفُ[1]

بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

يَا هَذَا اِعْمَلْ عَلَى حَسَبِ مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ ٱلاِسْتِقَامَةِ، وَحَسْبُكَ مَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ دِلاَلَةٍ عَلَى ٱلسَّعَادَةِ وَعَلاَمَةٍ، إِذَا جَلَسْتَ وَسْطَ[2] [ٱلْقَوْمِ][3] فَبِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَأَوْصِهِمْ ، وَإِذَا اقْتَرَبَ إِلَيْكَ ذَوُو ٱلْحَاجَاتِ فَلاَ تُقْصِهِمْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُزَيِّنَ بِالأَمْرَيْنِ عَمَلَكَ فَوَسَطُ دَارِكَ أَحْمَلُ لَكَ، رُبَّ مُلاَقٍ بَرْحاً مِنْ يَأْسِهِ لِعِلْمِهِ بِجِنَايَاتِ نَفْسِهِ، لَمْ يُغْنِ عَنْهُ إِنِ احْتَجَمَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَعِلَّةُ ٱلذُّنُوبِ لاَ تُقَاوِمُهَا حِجَامَةُ مَنِ ٱحْتَجَمَ وَلاَ يُلاَئِمُهَا ٱلاِغْتِذَاءُ بِنَقِيِّ ٱلْحَبِّ ذِي ٱلْعَصْفِ وَمُنَقَّى ٱلزَّبِيبِ ذِي ٱلْعَجَمِ[4]، إِنَّمَا وَجْهُ عِلاَجِهَا ٱلْقَرِيبِ ٱلتَّضَرُّعُ إِلَى ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُجِيبِ وَإِخْلاَصُ ٱللَّجَاءِ إِلَى ٱلْمَوْلَى ٱلْكَفِيلِ بِمُعْضِلِ ٱلأَدْوَاءِ، فَبَادِرْ قَبْلَ عَجْمِ[5] ٱلْعُقُوبَاتِ عُودَكَ وَهَجْمِ مُقَدِّمَاتِهَا مُقْتَحِمَةً عَلَيْكَ وَصِيدَكَ[6]، وَيَوْمُ عَرَفَةَ مَظِنَّةٌ لِلْقَبُولِ، وَمَوْطِنٌ لِلإِسْعَافِ مَنَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَسْؤُولِ، فَمُدَّ إِلَيْهِ فِيهِ يَدَكَ فَطَالَمَا أَخَذَ بِهَا فَأَنْهَضَكَ وَأَيَّدَكَ وَأَحْسَنَ بِهِ ظَنَّكَ فَمَازَالَ يُصَدِّقُهُ عَلَى أَنَّكَ[7] وَأَنَّكَ، كَمْ

---

(1) يثقل بالفتح ويخفف بالسكون.

(2) وسط : بتسكين السين : بينهم.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 123.

(4) العجم : بفتح العين والجيم : حب الزبيب والنوى.

(5) عجم : بفتح العين وسكون الجيم : عضٌ، مصدر للفعل عجم العود إذا عضه ليعرف مدى صلابته.

(6) وصيدك : فناء دارك أو بيتك.

(7) كذا في الأصل مكررة، الورقة : 124.

تَكَفَّفْتَهُ طَالِباً فَأَعْطَاكَ مَا أَغْنَاكَ عَنِ ٱلاِزْدِيَادِ وَاسْتَكْفَيْتَهُ ظَالِماً فَكَفَاكَ كَمَا كَفَى بِٱلْعَرْفَةِ[8] شِمَالَ زِيَادٍ[9]، وَلَوِ اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ لَمَا كَانَ لَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَبسٌ، فَلاَزِلْتَ تَعْصِيهِ مُذْ غُصْنُكَ لَدْنٌ حَتَّى عَادَ وَهُوَ حَطْبٌ يَبْسٌ[10]، وَلَكِنَّهُ عَوَّادٌ عَلَى مَنْ عَادَ، مُسْعِدٌ لِمَنِ ٱلتَمَسَ مِنْ بَابِهِ ٱلإِسْعَادُ، فَلاَ تُنْكِرْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كُنْتَ مُلْتَمِساً أَنْ يُفَجِّرَ لَكَ مِنَ ٱلصَّخْرِ زُلاَلاً غَدِقاً، وَيَضْرِبَ لَكَ فِي ٱلْبَحْرِ طَرِيقاً يَبَساً فَأَلِنْ لِلطَّاعَةِ عِنَان تَأَبِّيكَ، وَكُنْ خَلَفَ[11] صِدْقٍ مِنْ أَبِيكَ، فَخَلْفُ ٱلسَّوْءِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ مَهْجُورٌ، وَبِكُلِّ لِسَانٍ كَزَجْرِ ٱلْكَلْبِ مَزْجُورٌ، وَكَمْ جَاءَ بَعْدَ ٱلْمَاضِي خَلْفٌ اِسْتَقْبَلَ ٱلْخِبْرَةَ مِنْهُ جَافٍ جِلْفٌ، كَلاَمُهُ كَذَلِكَ خَلْفٌ[12] وَوَعْدُهُ خُلْفٌ، إِنْ غَابَ آمَاداً بَعْدَ آمَادٍ لَمْ يَشُقْ إِلْفاً، وَإِنْ حَضَرَ فِي نَادٍ سَكَتَ أَلْفاً وَنَطَقَ خَلْفاً[13] يَقُولُ وَلِيُّهُ وَقَدْ أَعْيَتْهُ قَسَاوَتُهُ أَنْ تَلِينَ وَأَبَتْ عَلَيْهِ غَبَاوَتُهُ أَنْ يَدِينَ ﴿إِنَّكَ لاَ [تَهْدِي][14] مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ][15]﴾[16].

---

(8) العرفة : قرحة.

(9) زياد : لم أهتد إليه.

(10) يبس : بمعنى يابس وكذلك يبس بفتح الباء.

(11) خَلَف صدق من أبيه وخَلْف سوء بفتح اللام وخَلْف بسكون اللام من يأتي بعد.

(12) خلف بسكون اللام أيضا بمعنى الخطأ من الكلام.

(13) من أمثال العرب يقال للرجل يطيل الصمت فإذا نطق تفوه بالزلل والخطأ. **مجمع الأمثال** : 230/1.

(14) في الأصل تهتدي وهو خطأ، الورقة : 124.

(15) كتبت على جانب الهامش أفقيا، الورقة : 124.

(16) الآية 56 من سورة القصص.

20 ـــ بَابُ ٱلْمُشَدَّدُ

فِيكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ زَعَارَّةٌ[1]، وَحَالَةُ ٱلإِفْرَاطِ بِرَاكِبِهَا ضَارَّةٌ وَلِصَاحِبِهَا عَارَّةٌ[2]، وَيَثْقُلُ ٱلْمَرْءُ إِذَا اخْتَدَّتْ [مِنْهُ][3] مُمَارَاةٌ وَمُشَارَّةٌ كَمَا يَثْقُلُ ٱلْقَيْظُ إِذَا اشْتَدَّتْ مِنْهُ حَمَارَّةٌ[4]. لاَ تَكُنْ كَمَنْ تَشَوَّقَ ٱلْقَنْصَ وَمَدَّ حِبَالَةَ ٱلْكَيْدِ لِتَحْصِيلِ ٱلْفَرَاءِ ٱلَّذِي فِي جَوْفِهِ كُلُّ ٱلصَّيْدِ[5]، فَلَمْ يَظْفَرْ إِلاَّ بِسَامٍّ أَبْرَصَ[6] وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِقَدَرِ ٱللَّهِ وَلَكِنْ، أَحْسِنِ ٱلإِخْلاَصَ وَٱلتَّوَكُّلَ ثُمَّ تَعَرَّضْ لِرِزْقِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ. إِنَّ ٱلْمُغْتَابَ بِسُوءِ مَا قَرَضَ وَقَرَصَ[7]، وَٱلْحَاسِدَ ٱلَّذِي عَلَى ذَهَابِ نِعْمَتِكَ حَرِصَ خَيْرٌ مِنْهُمَا سَامّاً أَبْرَصَ، وَشِرَارُ ٱلنَّاسِ أَمْتَنُ مِنْ سَوَامِّ أَبْرَصَ شَرّاً وَأَقْتَلُ غَائِلَةً وَأَكْثَرُ ضَرّاً، ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْحَقِيقَةِ فَخٌّ، وَٱلْمَرْءُ فِيهَا سَكْرَانُ مُلْتَخٌّ[8]، فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَعْلَقَ بِفَخِّهَا، وَأَنْ تَتَلَقَّاهُ سَكْرَانَ مُلَطَّخاً بِزِيْتِهَا وَزَخِّهَا[9]، وَٱلْبَائِسُ فِيهَا مَنْ إِذَا طَالَ عُمُرُهُ إِلْتَخَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَلَمْ يَهْتَدِ سَبِيلاً إِلَى ٱلصَّلاَحِ، وَلاَ أَجْدَى

---

(1) زعارة : شراسة وسوء خلق.

(2) عارة : من العد ومن معانيه الجرب والعيب والاثم.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 124.

(4) حمارة : شدة القيظ أو شدة البرد.

(5) من المثل العربي المعروف : «كل الصيد في جوف الفرإ ويقال أيضا الفراء» ومنه قول الرسول ﷺ لأبي سفيان : «أنت يا أبا سفيان كما قيل : كل الصيد في جوف الفرإ».
انظر اللسان مادة : فرأ.

(6) سام أبرص : الوزغ، وجمعه سوام أبرص.

(7) قرص : قال كلمة مؤذية.

(8) ملتخ وملطخ أي مختلط.

(9) زخها : دفعها.

عَلَيْهِ سِوَى ٱلسُّفَاهِ كَرُّ ٱلْمَسَاءِ وَٱلصَّبَاحِ، قَدْ جَعَلَ دَيْدَنَهُ أَنْ يَشْرَبَ مَشِيّاً[10] مَتَى اشْتَكَى بَدَنَهُ، فَإِذَا كَانَتْ بِدِينِهِ ٱلشَّكَاةُ لَمْ يَسْتَعْمِلْ لَهُ مَشُوّاً وَلَوْ أَنَّهُ ٱلْحَيَاةُ، وَهَذِهِ عَلاَمَاتٌ [رَدِيَّةٌ][11] وَدِلاَلاَتٌ إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُ رَحْمَةُ مَوْلاَهُ عَلَى ٱلشَّقَاوَةِ ٱلأَبَدِيَّةِ، فَمَا أَرَاهُ زَادَتْهُ ٱلسِّنُّ إِلاَّ عَرّاً وَضَيْراً وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لاَ يَزِيدُهُ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً، ٱلْحَسُوُّ[12] نِعْمَ ٱلْغِذَاءُ فَلاَ يُغِبُّكَ ٱلْحَسَاءُ فَتَغْذِيَتُهُ كَافِيَةٌ، وَمَغَبَّتُهُ بُرْءٌ وَعَافِيَةٌ، وَبِيَدِ خَالِقِكَ هُوَ ٱلْمَرَضُ وَٱلشِّفَاءُ، وَنِعْمَتِ ٱلْفَاكِهَةُ ٱلإِجَّاصُ، وَٱلأُتْرُجُّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ ٱلإِسْتِعْمَالُ وَٱلإِخْتِصَاصُ، فَمَنَادِيحُ[13] ٱلإِنْتِفَاعِ بِهِ أَفْسَحُ مَجَالاً، وَعَوَاقِبُ مُرَكَّبَاتِهِ أَصْلَحُ مَآلاً وَأَنْجَحُ اسْتِعْمَالاً. لَوْ جِئْتَ يَا رَبَّ ٱلْمَنْزِلِ بِالضِّحِّ[14] لَمَا كُنْتَ مِنْ هَمِّ إِجَّانَةِ[15] ٱلْعَجِينِ بِٱلْمُسْتَرِيحِ، وَلَوْ قَعَدْتَ طَوَالَ ٱلدَّهْرِ عَلَى فُوَّهَةِ[16] ٱلطَّرِيقِ وَٱلنَّهْرِ لِتَلْقَى لِلدُّنْيَا مُبْغِضاً وَعَنْ شَأْنِهَا مُعْرِضاً وَلِفُضُولِهَا مُخْتَصِراً، وَعَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنْهَا مُنْتَصِراً لأَوْشَكَ أَنْ لاَ تَرَاهُ وَلَوِ اسْتَضَفْتَ إِلَى عُمُرِكَ ٱلطَّوِيلِ عُمُراً.

أَمَا يَسْتَحِي ذُو ٱلْبِطْنَةِ ٱلْعَاوِيَةِ أَنْ يُرَى بَطِيناً وَغُلاَمُهُ ضَاوِي وَجَارِيَتُهُ ضَاوِيَةٌ، أَيْنَ حَظُّ ٱلنَّفْسِ، بَلْ أَيْنَ لَحْظُ ٱلإِيثَارِ ٱلَّذِي هُوَ أَعْلَى وَأَنْفَسُ، وَكَلاَّ لَيْسَ بِٱلإِيثَارِ وَلَكِنْ عَلَيْهِ ٱلْقِيَامُ بِشِبْعِ هَذَيْنِ، فَكَيْفَ يَسْمَحُ لِنَفْسِهِ فِي ٱلإِكْثَارِ فَبُعْداً لِمِثْلِهِ مِنْ سَمِينٍ، فَلَيْسَ وَقَدْ ضَيَّعَ مَنْ يَقُوتُهُ بِمَأْمُونٍ وَلاَ أَمِينٍ، وَقَدْ صَحَّ بِالِاخْتِبَارِ وَٱلْمِحْنَةِ تَنَافِي ٱلْبِطْنَةِ وَٱلْفِطْنَةِ فَأَحْرِ بِهِ إِنْ تَحَمَّلَ عَارِيَةً[17] أَلاَّ يُؤَدِّيَ، وَإِنْ عَرَضَتْ غَايَةٌ

---

(10) مَشِياً : الدواء المسهل وكذلك مَشُوّاً كما سيأتي.

(11) كذا في الأصل، الورقة : 124.

(12) الحسو والحساء بمعنى واحد : كل ما يحتسى.

(13) مناديح جمع مندوحة : سعة.

(14) الضح والريح : تقال لرجل إذا قدم بمال كثير وغنائم. والضح : الشمس وقيل نورها فوق الأرض، والمعنى كل ما سطعت عليه الشمس وهبت عليه الريح.

(15) إجانة : جفنة يعجن فيها العجين وهي أيضا الإناء الذي تغسل فيه الثياب.

(16) فوهة الطريق والنهر : المدخل إليهما.

(17) العارية : ما يستعار من الماعون.

سَدَادٍ لاَ يَهْتَدِي لَهَا وَلاَ يُهْدِي، أَيُّهَا ٱلْقَارِحُ[18] مَا هَذَا ٱلْغُلُوُّ أَتَظُنُّ أَنَّكَ حَتَّى ٱلآنَ فَلُوٌّ[19]، ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ فَأَيْقِظْ نَظَرَكَ يَا نَوْمَانُ، مَا يَنفَعُكَ ٱلْحُوَّارَى[20] وَٱلأُرُزُّ إِذَا خَفَتَ ٱلأَنِينُ وَانْقَطَعَ ٱلرِّزُّ[21]، هَلْ تَجِدُ لَهُمَا حِينَئِذٍ طَعْماً أَوْ هَلْ يُوفِيكَ اِغْتِرَارُكَ عِنْدَ ذَاكَ زَعْماً، هُنَاكَ اسْتَوَى نَقِيُّ ٱلْبُرِّ وَجَشِبُ[22] ٱلْبَاقِلاَ[23]، وَفَازَ بِٱلسَّبْقِ مَنْ كَانَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ مُقِلاًّ، وَلَيْسَ بِنَافِعِكَ وَلاَ ضَائِرِكَ يَوْمَ إِلَى ٱللَّهِ تُرَدُّ أَنْ تَعْلَمَ أَوْ تَجْهَلَ أَنَّ ٱلْبَاقِلاَءَ تُخَفَّفُ لاَمُهَا ٱلْمُشَدَّدَةُ حِينَ تُمَدُّ، فَاقْتَنِ بِٱلطَّاعَةِ عِزّاً، وَلاَ تَحْفَلْ بِٱلسَّرَقِ[24] وَلاَ ٱلْمِرْعِزِّي[25]، فَسَتُعَوَّضُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْمِرْعِزَاءِ وَٱلسَّرَقِ بِٱلسُّنْدُسِ [فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ][26] وَٱلإِسْتَبْرَقِ، وَتَجِدُ ثَوَابَ مَا رَفَضْتَ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ مِنْ أَسْبَابِ ٱلرَّفَاهِيَّةِ مُوَفّى فِي ٱلدَّارِ ٱلْمَحْفُوفَةِ بِكُلِّ مَخْصُوصٍ مِنَ ٱلنُّفُوسِ بِٱلْكَرَاهِيَّةِ. إِنْ عَلِمْتَ جَمَاعَةَ خَيْرٍ فَاشْهَدْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ ضَيْعَةٌ فَتَعَهَّدْهَا، فَإِنَّ ٱلْجَمَاعَةَ بَرَكَةٌ وَلِلَّذِي يَتَعَهَّدُ ضَيْعَتَهُ أَجْرُ مُوجِبَاتِهِ مُشْتَرَكَةٌ، فَعَظَّمَ ٱللَّهُ أَجْرَكَ أَيُّهَا ٱلْمُحْتَسِبُ بِفَعَالِهِ، ٱلْمُنْتَسِبُ إِلَى ٱلْبِرِّ وَٱلصِّلَةِ بِانْتِحَالِهِ، قَدْ وَعَّزْتُ[27] إِلَيْكَ فِي ٱلأَمْرِ ٱلْمُهِمِّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ بِمَا أَوْعَزْتُ مُثَاباً، وَإِلَى أَحْسَنِ مَا دَعَوْتُ إِلَيْهِ مُجَاباً، فَإِنَّ مَنْ أَحْسَنَ بِٱلنُّصْحِ عَوْنَ أَخِيهِ كَانَ ٱللَّهُ مَعَهُ وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، وَٱلَّذِينَ يُهْدُونَ ٱلسَّبِيلَ فَيَنْتَهِجُونَ سَنَنَهُ، وَ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ﴾[28].

---

(18) القارح : الناقة أول ما تحمل.

(19) فلو : بفتح الفاء وضم اللام : مهر.

(20) الحواري : لباب الدقيق الجيد الناصع البياض.

(21) الرز : بكسر الراء : الصوت.

(22) جشب : غليظ خشن.

(23) الباقلا : الفول.

(24) السرق : بفتح السين والراء جمع مفرده سرقة : وهي القطعة من جيد الحرير.

(25) المرعزى : أو المرعزاء : ثياب تنسج من الصوف تكون لينة ناعمة.

(26) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 125.

(27) وعزت : بتشديد العين : بمعنى أوعزت.

(28) الآية 18 من سورة الزمر.

21 ـ بَابُ ٱلْمُخَفَّفُ

إنْ نَقِيتَ يَا هَذَا مِنَ ٱلأَدْنَاسِ، فَأَنْتَ مِنْ عِلْيَةِ ٱلنَّاسِ، إنَّكَ فِي دَارٍ لاَ تَحْتَاجُ فِي ٱلنَّقْلَةِ عَنْهَا إلَى مُكَارٍ[1]، فَإنْ كُنْتَ مُخِفّاً فُزْتَ يَوْمَ يَفْرَحُ ٱلْمُخِفُّونَ، وَإنْ كُنْتَ مُثْقِلاً لَمْ يَسْتَقِلَّ بِإثْقَالِكَ ٱلْمُكَارُونَ، فَاعْمَلْ لِيَوْمٍ إلَيْهِ يَنْتَهِي ٱلْغَادِي وَٱلسَّارِي وَغَايَةٍ تَنْتَظِمُ ٱلْمُكَارَى وَٱلْمُكَارِي.

كَمْ عَمِرَ فِي نَادِيهِ عَامِرٌ أَرْضُهُ نَدِيَّةٌ وَنَفْسُهُ عَلَى سَنَنِ ٱلْهَوَى مُسْتَوِيَةٌ وَمَذْهَبُهُ مُزَاحِيٌّ وَعِنَبُهُ مُلاَحِيٌّ[2]، فَأَرْسَلَ ٱلدَّهْرُ عَلَى صَفْوِهِ بَعْضَ شَآبِيبِهِ، وَرَمَاهُ بِقُلاَعَةٍ[3] مِنْ نَوَائِبِهِ، فَإذَا ٱلأَبُ يَأْبَاهُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ أَبَاهُ، وَإذَا ٱلأَخُ بِإعْرَاضِهِ يَتَوَخَّاهُ وَيَوَدُّ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَخَاهُ، فَلاَ تَغْتَرَّ يَا هَذَا مِنْ عَيْشِكَ بِرَفَاهِيَةٍ، وَلاَ تُخْدَعْ مِنْ زَمَنِكَ بِأَنْ يَكُونَ لَكَ طَلْقَ ٱلْبِشْرِ حَسَنَ ٱلطَّوَاعِيَةِ فَيُوشِكُ أَنْ تَعْرِفَ يَوْماً فِي وَجْهِهِ ٱلْكَرَاهِيَةَ وَيَنْتَهِي بِكَ ٱلْعَيْشُ ٱلرَّفِيعُ وَٱلْمَشْرَبُ ٱلَّذِي يَلَذُّ صَفْوُهُ ٱلْمُسْتَسِيغُ إلَى مَذِيقٍ لاَ مَسَاغَ لَهُ فِي لَهَوَاتِ ٱلْفِئَةِ ٱللاَّهِيَةِ، وَمَضِيقٍ لاَ مَجَالَ فِيهِ لِلطَّاهِي وَلاَ لِلطَّاهِيَةِ، وَلِلأَقْدَارِ حَرْبٌ رُبَاعِيَةٌ[4] بِوُدِّكَ لَوْ تَنْجُو مِنْهَا بِسُقُوطِ ٱلثَّنِيَّةِ وَٱلرُّبَاعِيَةِ فَفَكِّرْ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي يُطَلُّ فِيهِ ٱلدَّمُ وَلاَ يُجْدِي فِيهِ ٱلنَّدَمُ، وَيَخْرَسُ ٱلْفَمُ فَمَا يَجِدُ بِمَا يَتَكَلَّمُ، فَمَا ٱلسُّمَانَاةُ[5] وَقَدْ عَلِقَتْ شَرَكُ مُصَمِّمٍ

---

(1) المكاري : الذي يكري دابته، جمعها مكارون.

(2) ملاحي : نسبة إلى الملحة وهي البياض، ويطلق على ضرب من العنب طويل الحب.

(3) قلاعة : المدرة المقتلعة أو الحجر يقتلع من الأرض ويرمى به والمقصود بالنص رماه الدهر بنائبة من نوائبه.

(4) رباعية : الأصل في معناها السن التي تلي الثنية. ويقال للابل إذا طلعت رباعيتها رباع وللأنثى رباعية بالتخفيف وذلك إذا دخلا في السنة السابعة، وهذا المعنى الأخير الذي هدف إليه أبو الربيع من حرب رباعية أي حرب قد تستمر سبع سنوات.

(5) السماناة : جمع مفرده سماني وهو طائر معروف، وهو السلوى الذي أنزل الله على بني إسرائيل.
التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 61.

فِيهَا عَلَى ٱلذَّبحِ مُرْتَقِبٍ لَهَا بَيْنَ ٱلْمَسَاءِ وَٱلصُّبحِ بِأَسْوَأَ مِنْكَ حَالاً، إِنْ أَسَأْتَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ مِحَالاً[6]، وَوَجَدْتَ دَعَاوِيكَ [فِي ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْمُنْجِيَةِ][7] مُحَالاً[8]، فَإِنَّ صِنْفَ ٱلسُّمَانَاةِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ هَذِهِ ٱلْمُنَاقَشَةِ أَمَاناً، وَأَنْتَ مِنْ نَوْعٍ مَرْضِيَّةٍ أَشْخَاصُهُ مِنْ هَذَا بِكُلِّ رَوْعٍ، وَمَسُوقَةٍ إِلَيْهِ بِكُرْهٍ أَوْ طَوْعٍ، فَهَلْ هَمٌّ أَرْدَى مِنْ هَذَا ٱلْهَمِّ، أَوْ أَيْنَ حُمَةُ[9] ٱلْعَقْرَبِ مِنْ غَائِلَةِ هَذَا ٱلسُّمِّ عَسَى [رَحْمَةُ][10] ٱللَّهِ تَقِينَا، وَلَعَلَّ وِقَايَتَهُ خَيْرٌ مِنْ تَوَقِّينَا، وَيَا ذَا ٱلَّذِي يَشُدُّ بِٱلسِّوَاكِ ٱللِّثَةَ وَيُنَقِّيهَا، هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْصِمُهَا مِنْ عَفَرِ ٱلْقَبْرِ وَتَقِيهَا، هَيْهَاتَ لاَ مَطْمَعَ فِي هَذَا، وَكُلُّ حَيٍّ مِنَ ٱلنَّاسِ مُغِذٌّ[11] إِلَى غَايَةِ ٱلْفَنَاءِ إِغْذَاذاً، فَكُنْ مِنْ هَذَا ٱلنَّبَإِ عَلَى يَقِينٍ، وَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ وَلَيْسَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ بِدُخَانٍ وَلَكِنَّهُ هَوْلٌ تَرَى بِهِ مَا لاَ تَرَى ٱلْعَيْنَانِ وَرُبَّمَا أَرَاهُ ٱللَّهُ بَعْضَ ٱلنَّاسِ حَقِيقَةً كَشَفَ لَهُ بِهَا مِنْ مُغَيَّبِ ٱلأَمْرِ مَا كَشَفَ، فَهُنَالِكَ إِنْ فَاجَأَتِ ٱلْقَارِىءَ أُرْتِجَ[12] عَلَيْهِ فَوَقَفَ، وَإِنْ بَغَتَتِ ٱلرَّضِيعَ ٱلنَّاشِىءَ صَدَّ عَنِ ٱلثَّدْيِ وَصَدَفَ، سَوَاءٌ فِي ٱلتَّأَثُّرِ لِهَوْلِهَا ٱلْهَائِلِ، وَغَوْلِهَا ٱلْغَائِلِ ٱلْهِمُّ[13] ٱلَّذِي قَيَّدَهُ ٱلْهَرَمُ وَاعْتَقَلَ، وَٱلْغُلاَمُ ٱلَّذِي وَجْهُهُ بَقَلَ[14]، وَٱلْوَلِيدُ ٱلَّذِي لَمْ يُفْطَمْ عَنِ ٱلرَّضَاعِ وَلاَ ٱنْتَقَلَ، فَسُبْحَانَ مَنْ كَتَبَ ٱلْفَنَاءَ عَلَى ٱلْجَمِيعِ، وَأَصَمَّ بِدَاعِي ٱلْمَوْتِ كُلَّ سَمِيعٍ ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[15].

---

(6) مِحَالاً : جمع محل : المكان الذي يحل به.

(7) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 125.

(8) مُحَالاً : المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه.

(9) حمة العقرب : سمها.

(10) في الأصل رحمت، الورقة : 126.

(11) مغذ : اسم فاعل من الفعل أغذ السير إذا أسرع فيه، والمصدر إغذاذ.

(12) أرتج : أغلق عليه الكلام مأخوذ من الرتاج وهو غلق الباب.

(13) الهم : بكسر الهاء : الشيخ الكبير.

(14) بقل : من بقلت الأرض إذا أخرجت نبتها، وبقل الغلام إذا بدأ شعر لحيته في الخروج.

(15) الآية 88 من سورة القصص.

22 ـــ بَابُ ٱلْمَهْمُوزِ

إنَّ ٱلشَّرَّ لَمَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ ٱلأَمَاثِلِ ٱلأَفَاضِلِ مِنْ عَالَمِ ٱلإِنْسَانِ، فَاسْتَأْصَلَ ٱللَّهُ شَأْفَةَ[1] كُلِّ ذِي شَرٍّ وَأَسْكَتَ نَأْمَةَ[2] كُلِّ ذِي ضَرٍّ وَعَرٍّ، وَجَعَلَنَا مَتَى أَرْسَلَتِ ٱلنَّوَائِبُ جَيْشاً مِمَّنْ يَرْبِطُ لِذَلِكَ ٱلأَمْرِ جَأْشاً، فَبُنْيَانُ ٱلْجَزَعِ أَبَداً مُتَدَاعٍ وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ إِلَى ٱلظَّفَرِ دَاعٍ، وَتَنَاسُبُ ٱلأَخْلاَقِ وَٱلأَحْوَالِ حِلْيَةُ ٱلْعُقَلاَءِ مِنَ ٱلرِّجَالِ فَاجْعَلْهَا بَأْجاً[3] وَاحِداً إِنِ ٱسْتَطَعْتَ وَأَطِعْ رَبَّكَ فَهُوَ أَوْلَى مَنْ أَطَعْتَ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكَ مِنْ حُطَامٍ رِزْقاً حَسَناً، وَيُخْرِجُ لَكَ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ [لِبَاءً][4] وَلَبَناً وَيُرْقِيكَ وَأَنْتَ ٱلْعَبْدُ قِنّاً[5] بِٱلْعَمَلِ ٱلسَّنِيِّ مَرَاقِيَ ٱلشَّرَفِ ٱلسَّنِيِّ، وَيَقِيكَ عَادِيَةَ ٱللُّبُؤَةِ ٱلْعَظِيمَةِ بِٱلْكَلْبِ ٱلزِّئْنِيِّ[6] وَهُوَ ٱلَّذِي إِذَا شَاءَ قَطَعَ لَكَ مِنْ قَلِيبٍ[7] كُلَّ خَيْرٍ ٱلرِّشَاءَ وَحَيَّرَكَ وَتَدْبِيرُكَ يُصْلِحُ ٱلأَمْصَارَ، وَغَيَّرَكَ وَنُورُكَ يَلْتَمِعُ ٱلأَبْصَارَ، وَشِيمَةُ ٱلأَيَّامِ بِإِذْنِ ٱلْمَلِكِ

---

(1) في الأصل شافة دون همزة، ومعنى شأفة : قُرْحَة أو دمل تخرج في القدح فتقطع أو تكوى فتذهب. واستأصل الله شأفته : جملة دعائية معناها أهلكه الله وقطعه من أصله.

(2) نأمة : الصوت الضعيف وقيل الحركة. والجملة دعئية معناها أماته الله.

(3) بأجا واحدا : شيئا واحدا وهي فارسية معربة قيل أول من استعملها عثمان بن عفان وقيل عمر بن الخطاب عندما عرضت عليه صحاف الأطعمة مختلفة الألوان والمذاق فأمر بها فخلطت في صحفة واحدة وقال : اجعلوها بأجا واحدا. انظر التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري، الورقة : 62.

(4) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 126.
ومعنى اللباء بكسر اللام : أول اللبن في النتاج.

(5) القن بكسر القاف : العبد الذي ملك هو وأبوه، يستعمل للمفرد والمثنى والجمع وللمؤنث والمذكر.

(6) الزئني : الكلب القصير اليدين والرجلين.

(7) قليب : بئر.

ٱلْعَلاَّمِ تَغْيِيرٌ وَإِحَالَةٌ، وَحَالَةٌ تَنْسَخُهَا حَالَةٌ، فَسُبْحَانَ رَبُّكَ رَبُّ ٱلْعِزَّةِ ٱلْمَتِينَةِ ٱلأَسْبَابِ، مَا أَضْعَفَ أَسْبَابَ ٱلشَّبَابِ وَأَقَلَّ أَيَّامَهُ عِنْدَ تَحْقِيقِ ٱلْحِسَابِ، بَيْنَا ٱلْمَرْءُ يَخْطِرُ فِي لَبْسَتِهِ ٱلْفَيْنَانَةِ وَهَيْأَتِهِ ٱلْفَتَّانَةِ كَرَّ عَلَيْهِ ٱلنَّهَارُ وَٱللَّيْلُ وَمَالَتْ عَلَيْهِ ٱلْخُطُوبُ وَمَنْ ذَا يُقِيمُهَا إِذَا كَانَ ٱلْمَيْلُ فَأَصْبَحَ شَعَرُهُ ٱلْحُلْكُوكُ وَكَأَنَّ ٱلْمِلْحَ ٱلذَّرْآنِيَّ[8] عَلَيْهِ مَحْكُوكٌ، فَحَالَ بَعْدَ ٱلْبَهَاءِ رُؤَاوُهُ[9]، وَخَفَّ بِشَبَابِهِ شَبِيبُهُ، هَذَا ٱلْمِلْحُ ٱلَّذِي تُخَفِّفُ وَتُثَقِّلُ رَاؤُهُ[10]، ثُمَّ يَسْتَوْلِي ٱلْفَنَاءُ عَلَى سَاكِنِي ٱلْفِنَاءِ فَيُقْفِرُ ٱلْجَنَابُ، وَيَذْهَبُ ٱلشَّيِّبُ وَٱلشَّبَابُ، فَيُوْدِي ٱلْهَرِمُ بِهَرَمِهِ، وَلاَ يَبْقَى ٱلتَّوْأَمُ عَلَى تَمَكُّنِ شَبَابِهِ وَاشْتِعَالِ ضَرَمِهِ، يَمُوتُ ٱلسَّيِّدُ وَأَمَتُهُ، وَيَفْنَى تَوْأَمُ ٱلْمَرْءِ وَتَوْأَمَتُهُ، وَمَنْ ذَا يَبِيتُ مِنَ ٱلطَّوَارِقِ فِي أَمَانٍ، حَتَّى يَأْمَنَهَا ٱلتَّوْأَمَتَانِ أَوِ ٱلتَّوْأَمَانِ. مَرِيءُ[11] ٱلْجَزُورِ[12] لاَبُدَّ مَفْرِيٌّ[13]، يَتَمَثَّلُ لَكَ مَرْئِيّاً كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ مَرِيٌّ[14].

رُؤْبَةُ[15] بْنُ ٱلْعَجَّاجِ يَخْتَارُ فِي إِسْمِهِ ٱلْهَمْزَ، فَدَعِ امْرَأً وَمَا اخْتَارَ، وَأَبَى ٱلسَّمَوْأَلُ[16] إِلاَّ ٱلْوَفَاءَ عَلَى ٱلثُّكْلِ فَطَابَ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ وَطَارَ. فَازَ بِفَضْلِ ٱلْبِدَارِ

---

(8) الذرآني : الشديد البياض.

(9) رؤاوه : حسن المنظر في البهاء والجمال.

(10) يشير أبو الربيع إلى استعمال اللفظ الدرآني بسكون الراء وفتحها.

(11) مريء : مستساغ.

(12) الجزور : الذبائح.

(13) مفري : مقطوع، من الفعل فرى يفري بمعنى قطع.

(14) مري : ناقة تدر لبنها على من يمسح ضرعها.

(15) رؤبة بن العجاج : رؤبة بن عبد الله بن رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، اشتهر والده العجاج بالرجز وعاشا في الدولة الأموية، لكل منهما ديوان شعر، قام بنشرهما آلورد (برلين 1903) ترجمته في **الشعر والشعراء** : 495/2، **والأغاني** ج 14 ص 98.

(16) السموأل بن عادياء اليهودي ملك تيماء وهي مدينة بين الشام والحجاز، عاش في الجاهلية على عهد امرىء القيس، وأبو الربيع يشير إلى وفائه لامرىء القيس. انظر **القصة في الشعر والشعراء** 60/1 و61. وفي ذلك يقول السموأل :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ ٱلْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

إِلَى ٱلْهِجْرَةِ وَٱلإِيعَابِ[17] بَنُو جَحْشٍ[18] بْنِ رِئَابٍ وَتَبِعَهُمْ آخَرُونَ فَطُوبَى لَهُمْ جَمِيعاً وَحُسْنُ مَآبٍ، فَأُولَئِكَ ٱلسُّعَدَاءُ بِمَا عَقَلُوا، [ٱلْمُهَنَّأُونَ][19] بِمَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لاَ ٱلَّذِي يُسَمَّى مُهَنَّأً إِسْماً لاَ يُنْبِىءُ عَنْ حَقِيقَةِ ٱلاِشْتِقَاقِ، وَلاَ عِنْدَ ٱلْمُسَمَّى بِهِ مِنَ ٱلْهَنَاءِ غَيْرُ ٱلْعَنَاءِ بِٱلنِّزَاعِ إِلَيْهِ وَٱلإِشْتِيَاقِ، رُبَّ أَشْعَثَ ذِي صُؤَابٍ[20] فِي رَأْسِهِ وَصَوَابٍ فِي رَأْيِهِ وَبَأْسِهِ، رُفِعَ ٱللِّوَاءُ فَبَانَتْ رِئَاسَتُهُ، وَكَثُرَ ٱلاِلْتِوَاءُ فَظَهَرَتْ نَفَاسَتُهُ وَحَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ فَلاَ تَحْقِرْ حَامِلَ ٱلصُّؤَابَةِ، فَلَرُبَّمَا كَانَ أَجْدَى عَلَى ٱلْمَجْدِ مِنْ حَامِلِ ٱلذُّؤَابَةِ. يَا كِلاَبَ ٱلْحَوْءَبِ[21] هَلْ أَصْبَحَتِ إِذْ نَبَحْتِ أَمْ غَالَكِ ٱلْحَيْنُ ٱلْمَطْوِيُّ بَيْنَ ٱلْفَوْقِ وَٱلتَّحْتِ لاَبُدَّ لأَثْلَةِ ٱلْعُمْرِ مِنَ ٱلنَّحْتِ فَصَبْراً يَا نَفْسُ عَلَى ٱلْمَوْتِ ٱلْبَحْتِ، سِيَّانِ مَا كَتَمْتِ وَبُحْتِ :

مَا هِيَ إِلاَّ شَرْبَةٌ بِٱلْحَـوْءَبِ[22] فَصَعِّدِي مِنْ بَعْدِهَا أَوْ [صَوِّبِي[23]][24]

[الرجـــز]

---

(17) الإيعاب : إيعاب القوم إذا نفروا جميعا.

(18) بنو جحش بن رئاب هم : عبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأخوه أبو أحمد بن جحش وابنه محمد بن عبد الله بن جحش وأهله : زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وحمنة بنت جحش. وكانوا أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وأغلقت دارهم هجرة فعدا عليها أبو سفيان فباعها. انظر سيرة ابن هشام : 1/114-115، والاكتفاء : 1/432.

(19) في الأصل المهنون، الورقة : 126.

(20) صؤاب : بياض القمل، مفردها : صئبان.

(21) اسم ماء يقع بين البصرة ومكة وسمي باسم امرأة هي الحوءب بنت كلب بن وبرة، وكلاب الحوءب إشارة إلى حديث الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «إذا نبحتك كلاب الحوأب فارجعي». معجم البلدان : 2/314.

(22) بالحاء وكذا في الفصيح، وفي شرح غريب الفصيح للتدميري الجوءب بالجيم.

(23) في الأصل صوب، الورقة : 127.

(24) الرجز لدكين بن سعيد الدارمي (ت 109هـ) عاش بالمدينة وكان منقطعا إلى عمر بن عبد العزيز أيام كان واليا عليها. ترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 2/508 وخلط بينه وبين دكين ابن رجاء من بني فقيم. البيت في الاصلاح : 146، والتصريح، الورقة : 64، معجم البلدان : 2/314، معجم الأدباء : 11/117 واللسان (حأب).

لِلْمَنَايَا [جَيْأَةٌ][25] مُنْكَرَةٌ، وَلِلْمَوْتَى فَيْأَةٌ يَنْبَغِي أَلاَ تَزَالَ مُدَّكَرَةً، مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ ٱلدَّخْلَةِ وَخِبْثَةِ ٱلسَّجِيَّةِ، وَأَنَّى بِأَنْكَأَ نَتْناً مِنْ عَرْفِ ٱلْجِيَّةِ[26]، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ بِهَا نَتْنُ ٱلرَّائِحَةِ مِنْ نَتْنِ مَا صَدَرَ عَنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلْغَادِيَةِ فِي ٱلْغَيِّ ٱلرَّائِحَةِ، أُولَئِكَ سُؤْرُهُمْ[27] [نَجِسٌ][28] وَرَأْيُهُمْ مُرْتَكِسٌ، وَمَدِينَةُ ٱلإِسْلاَمِ أَعْلَى سُوراً وَأَعَزُّ نَصِيراً مِنْ أَنْ يَحْصُلُوا تَحْتَ حَائِطِهَا ٱلْمَنِيعِ، أَوْ يَأْوُوا إِلَى مَرْتَعِهَا ٱلْمَرِيعِ، فَحَذَارِ مِنَ ٱلْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ وَٱلإِشْفَاقِ، وَٱنْظُرْ إِلَيْهِمْ فَسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلنِّفَاقِ، فَمَتَى سَمِعُوا بِمَسَرَّةٍ لأَهْلِ ٱلإِخْلاَصِ وَٱلإِيقَانِ خَرُّوا حَسَداً لِلأَذْقَانِ، وَمَرُّوا كَأَنَّمَا كُسُوا مِسْحَ ٱلأَرْقَانِ[29]، فَلاَ أَغَبَّهُمُ ٱلْيَرَقَانُ ٱنْتِكَاساً وَلاَ عَدِمُوا ٱلأَرَنْدَجَ[30] أَوْ شِبْهَ ٱلْيَرَنْدَجِ لِبَاساً، فَهُوَ أَوْلَى بِهِمْ مِنَ ٱلْحِبَرَاتِ ٱلَّتِي أَلْبَسَهُمْ جَمَالَهَا وَأَجَرَّهُمْ أَذْيَالَهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي بِنِعْمَتِهِ يَكْفُرُونَ وَإِلَى رَحْمَتِهِ يَلْجَأُ ٱلْمُسْتَغْفِرُونَ فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلاَدِ، وَتَخَوُّلُهُمْ نَفَائِسَ ٱلطَّرِيفِ وَٱلتِّلاَدِ، فَعَنْ قَرِيبٍ تَرْفُضُهُمُ ٱلْبِقَاعُ، وَتَلْفِظُهُمُ ٱلأَصْقَاعُ، وَتَقْذِفُهُمُ ٱلْهِضَابُ وَٱلتِّلاَعُ، فَبَشِّرْهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ بِمَا لاَ يُسْتَطَاعُ، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلأَزِفَةِ[31] إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[32].

---

(25) في الأصل جيئة، الورقة : 127، وهو اسم مرة من جاء.

(26) الجية : ماء المستنقع إذا طال تغير لونه وطعمه ورائحته.

(27) السؤر : ما بقي في الإناء من الشراب وغيره.

(28) في الأصل بحس، الورقة : 127.

(29) الأرقان واليرقان : آفة تصيب الزرع فيصفر، وداء يصيب الإنسان في كبده فيصفر بياض عينيه.

(30) الأرندج واليرندج : نوع من الجلود السود تصنع منها الخفاف.

(31) الأزفة : يوم القيامة من أزف الرحيل إذا حان.

(32) الآية 18 من سورة المؤمنون.

23 ــ بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ[1] بِغَيْرِ هَاءٍ

لاَ تَعْجَبَنَّ لِلْحَسْنَاءِ ٱلطَّالِقِ فَكَثِيراً مَا يُقْذَفُ بِٱلْبِرِّ مِنْ حالِقٍ، ٱلدُّنْيَا دَارٌ عَمَّ جَهْلُهَا وَعَدَلَ عَنِ ٱلْعَدْلِ أَهْلُهَا، فَلاَ نُكْرَ أَنْ يُعَاقَبَ فِيهَا ٱلْبَرِيءُ، وَيُسْتَعْمَلَ ٱلْجَبَانُ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ ٱلْجَرِيءُ، وَإِنَّمَا ٱلْعَدْلُ فِي ٱلآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ، فَلاَ يَطُلْ بِكَ أَنْ تَلْتَوِيَ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ وَتَرْتَبِكَ، فَعَنْ قَرِيبٍ تُرْحَلُ عَلَى ٱلأَعْنَاقِ طَاهِراً وَتُخَلِّفُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ حَائِضاً أَوْ طَاهِراً، تَبْكِي مِنْكَ مَنْ لاَ يَرْجِعُ، وَيُذْكِي لَوْعَتَهَا ٱلْخَطْبُ ٱلْمُوجِعُ، فَلِذَلِكَ ٱلْمَصْرَعِ فَلْيَتَفَجَّعِ ٱلْمُتَفَجِّعُ، أَمَا وَٱللَّهِ لَيَذْهَبَنَّ ٱلْبَرُّ وَٱلْحَانِثُ، وَيَهْلِكَنَّ ٱلطَّاهِرُ وَٱلطَّامِثُ، فَكَمْ مِنْ ذِي لِحْيَةٍ دَهِينٍ بِمُعَجَّلِ ٱلْمَوْتِ رَهِينٍ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ ذَاتِ كَفٍّ خَضِيبٍ وَعَيْنٍ كَحِيلٍ، وَلَوْ أَخْطَأَهَا ٱلْقَتْلُ لَمَا أَخْطَأَهَا مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْخَتْلُ[2]، بَلْ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلْحُكْمُ ٱلْبَتْلُ، فَسَلِّمْ لِرَبِّكَ فِي أَقْضِيَتِهِ وَإِنْ أَمَرَّتْ[3]، وَمَيِّزْ أَحْكَامَ ٱلأَيَّامِ فِي ٱلأَنَامِ فَعَلَى هَذَا ٱلنَّحْوِ اسْتَمَرَّتْ، وَإِذَا فَجَعَتْكَ قَتِيلَةُ قَوْمٍ فَاعْلَمْ أَنَّهَا لَمْ تُقَصِّرْ عَنْ مِيقَاتِهَا ٱلْمَعْلُومِ بِمِقْدَارِ لَحْصِهَةٍ فَضْلاً عَنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ، وَإِذَا عَايَنْتَ عَنْزاً رَمِيّاً فَبِقَدَرٍ لَمْ يَكُنْ دَمُهَا لِيُرَى عَنْهُ مَحْمِيّاً، وَٱلدُّنْيَا مَجَالٌ يَهْلِكُ فِيهَا نِسَاءٌ وَرِجَالٌ، [كِلاَ][4] ٱلصِّنْفَيْنِ يَذْهَبُ، وَكِلْتَا ٱلْحَالَتَيْنِ تُنْتَهَبُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ ٱلرَّجُلُ وَتَمَلَّكَ ٱلْمَرْأَةَ ٱلْجَزَعُ لِفَقْدِهِ وَٱلْوَجَلُ، فَخَيْرٌ لَهَا أَنْ تُرَى صَبُوراً إِذَا عَايَنَتْ قَيِّمَهَا مَقْبُوراً، وَأَوْلَى بِهَا أَنْ تَكُونَ شَكُوراً لِكُلِّ مَا جَزَّتْهُ[5] ٱلأَقْدَارُ رَوَاحاً وَبُكُوراً، فَإِنَّ فَقِيدَهَا لاَ يَرْجِعُ أَبَداً، فَلْتَقْتَنِ ثَوَابَ

(1) في الفصيح : «باب ما يقال للأنثى بغير هاء».

(2) الختل : من ختله بمعنى خدعه عن غفلة ــ غدر.

(3) أمرت : جعلتها مرة.

(4) في الأصل كلى، الورقة : 127.

(5) جزته : قطعته.

ٱلصَّبْرِ وَٱلشُّكْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَقْتَنِيَ كَمَداً، وَرُبَّمَا أُنْسِيءَ ٱلرَّجُلُ فَفَقَدَهَا مِذْكَاراً[6] يَضِيقُ عَنْهَا ٱلزَّمَانُ، مِعْطَاراً يَتَضَوَّعُ بِمَشْيِهَا خِلاَلُ أَرَاكَةِ[7] نَعْمَانَ، فَأَتَتْهُ ٱلرَّزِيَّةُ فِيهَا مِنْ فَوْقِهِ وَحُمِّلَ مِنَ ٱلْفَجِيعَةِ بِهَا [مَا لَيْسَ فِي][8] طَوْقِهِ، ثُمَّ أَنْسَاهُ ٱلزَّمَنُ، وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ فَارْعَوَى ٱلْوَسَنُ[9]، فَرَجَعَ فِي ٱلنِّكَاحِ عَلَى بَدْئِهِ عَوْداً، وَاعْتَاضَ مِنْ أُولاَهُ ضِنَاكاً[10] أَوْ خَوْداً[11]، فَبَيْنَا هُوَ لِزِيَادَةِ ٱلنَّسْلِ آمِلٌ إِذَا هِيَ حَامِلٌ، فَأَصْبَحَتْ لِانْقِضَاءِ أَمَدِهَا مُطْفِلاً[12] مُرْضِعاً وَغَدَتْ لِمَزِيدِ ٱلْغِبْطَةِ مِنْهُ مَوْضِعاً يُقِرُّ عَيْنَهُ وَيَسُرُّ خَلَدَهُ، أَنْ يَرَاهَا تَحْمِلُ وَلَدَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ ٱلْقَادِرِ حَائِلٌ وَإِلَى ٱلْفَنَاءِ وَٱلرِّحْلَةِ عَنْ هَذَا ٱلْفِنَاءِ آيِلٌ لاَ تَبْقَى ٱلْمِذْكَارُ وَلاَ ٱلْمِئْنَاثُ وَلاَ ٱلذُّكُورُ وَلاَ ٱلإِنَاثُ وَلاَ ٱلْوَالِدَةُ وَلاَ مَا تَلِدُ، وَلاَ ٱلْوَالِدُ وَلاَ مَا يَطْرِفُهُ أَوْ يُتْلِدُهُ، وَلاَ ٱلْحَسْنَاءُ ٱلشَّابَّةُ وَلاَ ٱلْعَجُوزُ ٱلدَّابَّةُ[13] وَلاَ ٱلْمَرْبُوبُ وَلاَ ٱلرَّابَّةُ، وَلاَ ٱلرِّخْلُ[14] وَإِنْ صَغُرَتْ وَلاَ ٱلأَتَانُ وَإِنِ احْتُقِرَتْ وَلاَ ٱلأُتُنُ وَلَوْ كَثُرَتْ، وَحَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ أَمْتَنُ مِنْ أَنْ تُفْلِتَهُ ٱلأُتُنُ[15]، تِلْكَ غَايَةٌ يَنْتَهِي كُلُّ ذِي رُوحٍ إِلَيْهَا، وَهَذِهِ ٱلدَّارُ يَفْنَى كُلُّ

---

(6) مذكار : صفة للمرأة تلد الذكور، ومئناث للتي تلد الإناث.

(7) أراكة: مفرد أراك وهو شجر معروف يستاك بفروعه. وأراكة نعمان نسبة إلى نعمان وادي عرفة بين مكة والطائف ويقال له نعمان الأكبر تمييزا له على نعمان الغرقد بالمدينة الذي يقال له نعمان الأصغر، واستعمال أبي الربيع للجملة : «يتضوع بمشيها خلال أراكة نعمان». يشير إلى قول الشاعر عبد الله بن نمير الثقفي :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ

اللسان [نعم] والبيت في الاصلاح غير منسوب، ص 258.

(8) تصحيح من هامش الكتاب، الورقة : 128.

(9) الوسن : النعاس، وهو أول النوم.

(10) الضناك : ثقيلة العجيزة ضخمتها.

(11) خود : المرأة الناعمة البدن الحسنة الخلق.

(12) مطفلا : ذات طفل وكذلك مرضع ذات رضيع.

(13) الدابة : التي تسير على هينة.

(14) الرخل : الأنثى من أولاد الضأن.

(15) الأتن : جمع أتان وهي الحمارة.

مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ظَنَنْتَ يَا مُمْتَطِي ٱلنَّاقَةِ ٱلسُّرُحِ[16] أَوْ رَاكِبَ ٱلْفَرَسِ ٱلدُّهْمَاءِ[17] فِي ٱلْقَفْرِ ٱلأَفْيَحِ[18] أَنَّ مُمْتَطَاكَ يُنْجِيكَ، وَمَرْكُوبَكَ إِلَى حَيِّزِ ٱلسَّلاَمَةِ يُؤَدِّيكَ، فَقَدْ ظَنَنْتَ مَا لاَ يُظَنُّ، وَقَدَّرْتَ مَا لاَ يَجُوزُ تَقْدِيرُهُ عَلَى ٱلْمَجْنُونِ حِينَ يُجَنُّ، بَلْ وَٱللَّهِ مُمْتَطَاكَ يَقْصُرُ عَلَى مَصْرَعِ ٱلرَّدَى خُطَاكَ وَتَعُمُّ ٱلْقَاصِمَةُ مَطَاهُ وَمَطَاكَ، وَٱلْمَرْكُوبُ مَعَكَ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ مَنْكُوبٌ، فَأَيْنَ دَمْعُكَ ٱلْمَسْكُوبُ، كُلُّ مِلْحَفَةِ جَدِيدٍ خَلَقٌ، وَلِكُلٍّ فِي مَيْدَانِ ٱلْمَنَايَا مُسْتَبَقٌ وَٱلْجَزَاءُ لِلأَعْمَالِ طَبَقٌ[19]، وَإِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ ٱلْمَرْجِعُ وَٱلْمُنْطَلَقُ، وَقَدْ سَبَقَ قَضَاؤُهُ فِي ٱلْجَمِيعِ بِمَا سَبَقَ، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[20].

---

(16) السرح : بضم السين والراء : السريعة في مشيها.

(17) الدهماء : من الدهمة أي السواد.

(18) الأفيح : الواسع.

(19) طبق : طبق الشيء كل ما ساواه، والمقصود هنا أن الجزاء يكون مساويا ومطابقا للأعمال.

(20) الآية 20 من سورة العنكبوت.

24 ـــ بَابُ مَا أُدْخِلَتْ فِيهِ ٱلْهَاءُ مِنْ وَصْفِ المُذَكَّرِ

ٱلرَّاوِيَةُ أَحَدُ ٱلشَّاتِمَيْنِ، فَتَوَخَّ رِوَايَةَ ٱلْخَيْرِ تَفُزْ بِخَيْرِ ٱلصَّفْقَتَيْنِ، وَٱلسَّلاَمَةُ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَهُ ٱلْعَلاَّمَةُ، فَإِنَّ زَلَّةَ ٱلْجَاهِلِ خَفِيفَةٌ، وَمَعْذِرَةَ ٱلْعَالِمِ ضَعِيفَةٌ، بَلْ لاَ مَعْذِرَةَ لِذِي ٱلْعِلْمِ وَلاَ مَطْمَعَ لَهُ فِي ٱلْعَذْلِ، وَإِنَّمَا طَمَعُهُ فِي ٱلْحِلْمِ، فَحَذَارِ يَا مَنْ يَرَى ذَلِكَ مِنَ ٱلإِشْتِبَاهِ وَإِيَّاكَ وَٱلْعِزَّةَ بِحِلْمِ ٱللَّهِ، بَلِ اعْمَلْ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلْخَلاَصِ، وَحَلِّ نَفِيسَ ٱلْعِلْمِ بِنَفَائِسِ ٱلإِخْلاَصِ. إِنَّ ٱلنَّسَّابَةَ لَخَلِيقٌ أَنْ يَزِلَّ بِمَا يَتَقَلَّدُهُ مِنْ نِسْبَةِ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ لَعَلَّهُمْ لاَ نَسَبَ بَيْنَهُمْ وَلاَ إِلَّ[1]، وَمَنْ لَهُ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلتَّبِعَةِ تَقَيُّدُهُ بِٱلْمَشْهُورِ وَتَقَلُّدُهُ مِنْهُ بِمَا يَتَقَلَّدُهُ رَأْيُ ٱلْجُمْهُورِ، وَلَعَلَّهُمْ فِي ذَلِكَ يَظْلِمُونَ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ [مَا لاَ][2] يَعْلَمُونَ، كُنْ مِخْذَامَةً[3] إِذَا اشْتَبَهَ ٱلأَمْرُ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْمِطْرَابَةُ كَأَنْ قَدْ [نَفِذَ][4] ٱلْعُمُرُ، فَدَعِ ٱلْمِعْزَابَةَ[5] لِمَا شَاءَ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ قَوَاصِيَكَ وَلاَ تُبَالِ ٱلإِبِلَ وَٱلشَّاءَ، وَإِذَا أَقَمْتَ إِعْرَابَ أَعْمَالِكَ فَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ لَحَّانَةً فِي مَقَالِكَ، فَلأَنْ تَلْحَنَ فِي ٱلْفَاظٍ تُحَرِّفُهَا نُطْقاً، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْحَنَ فِي

---

(1) الإلّ : الحلف والعهد.

(2) ممحو في الأصل، الورقة : 128.

(3) مخذامة : كذا بالأصل، الورقة : 128، بينما وردت في الفصيح ص 308 مجذامة، بحرف الجيم، وكذا في التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 67. ومعناها من الجذم بمعنى القطع. وكذلك الخذم بمعنى القطع. وفي شرح ابن هشام مجذامة من الجذم.

(4) في الأصل نفد بدون تنقيط، الورقة : 128.

(5) المعزابة : الرجل يبتعد بإبله في الرعي، وصفة أيضا للعازب غير المتزوج.

أَعْمَالٍ تَسْلُبُهَا جِدّاً وَصِدْقاً. وَلاَ يُؤْثِرُ إِقَامَةَ ٱلْقَوْلِ دُونَ ٱلْعَمَلِ غَيْرُ ٱلْهِلْبَاجَةِ(6) ٱلْمُخْتَبِلِ أَوِ ٱلْفَقَاقَةِ(7) ٱلَّذِي لاَ يَفْقَهُ ٱلْمَاضِيَ مِنَ ٱلْمُسْتَقْبَلِ. وَإِنَّ مَنْ أَتَاهُ ٱللَّهُ نَجَابَةً لَيَسْرِعُ إِلَى ٱلْجَمِيلِ إِنَابَةً وَإِجَابَةً، وَيَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ فَقَاقَةً أَوْ خَجَابَةً(8)، وَكَمْ فِي ٱلنَّاسِ مِنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلَّتِي لاَ تَعْلَمُ شَيْئاً وَلاَ تَفْهَمُ قِيلاً أُولَئِكَ ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾(9).

---

(6) الهلباجة : الرجل الذي جمع شر الصفات كالحمق والعجز والكسل وغيرها.

(7) الفقاقة : الأحمق المذرة.

(8) خجابة : أحمق، وردت الكلمة في الفصيح، ص 309 تحقيق عاطف مدكور جخابة بالجيم قبل الخاء. وهي عند أبي الربيع بالخاء قبل الجيم وكذا وردت في شرح غريب الفصيح للتدميري بخاء قبل الجيم، الورقة : 67. بينما وردت في **شرح الفصيح** لابن هشام اللخمي، ص 78 : خجابة بالجيم قبل الخاء.

(9) الآية 44 من سورة الفرقان.

25 ــ بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمُذَكَّرِ وَٱلْمُؤَنَّثِ بِٱلْهَاءِ

رُبَّ رَبْعَةٍ[1] مِنَ ٱلرِّجَالِ يُقصِّرُ عَنْهُ ٱلطُّوَالُ عِنْدَ ٱلسِّجَالِ، فَلاَ تَزْدَرِ ٱلْمَرْءَ لِقِصَرِهِ فَإِنَّمَا ٱلشَّأْنُ فِي أَثَرِهِ وَٱلاِعْتِبَارُ بِمُخْتَبَرِهِ، وَرُبَّ بَالِغٍ بِإِبَرِهِ[2] مَا لَمْ يَبْلُغْهُ بِبِيضِهِ وَسُمُرِهِ. وَكَمْ رَبْعَةٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ تَحْظَى عِنْدَ ٱلرُّؤَسَاءِ وَطَوِيلَةٍ صُحْبَتُهَا وَإِنْ قَصُرَتْ جِدُّ مَمْلُولَةٍ، إِنَّمَا هَذِهِ ٱلْقُلُوبُ بِيَدِ ٱللَّهِ وَٱلأَرْوَاحُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ ٱللَّهِ تَنَاكَرُ بِإِذْنِهِ وَتَعَارَفُ، وَتَنَافَرُ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَتَآلَفُ[3]، وَرَبُّكَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. وَرُبَّ مَلُولَةٍ[4] تَزَوَّجَ مَلُولَةً فَأَصْبَحَتِ ٱلْعُقْدَةُ بَيْنَهُمَا مَحْلُولَةً. لاَ تَدُومُ صُحْبَةُ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِوَاسِطَةِ حُسْنِ ٱلاِحْتِمَالِ، وَلاَ يَطَّرِدُ هَذَا مَعَ ٱلْمَلاَلِ، عَيْبٌ بِٱلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فُرُوقَةً[5] وَطُرَقَةً لأَنْ تَكُونَ سَاحَتُهُ مَطْرُوقَةً، وَأَمَّا ٱلْمَرْأَةُ ٱلْفَرُوقَةُ فَمَحْمُودٌ

---

(1) ربعة : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير.

(2) الإبر : النمائم جمع نميمة.

(3) إشارة إلى حديث الرسول ﷺ : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».
وعلى هذا المعنى أيضا يدل بيت طرفة :
تَعَارَفُ أَرْوَاحُ ٱلرِّجَالِ إِذَا ٱلْتَقَوْا   فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلُ
ديوانه : 121. انظر الحديث في فصل المقال، ص 261 وفي صحيح مسلم : 4/8.

(4) ملولة : تقال للمذكر والمؤنث وهي بمعنى السريع الملل ومنه المثل : «أليس الملول صديق» **مجمع الأمثال** : 195/2.

(5) فروقة : صفة للرجل الشديد الفرق ــ بفتح الفاء والراء ــ أي شديد الفزع والخوف، ومن أمثال العرب : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا وَرُبَّ فَرُوقَةٍ يُدْعَى لَيْثًا وَرُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثًا». مجمع الأمثال : 294/1، **فصل المقال**، ص 336.

فَرْقُهَا وَمَكْرُوهٌ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ اِجْتِرَاؤُهَا وَتَحَذْلُقُهَا، إِنَّمَا هُنَّ رَبَّاتُ ٱلْبُيُوتِ وَٱلْخَفِرَاتُ ٱلْحَقَائِقُ بِجَمِيلِ ٱلاِنْقِبَاضِ وَطَوِيلِ ٱلسُّكُوتِ، حَسْبُهُنَّ جَرُّ ٱلذُّيُولِ وَعَلَى ٱلرِّجَالِ حِمَايَةُ ٱلذِّمَارِ وَعِمَارَةُ ٱلْمِضْمَارِ بِإِجْرَاءِ ٱلْخُيُولِ. لَعَلَّ ٱلضَّرُورَةَ ٱلَّذِي لَمْ يَحُجَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ مَعْذُورٌ فِي ٱلتَّقْصِيرِ عَنِ ٱلتَّبْرِيزِ فِي ذَلِكَ ٱلْمَجَالِ، وَقَعِيدَتُهُ[6] إِذَا كَانَتْ صَرُورَةً أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ مَعْذُورَةً، وَعَسَى أَنْ تَكُونَ لَهُمَا فِيمَا تَرَكَاهُ ضَرُورَةً نِيَّةٌ عَلَى فَضْلِهَا اِنْطَوَيَا، وَمِنْ مَعِينِهَا تَرَوَّيَا فَلَهُمَا مَا نَوَيَا، وَخَلِّ مَا يَقُولُ هُذَرَةٌ[7] إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ بِمِثْلِ هَذَا ٱلْفِعْلِ مُتَعَذِّرَةٌ، فَلاَ وَٱلَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ لَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفسِهِ ٱلإِحْسَانَ وَأَوْجَبَهُ، فَلاَ تُصْغِ إِلَى هَذَا ٱلْقَائِلِ فَقَدْ أَسَاءَ وَإِنْ سَاعَدَتْهُ هُذَرَةٌ مِنَ ٱلنِّسَاءِ فَلاَ بَالَةَ[8] فِي هَذَا بِٱلرِّجَالِ بَلْهَ ٱلنِّسَاءَ، لِيُجِدَّ ٱلْعَبْدُ فِي حُقُوقِ مَوْلاَهُ فَإِنْ قَصَّرَ مُضْطَرّاً فَلاَ يَيْأَسْ أَنْ يَتَغَمَّدَهُ بِمَغْفِرَتِهِ ٱللَّهُ، وَعِنْدَ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلشَّرِّ اِحْتِثَاتٌ[9] سَوَاءٌ ذُكُورُهُمْ وَٱلإِنَاثُ، فَكَمْ فِي ٱلصِّنْفَيْنِ مِنْ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ مَتَى ظَفِرَ بِفَضْلٍ غَمَزَهُ، فَلاَ يَزَالُ يَغْتَابُ، وَلاَ يَنْهَاهُ مَا صَدَعَ بِهِ فِي شَأْنِهِ ٱلْكِتَابُ[10]، أَتُرَاهُ فِي صِدْقِهِ يَرْتَابُ أَوْ يَنْتَابُ، خَاطِرُهُ فِيمَا يَنْتَابُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْدُودٍ فِي ٱلظَّلَمَةِ أَوْ أَنَّهُ نَاجٍ إِنْ زُوِيَتْ عَنْهُ ٱلْمَغْفِرَةُ مِنْ هَذِهِ ٱلْمَلْحَمَةِ، ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ، نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلأَفْئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ فِي عَمَدٍ [مُمَدَّدَةٍ[11]]﴾[12].

---

(6) قعيدته : زوجته، واستعمال أبي الربيع لها يؤكد على أخذه معنى اللفظ صرورة الذي لم يحج كما جاء في الفصيح، ص 309، بينما الشائع في معنى هذا اللفظ للذي لم يتزوج.

(7) هذرة : كثير الكلام.

(8) بالة : من المبالاة.

(9) احتثات : استعجال، مصدر من الفعل أحتث.

(10) إشارة إلى سورة الهمزة.

(11) تكملة من طرة الكتاب لاستيفاء السطر، الورقة : 129.

(12) سورة الهمزة من الآية 4 إلى الآية 9.

26 ـــ بَابُ مَا ٱلْهَاءُ فِيهِ أَصْلِيَّةٌ

سُبْحَانَ مَنْ دَرَّتْ بِلُطْفِهِ فِي ٱلْحِجَارَةِ ٱلْمِيَاهُ، وَسَبَّحَتْ لَهُ مِنْ كُلِّ ٱلأَفْوَاهِ ٱلشِّفَاهُ، تَتَفَجَّرُ ٱلأَمْوَاهُ مِنَ ٱلصَّلْدِ بِقُدْرَةِ ٱلصَّمَدِ، وَتَسْمَنُ ٱلشِّيَاهُ بِإِرَادَتِهِ فِي عَارِي ٱلْقَرْدَدِ[1]، وَٱلْعِضَاهُ[2] مَرْعَى مَا دَاوَمَهُ جَمَلٌ قَطُّ فَأَنْضَاهُ، ٱللَّهُ يَرْزُقُ ٱلأَنْعَامَ مِنْ عِضَةٍ وَاهِنَةِ ٱلشَّكِيرِ[3] وَيُسَدِّدُ ٱلأَفْهَامَ بِعِظَةٍ بَالِغَةٍ فِي ٱلتَّذْكِيرِ دَامِغَةٍ بِٱلنَّكِيرِ، وَعَيْشُكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَحْلاَمٌ جَمَّةُ ٱلسَّمَادِيرِ[4]، وَإِلَى ٱلْمَنِيَّةِ مَصِيرُ كُلِّ حَيٍّ جَفَّتْ بِذَلِكَ أَقْلاَمُ ٱلْمَقَادِيرِ :

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاهٌ[5]   وَلَيْسَتْ دَارُنَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ[6]

[الوافر]

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[7].

---

(1) القردد : ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(2) العضاه : بكسر العين جمع عضة وهو كل شجر له شوك.

(3) الشكير : لحاء الشجر.

(4) السمادير : ما يتراءى للإنسان من ضعف بصره ورؤيته عند السكر من الشراب وغشي النعاس.

(5) مهاه : حسن ورواء.

(6) البيت لعمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج، ذكر ابن هشام في شرحه، ص 80 بيتا بعده هو :

وَمَا أَمْوَالُنَا إِلاَّ عَوَارٍ   سَيَأْخُذُهَا ٱلْمُعِيرُ مِنَ ٱلْمُعَارِ

وفي شرح التدميري ذكر البيت موصولا بعده، ص 69 :

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاهٌ   وَلَيْسَتْ دَارُنَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ

لَنَا إِلاَّ لَيَالٍ هَيِّنَاتٍ   وَبُلْغَتُنَا بِأَيَّامٍ قِصَارِ

أَرَانَا لاَ نَمَلُّ ٱلْعَيْشَ فِيهَا   وَأُولِعْنَا بِحِرْصٍ وَانْتِظَارِ

البيت في كتاب سيبويه : 132/2، مجمع الأمثال : 139/2، المغني ص 818 في حذف الصفة، شعراء الخوارج، ص 18 تحقيق إحسان عباس.

(7) الآية 39 من سورة المؤمنون.

27 ـــ بَابٌ[1]

طِبْ يَا أَخِي نَفْساً لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِذَا نَزَلَتِ ٱلأَقْدَارُ فَسَلِّمْ لِرَبِّكَ وَاسْتَسْلِمْ، وَٱللَّهِ لأَنْ يَكُونَ فِي صَدْرِي جَمرٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ غِمْرٌ[2]. ٱلْمُوجِدَةُ[3] مُنْجِدَةٌ لِلذُّنُوبِ وَمُوجِدَةٌ لِلْعُيُوبِ وَمُفْسِدَةٌ لِلْبَوَاطِنِ وَٱلْغُيُوبِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهَا فَإِنَّمَا هِيَ شَأْنُ ٱلْغُمْرِ[4] ٱلَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ ٱلأُمُورَ وَلاَ عَرَفَ مَأْتَاهَا، وَٱلْحَظُّ ٱلدُّنْيَا لَحْظُ مَنْ يَعْلَمُ سُخْفَ مَدَارِهَا وَخِسَّةَ مِقْدَارِهَا، وَاخْتِلاَلَ مَجَارِيهَا فِي إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا وَٱللَّهُ جَعَلَهَا كَذَلِكَ لِهَوَانِهَا عَلَيْهِ، وَبَيَّنَ سِرَّ حَالِهَا لَوْ أَنَّ مُهْتَدِياً إِلَيْهِ، كَثِيراً مَا يُوجَدَ ٱلْمُغَمَّرُ[5] مُؤَمَّراً فِيهَا وَٱلْفَهِمُ لاَ يَجِدُ بُلْغَةً فَضْلاً أَنْ يَجِدَ تَرْفِيهاً وَمَاءُ ٱلأَرْزَاقِ مِنَ ٱلْمُفْضِلِ ٱلْخَلاَّقِ غَمْرٌ[6]، لَكِنْ حَجَرَ فَيْضَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلنَّاسِ أَمْرٌ، فَيَا مَنْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُطَامِهَا، وَوَضَعَتْ فِي يَدِهِ طَرَفاً مِنْ خُطَامِهَا، أَعِدَّ فِيهَا لِحُسْنِ ٱلْمَعُوضَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا لاَ تَعْدِلُ عِنْدَ ٱللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلْتَجِدْكَ فِيهَا نَوَائِبُ ٱلزَّمَانِ عَلَى ٱلإِخْوَانِ غَمْرَ[7] ٱلرِّدَاءِ سَمْحَ ٱلإِعَادَةِ وَٱلإِبْدَاءِ

---

(1) كذا ورد عند أبي الربيع، وفي فصيح ثعلب «باب منه آخر» بعد باب ما الهاء فيه أصلية. والملاحظ أن هذا الباب تخلو ألفاظه من حروف الهاء.

(2) غِمر : بكسر الغين : حقد.

(3) الموجدة : من وجد بمعنى غضب.

(4) الغُمر : بضم الغين : الجاهل.

(5) المُغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(6) غَمْر : بفتح الغين الماء الكثير ومنه الحديث : «أعوذ بك من موت الغمر» أي الغرق في الماء الغمر.

(7) غَمْر الرداء وغمر الخلق بمعنى سخي واسع الخلق كثير المعروف.

طَبّاً[8] بِمَوَاقِعِ ٱلدَّاءِ، حَرِيصاً عَلَى اصْطِنَاعِ ٱلْبُعَدَاءِ وَٱلأَوِدَّاءِ وَحَيْثُ يَحْسُنُ ٱلرِّفْقُ فَخُذْ بِٱلرِّفْقِ وَخُضْ مَعَ ذَلِكَ ٱلْغَمَرَاتِ[9] إِلَى ٱلْحَقِّ، فَٱلْمُغَامِرُ[10] فِي تِلْكَ ٱلسَّبِيلِ خَلِيقٌ بِٱلْحُصُولِ تَحْتَ قَوْلِ مَوْلاَنَا ٱلْحَقِّ فِي مُحْكَمِ ٱلتَّنْزِيلِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[11].

---

(8) [طَبًا] في الأصل، الورقة : 130 ولا معنى لها. أما الطب فهو المأثور والحاذق ومنه الطبيب.

(9) الغمرات : الشدائد.

(10) المغامر : الذي يغامر بنفسه فيلقيها في المهالك.

(11) الآية 69 من سورة العنكبوت.

28 ـــ بَابُ مَا جَرَى مَثَلاً أَوْ كَٱلْمَثَلِ

(عِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ)[1] فَسَلْنِي إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْأَلَ ٱلْمُحِقِّينَ، وَجُفَيْنَةُ أَيْضاً عِوَضَ جُهَيْنَةَ مَقُولٌ، فَإِنْ يَكُونَا شَخْصَيْنِ فَخَيِّرٌ لَكَ أَنَّ ٱلْأَمْرَ عَنِ اثْنَيْنِ مَنْقُولٌ، (إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ)[2] وَٱلْأَيَّامُ لِمَنْ سَاعَدَتْهُ مُهُنٌ[3] (فَافْعَلْ ذَلِكَ وَخَلاَكَ ذَمٌّ)[4] وَٱلْعَامِلُ بِدَهْرِهِ فِيمَا يَحْسُنُ مُؤْتَمٌّ[5]، ٱللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تَرَى غَضَاضَةً

---

(1) من أمثال العرب يضرب لمعرفة الشيء حقيقة وفيه ثلاث روايات : جهينة وجفينة وحفينة، وعند ابن السيد البطليوسي «جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح» انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : 238/2. وكما اختلف في الاسم اختلف في أصل المثل، والشائع أن رجلا من جهينة خرج مع رجل يدعى الحصين فتعاهدا على السلب فلقيا رجلا فسلباه فدلهما على رجل من لخم قدم بغنم وفير فنزلا عليه فدعاهما إلى الطعام، ثم إن الأخنس الجهني ذهب لبعض شأنه وعندما عاد وجد صاحبه قتل الرجل فسل سيفه وقتل الحصين قائلا له كيف فتكت برجل تحرمنا بطعامه. وعند عودته وجد ضخرة زوجة الحصين تسأل عنه في حيي مراح وأنمار فأنشد في ذلك :

كَصَخْرَةٍ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ ... وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

ويروي جفينة بالجيم اسم لشخص خمار كان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُفَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

انظر **مجمع الأمثال** : 3/2، 4، 5 ـــ **فصل المقال**، ص 295.

(2) من أمثال العرب ومعناه إذا صلب أخوك فلن له وإذا عاسرك فياسره، وأصل المثل قاله هذيل ابن هبيرة التغلبي عندما عاد من إغارة على بني ضبة بغنائم فطلب أصحابه أن يقسمها بينهم فرفض في بادىء الأمر خوفا من تشاغلهم بالاقتسام عن أن يدركهم الطلب، فأبوا وعندما نزل عند رغبتهم وقال : إذا عز أخوك فهن. والمثل في **فصل المقال** : 235 ـــ **ومجمع الأمثال** : 22/1.

(3) مهن : من الفعل مهن بمعنى خدم.

(4) معنى المثل : عليك بالاجتهاد في الطلب، لكي لا تذم، وإن لم تقض الحاجة، والمثل لقصير=

لاَ تَحْتَمِلُ ٱلنَّفْسُ ٱلأَبِيَّةُ لَهَا مَضَاضَةً، فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنْ يَدَيْهَا وَارْفِضْهَا وَلَوِ اضْطَرَّتْكَ ٱلْحَالُ إِلَيْهَا (فَقَدْ تَجُوعُ ٱلْحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا)[6]. وَٱلدَّهْرُ لِلْحُرِّ مُشَاكِسٌ، وَلَهُ خُدَعٌ فِي طَيِّهَا مَنَاخِسٌ (وَتَحْسِبُهَا حَمْقَاءَ وَهِيَ بَاخِسٌ)[7]، وَبَنُو ٱلدُّنْيَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا شِيَماً[8] عُوجاً[9]، وَمَوَارِدَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلأَبِيُّ مُحَلاًّ[10] عَنْهَا مَعُوجاً، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَتَهَارَشُونَ كَدَأْبِهِمْ فِي ٱلشَّيْءِ ٱلْمُحْتَقَرِ (فَٱلْكِلاَبُ عَلَى ٱلْبَقَرِ)[11] فَكُلُّهُمْ (أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ)[12] وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَحْفِلُ بِالتَّوَرُّطِ فِي خَجْلَةٍ، يَا جَامِعِينَ لُؤْمَ ٱلسَّعْيِ وَخِسَّةَ ٱلأُكِيلَةِ (أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيْلَةٍ)[13]، يَا هَذَا

= بن سعد اللخمي قاله لعمرو بن عدي عندما طلب منه أن يجدع أنفه في قصة الزباء مع جذيمة الأبرش ذكره الميداني في موضعين في حرف الخاء وأورد القصة كاملة وكذلك في حرف الفاء ج 233/1 وج 80/2.

(5) مؤتم : من المأتم وهو الاجتماع في فرح أو حزن.

(6) يضرب المثل في صيانة النفس عن خسيس المكاسب، وأصل المثل للحارث الأسدي قاله لزوجته الزباء بنت علقمة بن خَصَفَة الطائي. والقصة كاملة في **مجمع الأمثال** : 122/1 و123، وفي **فصل المقال** : 331.

(7) يضرب المثل لمن يتباله ويتظاهر بالحمق ليبخس الناس حقوقهم والمثل لرجل من بني العنبر من تميم طمع في مال امرأة جاورته وأعتقد أنها حمقاء فعقد العزم على خلط متاعه وماله بمتاعها وما لها ليأخذ أحسن وأجود ما عندها، إلا أنها عند المقاسمة طالبت بمتاعها ونازعته حتى افتدى منها بما أرادت فقيل له : أخدعتك امرأة وليس ذلك بحسن، فقال : تحسبها حمقاء وهي باخس. انظر **مجمع الأمثال** : 123/1 وفصل المقال : 168.

(8) شيما : جمع شيمة وهي كل علامة ظاهرة.

(9) عوج : جمع أعوج وعوجاء وعوج الشيء فساده وميله.

(10) محلأ : من حلأ الابل إذا منعها أن ترد الماء ومنها قول الشاعر : اسحاق بن إبراهيم الموصلي :

يَا سَرْحَةَ ٱلْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودِ
لِحَائِمٍ حَامَ حَتَّى لاَ حَوَامَ بِهِ مُحَلاٍ عَنْ سَبِيلِ ٱلْمَاءِ مَطْرُودِ

انظر اللسان (حلأ).

(11) يضرب المثل عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة بما يقع بينهم، كما يضرب في ترك الأمر الذي لا يهمك ولا تباليه وأصله أنه يخلى بين الكلاب وبقر الوحش. **مجمع الأمثال** : 142/2 **وفصل المقال** : 400.

(12) تقدم المثل في الصفحة 145 وانظر **مجمع الأمثال** : 226/1.

(13) الحشف : أردأ أنواع التمر، والكلية اسم هيئة من الكيل. والمثل يضرب لاجتماع الخلتين من الإساءة على الرجل. انظر **فصل المقال** : 374، **ومجمع الأمثال** : 207/1.

مَا اسْمُكَ أُذْكُرْ، وَقَدْ نَخَلْتُ لَكَ ٱلنَّصِيحَةَ فَلْتَشْكُرْ، غَالِبْ مَا اسْتَطَعْتَ هَمَّكَ، أَرَاكَ قَدْ (هَمَّكَ مَا أَهَمَّكَ)[14] لاَ تُعَلِّقْ بِغَيْرِ ٱللَّهِ مُهِمَّكَ، وَلاَ تَجْعَلْ إِلَى سِوَاهُ مَأَمَّكَ، كَمْ هَمَّنِي أَمْرٌ مِثْلُهُ يُذِيبُ وَأَهَمَّنِي آخَرُ صَدَقْتُ ٱللَّهَ فِي احْتِمَالِهِ فَعَادَ وَكَأَنَّ صَادِقَهُ كَذُوبٌ، ثُمَّ لاَ أَغُرُّكَ مِنِّي وَلاَ أُخْبِرُكَ إِلاَّ عَنِّي، فَرُبَّمَا زَيَّنَ لَكَ ٱلنَّقْلُ مَا يَفْضَحُهُ بِٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْعَقْلُ، (تَسْمَعُ بِٱلْمُعَيْدِي لاَ أَنْ تَرَاهُ)[15] فَدَعِ ٱلْقَطَا لِكَرَاهُ، وَلاَ يَغُرَّنَّكَ مَا سَمِعْتَ مِنْ ذِكْرَاهُ، (فَلأَنْ تَسْمَعُ بِٱلْمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ) وَيَا نَفْسِي ٱلَّتِي أَفْنَتْ فِي غَيْرِ طَائِلٍ ٱلزَّمَنَ، (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ ٱللَّبَنَ)[16]. وَهَيْهَاتَ يَجِدُ مِنَ ٱلتَّوْفِيقِ رِدْءاً، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَوْداً وَبَدْءاً، فَعُوجِي عَنْ تِلْكَ ٱلْغَايَةِ عِنَانَ ٱلْحَافِرَةِ[17]، وَاحْذَرِي أَنْ تَرْجِعِي فِي ٱلْحَافِرَةِ[18]، فَإِنَّ مَنْ رَجَعَ فِي ٱلْبَاطِلِ عَوْدُهُ عَلَى بَدْئِهِ، فَأَخِّرْ بِبُعْدِهِ عَنِ ٱلصَّوَابِ وَبُطْئِهِ، وَشَتَّانَ ٱلصَّوَابُ [وَ][19] ٱلْخَطَأُ، ثُمَّ شَتَّانَ مَا ٱلسَّرِيعُ وَٱلْمُسْتَبْطَأُ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْمُسْتَقِيمِ عَلَى ٱلسَّنَنِ وَٱلْمُنَكِّبُ عَنِ ٱلْمَنْهَجِ ٱلأَحْسَنِ، نَتَصَرَّفُ كَمَا يَقْتَضِي

---

(14) يروى المثل أيضا (همك ما همك) ومعنى المثل أذابك ما أحزنك. على أساس أن هم بمعنى أذاب، وأهم بمعنى أحزن. ويضرب المثل لمن لا يهتم بشأن صاحبه. انظر **فصل المقال** : 399، **ومجمع الأمثال** : 402/2، وأمالي القالي : 114/1.

(15) ويقال أيضا : (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) والمثل قاله المنذر بن ماء السماء لشقة بن ضمرة إذ كان حسن الصيت قبيح الصورة. والمثل يضرب لمن خبره خير من مرآه. انظر المثل والاختلاف في روايته : **فصل المقال** : 136، **ومجمع الأمثال** : 129/1.

(16) من الأمثال التي تضرب في التفريط في الحاجة وقت الامكان ثم طلبها بعد فوات الأوان. والمثل لعمرو بن عمرو بن عدس التيمي قاله لدختنوس بنت لقيط لما كرهت عشرته وكان على غناه رجلا كبير السن فطلبت الطلاق ثم تزوجت ابن عم لها عمير بن بن معبد بن زرارة وكان شابا جميل الوجه إلا أنه معدم، وذات يوم مرت بها إبل عمرو فبعثت تسأله لبنا فقال لها : في الصيف ضيعت اللبن، لأنها طلبت الطلاق في الصيف، وعندما بلغها رده قالت : «هذا ومذمة خير» تشير إلى زوجها، فأرسلتها مثلا. **فصل المقال** : 357، **ومجمع الأمثال** : 68/2.

(17) الحافرة : الفرس ذات الحافر.

(18) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾ الآية 10 من سورة النازعات.

(19) بياض في الأصل، الورقة : 130.

ٱلأَمْرُ فَدَعْنَا مِنْ شَتَّانَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، مَا اتِّبَاعُ ثَعْلَبٍ[20] فِي هَذَا بِضَرْبَةِ لاَزِبٍ[21]، وَلَوْ تَشَيَّعَ وَشَنَّعَ ٱلْمُتَحَازِبُ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِبُ مِنْ مَعْنَى ٱلْكَلاَمِ أَوْ لَفْظِهِ نَظَرُ ٱللَّبِيبِ ٱلْحَازِمُ مَا يَرَاهُ ضَرْبَةً لاَزِمٍ. لِيَفْرُغِ ٱلْمَرْءُ مِنْ هَمِّهِ، وَلْيَثِقْ بِٱللَّهِ فِي تَفْرِيجِ غَمِّهِ، وَعَلَيْهِ بِٱلصِّدْقِ فِي مَقْصَدِهِ وَمَأَمِّهِ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ ٱلْكَذِبِ وَغَائِلَةِ سُمِّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ ٱلْفُجُورَ (فَهُوَ أَخُوهُ بِلِبَانِ أُمِّهِ)[22]، مَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ تَشْرِيقُكَ وَتَغْرِيبُكَ، أَمْ مَاذَا يُفِيدُكَ تَبْعِيدُكَ وَتَقْرِيبُكَ (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ)[23] وَمَا رَابَكَ[24] مِنْ فُلاَنٍ وَهُوَ قَرِيبُكَ، أَجَلْ إِنَّ بَعْضَ ٱلْقَرَابَةِ أَدْعَى إِلَى ٱلاِسْتِرَابَةِ، وَمَا أَرْبُكَ إِلَى هَذَا، مَنْ رَابَكَ فَدَعْهُ وَمَنْ أَرَابَ[25] فَاقْطَعْهُ وَإِنْ كَانَ أَنْفَكَ فَاجْدَعْهُ. أَلاَمَ[26] ٱلنَّاسُ وَلَؤُمُوا، وَاشْتَمَلُوا عَلَى ٱلرَّذَائِلِ وَٱلْتَأَمُوا، وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ لَمْ يُمْتَحَنْ بِٱلنَّاسِ وَإِنْ عُدَّ فِي ٱلأَكْيَاسِ يَنْقُدُ عَلَيْهَا هَذَا ٱلْمَسْلَكَ،

---

(20) ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني بالولاء (200–291هـ) صاحب كتاب الفصيح. وأبو الربيع يشير بهذا القول إلى ما جاء في كتاب الفصيح حول شتان بفتح النون وبكسرها على قول الفراء : «وتقول : شتان زيد وعمرو، وشتان ما هما»، والفراء يخفض نون شتان، وإن شئت قلت شتان ما بينهما» **الفصيح** : 312.

(21) ويقال أيضا ما هذا بضربة لازم بالميم، والأزب معناه الثابت ومنه قول النابغة :

لاَ يَحْسِبُونَ ٱلْخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلاَ يَحْسِبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ

واستعملها ابن الآبار [لازم] في رثائه لأبي الربيع :

بَعِيدٌ مَدَاهُ لاَ يُشَقُّ غُبَارُهُ ... إِذَا فَاهَ فَاضَ ٱلسِّحْرُ ضَرْبَةَ لاَزِمِ

(22) معنى المثل هو أخوه شقيقه أو أخوه من الرضاعة. ولفظ لبان مصدر للفعل لاَبَنَهُ يُلاَبِنُهُ مُلاَبَنَةً وَلِبَاناً إذا شاركه الرضاعة. ومنه قول أبي الأسود الدؤلي يصف الزبيب :

دَعِ ٱلْخَمْرَ يَشْرَبُهَا ٱلْغُوَاةُ فَإِنَّنِي ... رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِياً لِمَكَانِهَا

فَإِلاَّ يُكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ ... أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : 252/3.

(23) يريب : من الريب وهو الشك والظن. معنى المثل : دع ما يحدث لك شكا إلى غيره، قال أبو العباس التدميري في شرحه : «والمعنى دع مواضع التهم والباطل واتبع مسالك الحق والسلامة» الورقة : 76.

(24) رابك : أوقع في نفسك ريبة.

(25) أراب : صار صاحب ريبة.

(26) ألام : إذا فعل ما يلام عليه.

وَيقُولُ : مَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلنَّاسَ هَلَكُوا كَانَ أَهْلَكَ[27]، وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَعَ بِٱلأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ وَلَكِنْ (وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ ٱلْخَلِيِّ)[28]، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ رُمِيَ مِنْ شِرَارِهِمْ بِبَعْضِ مَا رُمِيتُ أَوْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِأَحْقَرِ ٱلسِّهَامِ ٱلَّتِي بِهَا أُدْمِيتُ، لَمَا ٱكْتَفَى فِيهِمْ بِهَذَا ٱلْقَوْلِ، وَلَتَعَقَّبَ فَرِيضَةَ ٱلْوُقُوعِ فِي ذَمِّ مَنَاحِيهِمْ بِٱلْعَوْلِ بَعْدَ ٱلْعَوْلِ، وَفِي ٱلنَّاسِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ مَا ظَنَّ هَذَا ٱلْمُنْصِفُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَإِنْ رُمِيتُ مِنْ جِنْسِهِمْ بِأَعْظَمَ مَا ٱسْتَطَاعُوا مِنَ ٱلضَّيْرِ، فَلَعَلَّ أُولَئِكَ بِٱلإِضَافَةِ إِلَى جُمْهُورِ ٱلنَّاسِ إِنَّمَا (هُمْ أَكَلَةُ رَأْسٍ)[29]، وَقَدْ أَعْدَدْتُ لِبَأْسِهِمْ بَعْضَ مَا لِلَّهِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ مِنْ بَأْسٍ، وَإِنَّ ٱلْقَرْعَةَ مِنْهُ (لأَحَرُّ مِنَ ٱلْقَرَعِ)[30]، وَأَمْرُ ٱللَّهِ أَعْظَمُ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يَنْزِعَ فِيهِ مِثْلَ هَذَا ٱلْمَنْزَعِ، وَمَعَ ثِقَتِي بِهَذَا ٱلْمُعْتَقَدِ وَعِلْمِي بِمَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ ٱلْعَدَدِ، فَمَا أَتَقَلَّدُ ٱلتَّعْيِينَ وَلاَ أَلْتَزِمُ ٱلتَّبْيِينَ، فَلَعَلِّي أَعْنِتُ[31] بَرِيّاً، وَأَجِيءُ فِي نِسْبَةِ ٱلشَّرِّ إِلَى غَيْرِ جَانِبِهِ شَيْئاً فَرِيّاً[32]، وَفِي ٱشْتِجَارِ[33] ٱلشُّرَّارِ مَا يُودِعُ فِيهِمْ عَنِ ٱلتَّعْيِينِ وَيَزَعُ[34]، وَيَعْدِلُ بِٱلْعِبَارَةِ عَنِ ٱلتَّخْصِيصِ إِلَى ٱلتَّعْمِيمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

---

(27) «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم» حديث نبوي شريف. انظر **صحيح مسلم** : 36/8.

(28) يضرب المثل في باب سوء المشاركة في اهتمام الرجل بأمر صاحبه ومعناه ويل لمن شجي بالهم ممن خلا منه. وذكر الميداني في أصل هذا المثل روايتين : الأولى ذكرها في المثل «صغراهن شراهن» وأسند المثل إلى لقمان بن عاد في حكاية المرأة التي كان لها زوج اسمه الشجي وعشيق اسمه الخلي؛ والرواية الثانية في المثل نفسه، وسبب القول رواية عن المدائني وابن سلام الجمحي أن أول من قاله أكثم بن صيفي التميمي عندما جمع بني تميم ونصحهم باتباع سيدنا محمد ﷺ أول ظهور الرسالة فقال عنه مالك بن نويرة قد خرف شيخكم، فقال أكثم : ويل للشجي من الخلي. **مجمع الأمثال** : 398/1 و369/2.

(29) مثل يضرب في الكناية عن قلة العدد. انظر **مجمع الأمثال** : 49/1.

(30) أحر من القرع : القرع بفتح الراء والقاف : قرح يصيب أعناق صغار الإبل، والقرع — بفتح القاف وسكون الراء — يعني قرع الميسم بالنار. انظر المثل في **فصل المقال** : 403، **ومجمع الأمثال** : 227/1.

(31) أعنت : أصيب بمشقة. ومن معاني العنت : المشقة والفساد والخطأ والإثم والغلط.

(32) فريا : أمرا عظيما.

(33) اشتجار : مجافاة.

(34) يزع : يكف.

لِلْمُدَاجِي[35] فِي ذَلِكَ مَقْنَعٌ، وَمِنَ ٱلشَّرِّ أَنَّكَ إِذَا رُمْتَ ٱلتَّشَكِّي مِنَ ٱلشَّرِّ بُؤْتَ مِنْهُ بِٱلْحَظِّ ٱلْمُشْبِعِ، ٱللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ، وَاحْمِهِمْ مَوَارِدَ ٱلظُّلْمِ فَكَثِيراً مَا يَظْلِمُونَ، وَشُكْراً بَعْدُ لِهَذَا ٱلْمُتَعَقِّبِ فَقَدْ أَوْجَبَ بِتَنْبِيهِهِ شُكْراً جَمّاً، وَذَكَّرَ بِٱلأَوْلَى مِنَ ٱلصَّبْرِ وَٱلإِحْتِمَالِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ يَا قَلْبِ أَثِراً[36] مًّا وَاقْتَدِ بِأَحْسَنَ مَا عَنْهُ صَدَرَ، وَخُذْ مَا صَفَا[37] وَدَعْ مَا[38] كَدَرَ[39]، وَأَفِضْ فِي فَنٍّ مِنَ ٱلْخَيْرِ عَلَيْهِ تَسْتَمِرُّ، وَأَحْلِ أَبَداً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ (لاَ يُحْلِي وَلاَ يُمِرُّ)[40]، وَأَظْهِرْ بِٱلْعَمَلِ إِلَى مَا تَسْمَعُ مِنَ ٱلصَّوَابِ إِنَابَةً وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ (أَسَاءَ سَمْعاً فَأَسَاءَ جَابَةً)[41] أَوْ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[42].

---

(35) المداجي : المداري لما في نفسه.

(36) أثراما : مفضلا له.

(37) خذ ما صفا : ما أتاك صفوا بلا تعب.

(38) دع ما كدر : اترك ما صعب.

(39) كدر : بفتح الدال وضمها وكسرها، وقد كتب في الأصل فوق الكلمة [جميعا]، الورقة : 131.

(40) يضرب مثلا للرجل لا يصلح لخير ولا لشر.

(41) يضرب المثل للمسيء في الإجابة على غير فهم، وأصل المثل لسهيل بن عمرو قاله عن ابنه أنس لما سأله الأخنس ابن شريق الثقفي عنه فقال : ابني. فقال الأخنس حياك الله يا فتى. فقال أنس : لا والله ما أمي في البيت... فقال أبوه : أساء سمعا فأساء إجابة. مجمع الأمثال : 330/1.

(42) الآية 21 من سورة الأنفال.

29 ـــ بَابُ مَا يُقَالُ بِلُغَتَيْنِ

يَا ذَا ٱلَّذِي يَشُوقُهُ ٱلْمَكَانُ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَهُ ٱللِّسَانُ، إِنَّمَا يَشُوقُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلسُّكَّانُ، وَخَيْرُ أَوْطَانِكَ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ ٱلْبُلْدَانُ حَيْثُ سَاعَدَكَ ٱلزَّمَانُ وَٱلأَخْدَانُ(1)، فَمَا مِصْرٌ بَغْدُ وَمَا بَغْدَانُ(2)، بَغْدَادُ كَمَا عُلِمَ مَوْضِعُ ٱلنَّقْصِ وَٱلإِزْدِيَادِ، وَمَحَلٌّ كَمَا قِيلَ لِلْقَارِيِّ(3) ٱلصَّيَّادِ، وَمَاذَا عَلَيْكَ إِذَا نِلْتَ كِفَايَةَ رَبِّكَ ٱلْمُنْعِمِ ٱلْمُنِيلِ، أَلاَّ تَشْرَبَ مِنَ ٱلْفُرَاتِ وَلاَ ٱلنِّيلِ، إِنَّ ٱلنَّاسَ لاَ يُعْرَضُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِبِلاَدِهِمْ وَإِنَّمَا يُطْلَبُونَ بِتَقْصِيرِهِمْ أَوِ اجْتِهَادِهِمْ، وَلاَ تَبِعَةَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ وَٱلتَّغَابُنِ مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَقَدْ تَلْحَقُهُمُ ٱلْبَائِقَةُ مِنْ أَخْدَانِهِمْ فَتَمَاسَكْ فِي هَذَا ٱلْبَابِ قَلِيلاً وَلاَ تُحْوِجْ نَفْسَكَ أَنْ تَقُولَ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً. إِنَّ أَقَلَّ لِعَابِي(4) أَنْ يَكُونَ ٱلْفُضَلاَءُ ٱلْعُقَلاَءُ صِحَابِي، أُولَئِكَ خَيْرُ ٱلصِّحَابِ فَاطْلُبْهُمْ وَلَوْ تَعَلَّقُوا بِٱلسَّحَابِ، هُمْ يُرْشِدُونَ ٱلضَّالَّ، وَيَعْضُدُونَ ٱلْمُخَالَّ، وَيُنَشِّطُونَ إِلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ مَنْ تَكَاسَلَ أَوْ تَعَالَ، فَإِنْ فَقَدْتَ أَمْثَالَ هَؤُلاَءِ فِي ٱلصَّحَابَةِ فَكِتَابُ ٱللَّهِ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ حَيَا(5) ٱلسَّحَابَةِ، وَلاَ تَنْسَ وَلِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَى مَا شَاكَلَ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَبْيَاتَ عَمْرِو بْنِ(6) ٱلإِطْنَابَةِ مِمَّا يُؤْنِسُ بِمَكَارِمِ ٱلْخِلاَلِ وَيَحْمِلُ عَلَى

---

(1) الأخدان : جمع خدن وهو الصاحب.

(2) بغدان : وبغداد، وبعداذ.

(3) القاري : الذي يقرو الأرض قروا أي يتتبعها أرضا أرضا ينظر فيها حالها وأمرها.

(4) لعابي : لعاب مصدر من الفعل لاعب يلاعب ملاعبة ولعاب.

(5) حيا : مطر.

(6) عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي شاعر جاهلي. انظر **حماسة أبي تمام**، ص 533، **ومعجم المرزباني** : 203.

الأبيات التي أشار إليها أبو الربيع هي : =

أَخْلاَقِ ٱلرِّجَالِ، فَمِنَ ٱلشِّعْرِ[7] حِكْمَةٌ وَكَلِمَةُ ٱلحِكْمَةِ ضَالَّةُ[8] ٱلْمُؤْمِنِ، وَرُبَّمَا كَانَ لَهُ فِيهَا رَحْمَةٌ وَبِهَا عِصْمَةٌ، وَقَدْ بَذَلْتُ لَكَ صَفْوَ مَا عِنْدِي، وَذَلَّلْتُ بِبَذْلِ ٱلصُّفْوَةِ[9] عَلَى صِدْقِ وُدِّي، إِنَّ ٱلْجَلِيسَ ٱلصَّالِحَ يُبَيِّنُ لَكَ ٱلْمَصَالِحَ وَجَلِيسَ ٱلسُّوءِ يَطْمِسُ لَكَ بِٱلظُّلْمَةِ وَجْهَ ٱلضَّوْءِ، فَٱلأَوَّلُ فِي مَا يُفِيدُكَ مِنْ مَقَاصِدِ ٱلنُّسْكِ صَيْدَلاَنِي يُحْذِيكَ[10] ٱلْمِسْكَ أَوْ عَرْفَ ٱلْمِسْكِ، وَٱلثَّانِي فِي مَا يُعَذِّرُ عَلَيْكَ مِنْ مَآخِذِ ٱلسَّدَادِ حَدَّادٌ إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ أَتَاكَ دُخَانُهُ بِسِرِّ ضَرَرِهِ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلصَّيْدَلاَنِي وَٱلْحَدَّادِ. رَاعِي ٱلأَظِلَّةَ مُحَافَظَةً عَلَى ٱلْفَرْضِ ٱلْمُؤَكَّدِ وَاذْكُرْ طِنْفَسَةَ[11] عَقِيلٍ[12] إِذْ كَانَتْ تُطْرَحُ إِلَى جِدَارِ ٱلْمَسْجِدِ فَخِيَارُ عِبَادِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

= إِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱنْتَدَوْا[1] ... بَدَأُوا بِحَقِّ ٱللَّهِ ثُمَّ ٱلنَّائِلِ[2](أ)
ٱلْمَانِعِينَ مِنَ ٱلْخَنَا[1] جَارَاتِهِمْ ... وَٱلْحَاشِدِينَ عَلَى طَعَامِ ٱلنَّازِلِ[2](ب)
وَالخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ ... وَٱلْبَاذِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِلسَّائِلِ
وَٱلضَّارِبِينَ ٱلْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... ضَرْبَ ٱلْمُهَجْهِجِ[1] عَنْ حِيَاضِ ٱلآبِلِ[2](ج)
وَٱلْقَاتِلِينَ لَدَى ٱلْوَغَى أَقْرَانَهُمْ ... إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْوَائِلِ[1](د)
وَٱلْقَائِلِينَ فَلاَ يُعَابُ كَلاَمُهُمْ ... يَوْمَ ٱلْمَقَامَةِ بِٱلْقَضَاءِ ٱلْفَاصِلِ
خُزْرٌ عُيُونُهُمُ إِلَى أَعْدَائِهِمْ ... يَمْشُونَ مَشْيَ ٱلأُسْدِ تَحْتَ ٱلْوَابِلِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ وَلاَ مِيلٍ[1] إِذَا ... مَا ٱلْحَرْبُ شُبَّتْ أَشْعَلُوا بِٱلشَّاعِلِ(هـ)

(أ) اجتمعوا في ناديهم ــ من النوال أي العطاء.
(ب) الفحش ــ الضيف.
(ج) الذي يرد الإبل عن الحوض إذا رويت ــ صاحب الإبل.
(د) الهارب من الحرب يطلب النجدة.
(هـ) جمع أميل : الذي لا يثبت على فرسه.

(7) حديث نبوي. قال الرسول ﷺ : «إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما». الأحاديث الصحيحة : 309/4.

(8) حديث نبوي. انظر الترميذي : 19 وابن ماجة : 15.

(9) الصفوة : صفو الشيء.

(10) يحذيك : يعطيك.

(11) الطنفسة : بكسر الطاء وفتحها وهي البساط له خمل رقيق يكون من صوف أو خز ملون.

(12) عقيل : هو عقيل بن أبي طالب، أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين من قريش ثم أسلم =

يُرَاعُونَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجومَ وَٱلأَظِلَّةَ لِذِكْرِ ٱللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ بإِخْرَاجِ ٱلطِّنْفَسَةِ ٱلْمُرَادُ، فَلاَ يُنْكَرُ [عَلَى][13] آلِ أَبِي طَالِبِ ٱلْجِدُّ فِي فَرَائِضِ ٱللَّهِ وَٱلاِجْتِهَادُ، وَإِنْ تَكُنْ مَجْلِساً لِنَشْرِ ٱلْعِلْمِ وَإِفَادَتِهِ فَاقْتَدِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ ٱلْخَيْرِ بِقَادَتِهِ، إِنَّ ٱلْقَلَنْسُوَةَ مِنْ شَعَائِرِ ٱلسَّمْتِ ٱلْحَسَنِ، وَرُبَّمَا كَانَ ٱلْفَضْلُ فِيهَا لِلأَخْشَنِ، وَقَدْ [جِئْتُكَ][14] بِفَصِّ ٱلْخَاتَمِ وَفَصْلِ ٱلْخِطَابِ، فَأَيُّمَا أَفْضَلُ عِنْدَكَ قُلَنْسِيَةُ هُرْمُزَ[15] أَمْ قُلَنْسِيَةُ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ، إِنَّ ٱلشَّرَفَ لَيْسَ فِي لآلِيءَ تُنْتَظَمُ، إِنَّمَا ٱلشَّرَفُ أَنْ يُمَجَّدَ ٱلْعَبْدُ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ وَيُعَظَّمَ، فَاجْهَدْ أَبَداً [لِنَفْسِكَ][16] أَنْ تَكُونَ بِطَاعَةِ مَوْلاَكَ مِنْ خَيْرِ جِنْسِكَ، فَقَدْ يَتَفَاوَتُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلْفَضْلِ وَإِنِ اشْتَرَكُوا فِي ٱلأَصْلِ وَاتَّفَقُوا فِي ٱلشَّكْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلنَّخْلَ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَفْضُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً فِي ٱلأُكُلِ، وَمَعْرُوفٌ مِنَ ٱلأَمْرِ أَنَّهُ قَدْ يَفْضُلُ ٱلصَّغِيرُ مَنْ سَاوَاهُ أَوْ تَقَدَّمَهُ فِي ٱلْعُمْرِ، كَمَا يَفْضُلُ بُسْرٌ[17] قَرِيثَاءُ كَثِيراً مِنَ ٱلْبُسْرِ وَٱلتَّمْرِ وَمِنْ خَيْرِ مَا تُنْبِتُ ٱلرَّمْلَةُ ٱلْمَيْثَاءُ[18] بُسْرٌ كَرِيثَاءُ. إِذَا قَدَّمْتَ لِضَيْفِكَ بُسْراً قَرَاثَاءَ أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ ٱلثَّنَاءَ، فَاحْمَدِ ٱللَّهَ عَلَى ٱلْيُسْرِ، وَابْذُلْ لِضِيفَانِكَ ٱلْكَرَاثَاءَ مِنَ ٱلْبُسْرِ وَلاَ تَظُنَّ تَأَكُّدَ ٱلْقَرَابَةِ قَاطِعاً [حُكْمَ][19] ٱلظِّنَّةِ وَٱلاِسْتِرَابَةِ فَرُبَّ بَعِيدٍ يُصَافِيكَ، وَقَرِيبٍ مُلْتَاثِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ، وَرُبَّ أَجْنَبِيٍّ مِنْ بَنِي ٱلدُّنْيَا أَحْسَنُ غَيْباً لَكَ مِنِ ابْنِ

= عام الحديبية وحسن إسلامه. وقال له النبي ﷺ : يا أبا يزيد إني أحبك حبين، حبا لقرابتك مني وحبا لما أعلم من حب عمي إياك. وقد سكن عقيل بالبصرة، ومات بالشام في خلافة معاوية. سيرة ابن هشام : 3/3.

(13) أهملها الناسخ وكتبها المصحح على هامش الكتاب، الورقة : 132.

(14) أهملها الناسخ وكتبها المصحح على هامش الكتاب، الورقة : 132.

(15) هرمز والهرمزان والهارموز : الكبير من ملوك العجم.

(16) أهملها الناسخ وكتبها في هامش الكتاب، الورقة : 132.

(17) بسعر قريثاء : ويقال له أيضا كريثاء وقراثاء وكراثاء : وهو تمر أسود سريع النقض لقشرة من لحائه إذا أرطب.

(18) الميثاء : الأرض اللينة السهلة والرابية الطيبة.

(19) كتبها الناسخ في هامش الكتاب، الورقة : 132.

عَمِّكَ دُنْيا[20]، يَا عَجَباً لِغَرِيبٍ لاَ يَنَامُ عَنْ نُصْحِكَ إِنْيَا[21]، وَقَدْ نَامَ عَنْ ذَلِكَ مِلْءَ جُفُونِهِ اِبْنُ عَمِّكَ دِنْيَا، وَنَزِيعٍ يَزَعُ عَنْكَ كَأَنَّهُ ٱلسَّيْفُ ذُو ٱلشُّطَبِ، وَلَصِيقٍ يَلَذُّ عِرْضَكَ كَأَنَّمَا هُوَ جَنِيُّ ٱلرُّطَبِ، مَا ٱلْقَوْمُ إِذَا اعْتَبَرْتَ إِلاَّ امْرَآنِ فَامْرُؤٌ تَبِيتُ مِنْهُ عَلَى أَمَانٍ، وَآخَرُ يَفْرِيكَ[22] بِأَمْضَى مِنْ ذِي شُطُبٍ يَمَانٍ. قُلْ لِلْمُسْتَكْثِرِ مِنَ ٱلنِّسْوَةِ لَكَ فِي مَنْ تَقَلَّلَ مِنْهُنَّ أَحْسَنُ الإِسْوَةِ بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْصُلُ لِلْمَرْءِ ٱلاِعْتِصَامُ وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ تُرْضِهِ ٱلاِنْفِكَاكُ مِنْ عُقْدَتِهَا وَٱلاِنْفِصَامُ. وَأَمَّا امْرَأَتَانِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ٱلْمِحَنِ ٱلْمِتَانِ فَلَيْتَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْوَاحِدَةُ غُلاًّ[23] فَكَيْفَ بِاثْنَتَيْنِ تَتَبَارَيَانِ حَسَداً وَغِلاًّ[24] إِنْ أَتَاهُمَا طَوَالَ ٱلدَّهْرِ بِجِفَانٍ رُذُمٍ[25] تَسِيلُ قَالَتِ ٱلأُولَى : مَا كُنْتُ لأَظْفَرَ بِهَا مِنْكَ لَوْلاَ هَذِهِ وَخَدُّهَا ٱلأَسِيلُ، وَقَالَتِ ٱلأُخْرَى : لاَ بَلْ رَغْبُهُ فِيكَ بِحَقِّ ٱلْقِدَمِ، أَتَانَا بِهَذِهِ ٱلْجِفَانِ ٱلرُّذُمِ، فَلاَ يَطِيبُ لَهُ بَيْنَهُمَا عَيْشٌ وَلاَ يَغِبُّهُ بَيْنَهُمَا سَفَهٌ وَطَيْشٌ، وَإِنَّمَا ٱلنِّسَاءُ حَبَائِلُ[26] ٱلشَّيْطَانِ فَانْتَبِذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ تِلْكَ ٱلأَشْطَانِ، وَإِلاَّ فَلَيْلُكَ وَٱللَّهِ لَيْلُ ٱلتِّمَامِ[27] وَٱلْمَوْلُودُ مِنْهُمَا لاَ يَسُرُّكَ لِتَمَامٍ كَانَ أَوْ لِغَيْرِ تَمَامٍ، وَرُبَّمَا اتَّفَقَتَا عَلَى ٱلتَّنْدِيدِ بِهِ وَٱلْوُقُوعِ فِيهِ فَأَنْشَدَتْ إِحْدَاهُمَا تَعْنِيهِ بِمَا تُغَنِّيهِ :

كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ ... ظَرْفُ[28] عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ[29]

[الرجـز]

---

(20) دنيا : بضم الدال وبكسرها أيضا ومعناها ابن عمك لحا أي رحما أدنى إليك من غيره.

(21) الإني : لحظة، مفرد آناء.

(22) يفريك : يقطعك.

(23) غلا : بضم الغين والغلة والغلل والغليل كلها تعني شدة العطش وحرارته.

(24) الغل : بكسر الغين : الحسد.

(25) رذم : بضم الراء والذال ويقال أيضا بضم الراء وفتح الذال : يعني الجفان المملوءة حتى تسيل.

(26) حبائل : جمع حبالة وهي المصيدة.

(27) ليل التمام : بكسر التاء : أطول ليل في ليالي السنة.

(28) ظرف عجوز : مزودها.

(29) في فصيح ثعلب بتحقيق عاطف مذكور : 314 : «ظرف جراب» وكذا في التلويح في شرح الفصيح : 85 وكذا في حماسة أبي تمام : 622. =

فَتُجِيبُهَا ٱلأُخْرَى تُهِيجُهَا وَتُرِيهَا أَنْ قَدْ وَقَعَ صَغْوُهَا[30] إِلَيْهِ وَتَعْرِيجُهَا :

لَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَه[31] إِذَا رَأَيْتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَه[32]

[الرجز]

وَهَذَا كُلُّهُ ذَرْءٌ مِنَ ٱلْقَوْلِ قَبِيحٌ، وَمَذْهَبٌ عَسَى أَنْ يُذْهِبَ حُوبَهُ اِسْتِغْفَارٌ وَتَسْبِيحٌ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ، وَمَرِّغْ وَجْهَكَ فِي ٱلرَّغَامِ[33] لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ وَعَفِّرْهُ، عَسَاهُ يَمْحُو عَنْكَ مَا ٱكْتَتَبْتَهُ، وَيُعْتِبُكَ بِكَرَمِهِ إِذَا ٱسْتَعْتَبْتَهُ، وَشَرْطُ الإِسْتِيفَاءِ حَمْلٌ عَلَى هَذَا ٱلْجَفَاءِ، فَنَسْأَلُ ٱللَّهَ لِهَذِهِ ٱلْعَثْرَةِ حُسْنَ ٱلإِقَالَةِ، وَنَسْتَوْهِبُهُ سُبْحَانَهُ جَمِيلَ ٱلتَّجَاوُزِ عَنْ طُغْيَانِ ٱلْقَلَمِ فِي هَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ. إِنَّ مَوْلاَكَ ٱلْكَرِيمَ ٱلْحَفِيظَ ٱلرَّفِيقَ خَوَّلَكَ[34] غُلاَماً يَخْبِزُ ٱلرَّقِيقَ[35] وَٱلْغَلِيظَ وَمَا وَٱللَّهِ بِالإِسْتِحْقَاقِ

= بينما ورد الرجز في اللسان [خصا] :

تَقُولُ يَا رَبَّاهُ، يَا رَبِّ هَلِ إِنْ كُنْتَ مِنْ هَذَا مُنَجِّي أَجَلِي

إِمَّا بِتَطْلِيقٍ وَإِمَّا بَارْحَلِي كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ

ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ

ونسب البيت في التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري لسلمى الهذلية مع فارق في رواية الشعر، الورقة : 79 :

تَقُولُ يَا رَبِّي وَيَا رَبِّي هَلِ هَلْ أَنْتَ مِنْ هَذَا مُحَلٌّ أَحْبُلِي

إِمَّا بِتَطْلِيقٍ وَإِلاَّ فَاقْتُلِ أَوِ ارْمِ فِي وَجْعَائِهِ بِدُمَّلِ

كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ

ووقع اختلاف في نسبة البيت فقيل : هو لجندل، ونسب لدكين ونسب أيضا إلى خطام المجاشعي، ونسبه سيبويه إلى بعض السعديين : 177/2 و202.

(30) صغوها : الصغو بفتح الصاد وسكون الغين من الفعل صغا إليه يصغى ويصغو صغوا، بمعنى مال.

(31) محمقة : المرأة التي تلد أولادا حمقى.

(32) البيت منسوب إلى امرأة من الأعراب في الفصيح : 315، وفي التلويح : 85، واللسان [خصا]، وفي التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 80، ويعني البيت : أنها حملت ولدا صغيرا لها وقالت لا أبالي أن ألد الحمقى ماداموا ذكورا.

(33) الرغام : التراب.

(34) خولك : أعطاك.

(35) الغليظ والرقيق : صفتان للخبز.

وَجَدْتَ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْجَرْدَقِ[36] وَٱلرُّقَاقِ[37] وَلَكِنَّهُ سَيْبُ ٱلإِلٰهِ وَفَيْضُ ٱلْجُودِ مِمَّنْ لاَ يُبَالِي بِٱلرُّشْدِ مِنْكَ وَلاَ ٱلسِّفَاهِ، فَجِدَّ فِي خِدْمَتِهِ أَيُّهَا ٱلْحَدَثُ، وَبَادِرْ فَرُبَّمَا عَاجَلَكَ ٱلْمَوْتُ وَٱلْجَدَثُ. لاَ يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ حَدِيثُ ٱلسِّنِّ، فَقَدْ يَذْهَبُ ذُو ٱلشَّبَابِ وَٱلْمَيْعَةِ وَيَبْقَى ٱلْيَفَنُ[38] ذُو ٱلأَدِيمِ ٱلْمُسْتَشِنِّ، وَرُبَّمَا لَحِقَتِ ٱلآفَةُ نُقَاوَةَ[39] ٱلْمَتَاعِ وَبَقِيَتْ بَعْدَ ٱلنُّقَايَةِ ٱلْعَبَايَةُ ٱلَّتِي مَلَّتِ ٱلْقُرُونَ مِنَ ٱلاِنْتِفَاعِ بِهَا وَٱلاِسْتِمْتَاعِ ثُمَّ لاَبُدَّ لِكُلٍّ أَنْ تُؤَدِّيَهُ إِلَى ٱلْفَنَاءِ مَعْدُودَاتُ ٱلأَنْفَاسِ وَٱلآنَاءِ، فَكُنْ لِذَلِكَ عَلَى وَفَزٍ[40]، فَفِي سَيْرِ ٱللَّيَالِي أَيُّ مُنْحَفَزٍ، وَلأَنْ تَكُونَ عَلَى أَوْفَازٍ[41] خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْغَتَكَ ٱلْمَنَايَا بِاسْتِلاَبٍ وَابْتِزَازٍ، وَلَنْ تُوجَدَ ذَا تَحَرُّكٍ لِلإِعْدَادِ وَاهْتِزَازٍ حَتَّى تَكُونَ عَلَى وِفَازٍ، لَكِنِّي وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ بِعَيْبِ نَفْسِي بَصِيرٌ أَرُوضُهَا فَلاَ تَرْتَاضُ وَأَرُوصُهَا لِتَعْتَاضَ مِنْ سُوءِ حَالِهَا بِالإِعْدَادِ لاِرْتِحَالِهَا فَلاَ تَعْتَاضُ، فَكَأَنِّي بِمَا يَعْنِينِي مِنْ مُعَانَاةِ صَلاَحِهَا وَيُعْيِينِي مِنْ مُدَانَاةِ اسْتِصْلاَحِهَا :

أَسُوقُ عَيْراً مَائِلَ ٱلْجِهَازِ[42] صَعْباً يُنَزِّينِي[43] عَلَى أَوْفَازِ[44]

[الرجـــز]

إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا ذَا حِسٍّ فَلاَ تُقِمْ حَائِطَكَ إِلاَّ عَلَى أُسٍّ، فَلاَ ثَبَاتَ لِلْحَائِطِ إِلاَّ بِٱلأَسَاسِ، وَإِنَّمَا ٱلْحَائِطُ دِينُكَ وَٱلأَسَاسُ جِدُّكَ وَصِدْقُكَ وَيَقِينُكَ، لَيْسَ اصْطِلاَحِي فِي هَذَا مِنَ اصْطِلاَحِ ٱلنَّاسِ فَإِنَّهُمْ يَعْنُونَ بِٱلأَسَاسِ ٱلْحِجَارَةَ وَٱلشِّيدَ،

---

(36) الجردق : فارسي معرب يطلق على الخبز المدور الغليظ.

(37) الرقاق : الخبز الرقيق.

(38) اليفن : بفتح الياء والفاء : الشيخ المسن.

(39) نقاوة : بضم النون وكذلك النقاية : خيار المتاع.

(40) وفز : عجلة.

(41) على أوفاز : على غير طمأنينة.

(42) الجهاز : بكسر الجيم وفتحها : متاع البيت والعروس والميت.

(43) ينزيني : يحركني ويرقصني.

(44) البيت لرؤبة بن العجاج كما في التلويح، ص 86، وفي اللسان [وفز] وفي التصريح، الورقة : 81.

وَأَنَا [أَرَى][45] خَيْرَ ٱلأُسُسِ ٱلْمُعْتَقَدَ ٱلسَّدِيدَ وَأَوْثَقَ ٱلْحِيطَانِ ٱلْعَمَلَ ٱلرَّشِيدَ. فَإِذَا سَمِعْتَ دَاعِياً [يَسْأَلُ][46] ٱللَّهَ ٱلدِّينَ ٱلْمَتِينَ فَقُلْ يَا رَبِّ آمِينَ لَهُ وَلِكَافَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَتَأْمِينُكَ هَذَا أَهْدَى مِنْ تَأْمِينِ ٱلْقَائِلِ وَقَدْ جَدَّتْ بِهِ ٱلْقَطِيعَةُ جِدّاً :

تَبَاعَدَ مِنِّي فَطْحَلٌ أَنْ سَأَلْتُهُ ... أَمِينَ فَزَادَ ٱللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْداً[47]

[الطويـل]

وَإِذَا أُشْرِبَ قَلْبُكَ حُبَّ ٱلطَّاعَةِ فَلاَ تَعْدِلْ بِهَا عِلْقاً ثَمِيناً، وَادْعُ فِي ذَلِكَ رَبَّكَ خَاضِعاً مُسْتَكِيناً :

يَا رَبِّ لاَ تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَداً ... وَيَرْحَمُ ٱللَّهُ عَبْداً قَالَ آمِينَا[48]

[البسـيـط]

ثُمَّ اِحْمَدْهُ كَثِيراً حِينَ عَدَلَ بِكَ إِلَى هَذَا ٱلسَّبِيلِ، وَجَعَلَ دَعَوَاتِكَ وَرَغَبَاتِكَ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ لِحُبِّ امْرَأَةٍ مُسْتَدِيمَا، وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حُوباً كَبِيراً وَإِثْماً عَظِيماً، وَلْيُقَدَّرْ أَنَّ تِيكَ[49] ٱلْمَرْأَةَ ٱلَّتِي عَنَاهَا ٱلشَّاعِرُ لَمْ تَكُنْ إِلاَّ إِحْدَى امْرَأَتَيْنِ : إِمَّا حَلاَلٌ لَهُ قُرْبُهَا، وَإِمَّا مَنْ لاَ يُحْجَزُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَارِمِهِ حُبُّهَا، وَأَيَّةً

---

(45) تصحيح فوق السطر، الورقة : 123.

(46) في الأصل [يسل]، الورقة : 123.

(47) ورد الشطر الأول من البيت في الفصيح : 316 «تباعد في فطحل إذ دعوته» وفي اللسان :
مادة [فحطل] بدل من فطحل «تباعد مني فحطل إذ دعوته».
مادة [أمين] «تباعد مني فطحل إذ سألته».
وكذلك في شرح الأشموني : 485/2، الشاهد : 931، وفي التلويح للهروي، ص 86 ورد هكذا : «تباعد مني فحطل وابن أمه». وفي المحكم والصحاح : «تباعد مني فطحل إذ سألته». وفي التصريح للتدميري أشار إلى مختلف هذه الروايات بقوله : «ويروى تباعد مني فطحل وابن أمه ويروى إذ سألته ويروى إذ رأيته»، الورقة : 82 والبيت غير منسوب في الفصيح واللسان وكذلك في التصريح. بينما نسبه الهروي في التلويح إلى «جبير بن الاضبط وكان سأل الأسدي في حمالة فحرمه» وكذا في شرح اللخمي، ص 98.

(48) البيت في اللسان مادة [أمن] منسوب لعمر بن أبي ربيعة وهو غير موجود في ديوانه، ونسبه الهروي في التلويح، ص 86 لقيس العامري قاله في ليلي والبيت في ديوانه، ص 283، وكذلك نسبه ابن هشام اللخمي في شرحه، ص 100 ونسبه أيضا التدميري في التصريح لقيس المجنون، الورقة : 83.

(49) تيك : اسم إشارة للمرأة.

هَاتَيْنِ كَانَتْ فَمَحْبُوبَتُكَ أَزْكَى لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ أَثْراً، وَأَقَرُّ لِعَيْنِكَ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً، فَسُبْحَانَ مُصَرِّفِ ٱلْقُلُوبِ كَيْفَ يَشَاءُ وَمُخْلِي ثُنْدُؤَة[50] ٱلرَّجُلِ مِنْ دَرٍّ يَحْسُنُ بِهِ لِلرَّضِيعِ ٱلِاغْتِذَاءُ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ثُنْدُوَتَهُ لِذَلِكَ مَحَلاً وَأَسْرَارُ ٱلْحِكْمَةِ لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلْعُقُولُ لِعُقُودِهَا حَلاً. إِذَا جِئْتَ مَجْمَعاً فِي إِثْرِ[51] دَاعٍ إِلَى خَيْرٍ فَعَلَى أَثَرِهِ فَامْشِ فَإِنَّ ٱلتَّذْكِرَةَ عَلَى ٱلتَّذْكِرَةِ مُقَوِّيَةٌ نُورَ ٱلْبَصَائِرِ ٱلْعُمْشِ، وَإِنِ اسْتَحْسَنْتَ مِنْ سَيْفِكَ أَثْراً[52] فَلاَ تَجْعَلْ لَهُ فِي غَيْرِ هَامِ ٱلْعِدَى عَثْراً، وَإِنْ فَعَلْتَ إِسْتَفَدْتَ أُثْرَةً مِنْ ذَلِكَ ٱلأُثْرِ، فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَنْ حَالِ ٱلْغُثَاءِ[53] وَٱلْغُثْرِ[54]، وَاسْمَحْ بِمَا أُوتِيتَ مِنَ ٱلْوَفْرِ، فَإِنَّهُ يَزِينُ ٱلْمَرْءَ مَا يَبْذُلُ مِنْ مَوْجُودِهِ وَيَنْثُرُ، كَمَا يَزِينُ ٱلسَّيْفَ ٱلأُثُرُ، وَإِذَا كَانَ ٱلْقَوْمُ لَكَ فِي ٱلدِّينِ أَعْدَاءً فَلاَ تُغِبَّهُمْ رَوَاحاً بِٱلْمَكْرُوهِ وَاغْتِدَاءً، مَا قُعُودُكَ عَنْ عِدَاكَ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ ٱللَّهُ وَهَدَاكَ، عُدَاتُكَ أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ، وَٱلإِيمَانُ لِعَدَاوَةِ ٱلْمُنَافِقِينَ مُثِيرٌ، فَلاَزَالَ بِأَسْنَانِهِمْ حَفْرٌ[55] وَلاَ آلَى ٱلزَّمَانُ فِي أَنْ لاَ يَبْقَى لَهُمْ وَفْرٌ، لاَ بَلْ عَجَّلَ ٱللَّهُ بِهِمْ إِلَى ٱلْحُفَرِ فَهُوَ أَشْفَى فِيهِمْ مِنَ ٱلْحَفَرِ[56]، وَأَفْوَاهُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ هِيَ أَعْضَاءُ ٱلذُّنُوبِ، فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ ٱلْعُقُوبَةَ ٱلْقَاضِيَةَ مِنَ ٱلْمَحَلَّيْنِ حَيْثُ يَكُونُ أَرْضَى لِلْقُلُوبِ وَأَقْضَى لِلْمَطْلُوبِ. دِرْهَمُكَ أَيُّهَا ٱلْمُنَافِقُ زَائِفٌ وَتَحَكُّمُكَ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ[57] حَائِفٌ[58]، وَقَلْبُكَ مَسَّهُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ طَائِفٌ، وَلِلَّهِ فِي أَمْرِهِ لَطَائِفُ، لاَ أَمَانَ لَكَ أَيُّهَا ٱلْخَائِفُ، وَقَدْ ضَاقَتْ عَنْ جُرْمِكَ ٱلصَّحَائِفُ فَبِحَقٍّ مَّا يَعَافُكَ ٱلْعَائِفُ،

---

(50) ثندؤة : وثندوة كلاهما بمعنى مغرز الثدي وأصله، وقيل هما للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(51) إثر : بكسر الهمزة وسكون الثاء وبفتحهما يعني ما يؤثره الماشي وجاء على إثره : جاء بعده.

(52) أثرا : بفتح الهمزة وسكون الثاء : فرند السيف وماء صقالته وكذلك الأثر بضم الهمزة والثاء.

(53) الغثاء : ما يحمله السيل من الزبد والوسخ.

(54) الغثر : جمع مفرده أغثر ومعناها سفلة الناس.

(55) حفر : تآكل الأسنان.

(56) الحفر : أيضا بنفس المعنى ما يحدث من تآكل الأسنان.

(57) المائق : الغادر الناكث للعهد.

(58) حائف : جائر ظالم.

دِرْهَمُكَ ٱلزَّيْفُ أَصْلَحُ مَا عِنْدَكَ، فَلاَ أَوْرَى ٱللَّهُ بِخَيْرٍ زَنْدَكَ لَوْ عُرِضْتَ فِي ٱلسُّوقِ عَلَى مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا تَسْتَبْطِنُهُ مِنَ ٱلْعِصْيَانِ وَٱلْفُسُوقِ لَمَا ٱلْفَيْتَ نَافِقاً وَلاَ وَجَدْتَ مَنْ يَبْذُلُ فِيكَ دَانِقاً[59]، وَبِأَيِّ شَيْءٍ مِنْكَ يَأْنَقُ[60] حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ فِي حَقِّكَ ٱلدَّانِقُ. لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكَ خَاتِمٌ بِأَنَّ لَيْلَ ظَلاَلِكَ عَاتِمٌ، ثُمَّ لاَ فَكَّ لِذَلِكَ ٱلْخَاتَمِ إِلَى سَاعَةِ ٱلْمَأْتَمِ، وَشَرُّ طَابِعٍ يُوضَعُ عَلَى ٱلْمَرْءِ طَابَعٌ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ ٱلْحَالِ وَاسْتِحَالَةِ ٱلْبُرْءِ، فَلَوْ جَزَرَكَ[61] سَيْفُ ٱلْحَقِّ طَابِقاً[62] طَابِقاً لَكَانَ ذَلِكَ لآمَالِ أُولِي ٱلإِيمَانِ مُطَابِقاً وَلِلَّذِي يَفْصِلُ ذَلِكَ ٱلطَّابَقَ فَضِيلَةُ ٱلسَّبْقِ إِنْ سَابَقَ. رُمْتَ ٱلرُّقِيَّ أَيُّهَا ٱلنَّازِلُ وَلاَ مَرْقَى لَكَ فَكَيْفَ وَجَدْتَ وَخْدَكَ وَإِرْقَالَكَ، وَهَلْ أَحْمَدْتَ مُعْتَقَدَكَ فِي ٱلضَّلاَلِ وَمَقَالَكَ، فَلاَ أَقَالَ ٱللَّهُ مَنْ أَقَالَكَ، مَثَلُكَ مَثَلُ ٱلْخُنْفَسَاءِ خِسَّةً وَلَجَاجاً، لاَ بَلِ ٱلْخُنْفَسَةُ فَوْقَكَ قَوْلاً لاَ يَعْدِمُ نَائِلَهُ احْتِجَاجاً. بِفِيكَ ٱلإِثْلِبُ[63]، يَا مَنْ حَاوَلَ مُغَالَبَةَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَغْلِبُ، وَحَظُّكَ ٱلأَثْلَبُ مِنْ كُلِّ مَا تَسَامَى بِكَ إِلَيْهِ ٱلطَّلَبُ، تَفْرِيعُ مِثْلِكَ جِهَادٌ فَلَمْ يُدْخَرْ عَنْهُ اجْتِهَادٌ، وَتَوْبِيخُكَ مُتَأَكِّدُ ٱلْوُجُوبِ، يَا ذَا ٱلْبَصِيرَةِ ٱلْعَمْيَاءِ وَٱلْقَلْبِ ٱلْمَحْجُوبِ، وَأُحَرِّجُ أَعْظَمَ ٱلتَّحْرِيجِ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلاَمِي أَنْ يَعْتَقِدَ فِيهِ بِذَمِيمِ ٱلتَّأْوِيلِ وَٱلتَّخْرِيجِ مَا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى مَلاَمِي فَإِنَّمَا أُخَاطِبُ كُلَّ مَنْ عَدَّ هَذِهِ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَنْقُومَةِ فِي عِدَادِ زَيْنِهِ وَمَا أَقْصِدُ قَصْدَ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ، لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَصَدَعْتُ بِهِ تَصْرِيحاً وَلَتَرَكْتُ ٱلْقِرْطَاسَ بِاسْمِهِ جَرِيحاً، وَقَدْ أَطْلَقَ ٱلرَّسُولُ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ هَذَا ٱلْمُتَصَرَّفَ وَأَمَرَ أَنْ يُصَرَّحَ بِذِكْرِ

---

(59) دانقا : بكسر النون وفتحها عملة تساوي سدس الدرهم.

(60) يأنق : يعجب به.

(61) جزرك : قطعك.

(62) طابق وطابق بكسر الباء وفتحها من معانيها : ظرف يطبخ فيه، والآجر الكبير وبهذا شرحها الهروي في التلويح، ص 87، وشرحها التدميري «الطابق لِنِصْفِ البَدَنِ»، الورقة : 85، وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه أبو الربيع الكلاعي بقوله : «فلو جزرك سيف الحق طابقا..».

(63) الأثلب : بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء وكسر اللام : التراب والحجارة. وبفيك الاثلب : كناية عن الخيبة.

ٱلْفَاجِرِ لِيُعْرَفَ، وَمَا هُنَا غُرْتُ[64] وَلاَ بِهِ فَغَرْتُ[65]، وَإِنَّمَا جَعَلْتُ هَذَا ٱلْكَلاَمَ وَشِبْهَهُ مِمَّا يُسِيءُ ٱلإِيهَامَ وَيُحَرِّكُ ٱلأَوْهَامَ، حَظُّ ٱللِّسَانِ مِنْ جِهَادِ أَقْوَامٍ قَبُحَتْ صِفَاتُهُمْ وَعَظُمَتْ فِي ٱلدِّينِ آفَاتُهُمْ لِتَشْقَى بِوَخْزِهِ بَوَاطِنَهُمْ وَيَبْلُغَهُمْ حَيْثُ كَانَتْ مَوَاطِنُهُمْ فَمَنْ مَيَّزَ مِنْ نَفْسِهِ مُطَابَقَةَ ٱلصِّفَةِ فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ لِي مِمَّنْ عُنِيَ بِهَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ ٱلْمُنْصِفَةِ. ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ بَعْدَ أَنْ قَضَيْنَا فِيهِمْ مَا أَمْكَنَ مِنْ حَقِّ ٱللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ فَنَقُولُ لِمَنْ يَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ جَارِياً فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ عَلَى مَشْرُوعِ ٱلْمَذْهَبِ، لاَ يَجُوزُ لَكَ اتِّخَاذُ ٱلطَّسِّ[66] مِنَ ٱلذَّهَبِ وَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ ٱلسَّرَفِ ٱلَّذِي أَبَاهُ خِيَارُ ٱلسَّلَفِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ آنِيَةِ ٱلذَّهَبِ مَعْلُومٌ، فَمُتَّخِذُ ٱلطَّسَّةِ مِنْهُ لاَ مَحَالَةَ مَلُومٌ، بِحَسْبِنَا ٱلشَّبَهُ[67] وَٱلصُّفْرُ[68] وَلَوْ كَثُرَتِ ٱلْجِدَةُ وَعَظُمَ ٱلْوَفْرُ وَٱللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَاهُ مِنَ ٱلْفَخَّارِ لَكَانَ أَدْخَلَ فِي بَابِ ٱلْفَخَارِ، فَلاَ فَخْرَ إِلاَّ بِمَا كَانَ أَجْرَى عَلَى سَنَنِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ، وَلاَ خَيْرَ بِخَيْرٍ يُؤَدِّي بِمُؤْثِرِهِ إِلَى ٱلنَّارِ [فَحَذَارِ][69] عِبَادَ ٱللَّهِ مِنْ تَنَكُّبِ سُبُلِ ٱللَّهِ، وَتَعَدِّي حُدُودَ ٱللَّهِ حَذَارِ. وَيَا أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّونَ بِهَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلْعَامِلُونَ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلتَّأْخِيرِ وَٱلإِنْظَارِ[70]، ٱلآمِلُونَ آمَالَ ٱلأَغْمَارِ[71]، وَقَدْ مَضَتْ أَطَايِبُ ٱلأَعْمَارِ، مَا عُذْرُكُمْ وَعِمَامَةُ ٱلْمَشِيبِ نَاصِعَةُ ٱلْبَيَاضِ وَعَلاَمَةُ ٱلرَّحِيلِ ظَاهِرَةُ ٱلأَعْرَاضِ، وَإِلْمَامَةُ ٱلْمَنُونِ مُتَيَقَّنَةُ ٱلإِعْتِرَاضِ، هَلْ عِنْدَكُمْ فِي ٱلْفَنَاءِ مِرْيَةٌ[72] أَوْ هَلْ وَرَاءَ عَبَّادَانِ[73] قَرْيَةٌ،

(64) غرت : من الفعل غار يغور إذا بلغ غور الشيء أي عمقه.

(65) فغرت : فتحت فمي.

(66) الطس : بمعنى الطست، الآنية.

(67) الشبه : ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر فسمي بالشبه لشبهه بالذهب. ويطلق أيضا على نوع من الشجر.

(68) الصفر : نوع من النحاس.

(69) في الأصل مطموسة الفاء والحاء، الورقة : 135.

(70) الإنظار : التأجيل.

(71) الأغمار : جمع غمر بضم الغين : الجاهلون الذين لم تحنكهم التجارب.

(72) مرية : شك وريبة.

(73) عبادان : في جزيرة بين النهرين المنقسمين من دجلة تحت البصرة، معجم البلدان : 4/74.

عَذَرْتُكُمْ إِذْ عُذْرُكُمْ أَشَدُّ سَوَاداً مِنْ حَلَكِ ٱلْغُرَابِ أَوْ لَمْ تَفْقِدُوا فِي مَاضِي أَعْمَارِكُمْ أَحَداً مِنَ ٱلأَتْرَابِ وَأَمَّا وَٱلأَمْرُ بِخِلاَفِ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعُدُّوا كَمْ شَاهَدْتُمْ مِنْ هَالِكٍ عِذَارُهُ أَسْوَدُ حَالِكٌ، فَمَاذَا ٱلَّذِي يَغُرُّكُمْ فِي ٱلإِهْمَالِ، أَوْ مَاذَا ٱلَّذِي يَحْمِلُكُمْ عَلَى مَدِّ ظِلاَلِ ٱلآمَالِ، وَقَدْ ذَهَبَتِ ٱلسِّنُونَ وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ وَسْمُ ٱلْمَنُونِ وَلَعَلَّ نُونَهُ[74] هِيَ ٱلْعَاقِبَةُ لِلاَمِ حَلَكٍ وَحَالِكٍ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَهُ أَيْضاً بِٱلنُّونِ، سَلِّمُوا ٱلأَمْرَ وَاسْتَسْلِمُوا وَاعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَا قُلْتُ لَكُمْ وَأَعْلِمُوا وَارْتَقِبُوا وَقْعَ ٱلْقَدَرِ فَلاَ تَدْرُونَ مَتَى يَكُونُ وَلاَ يَكُنْ لَكُمْ إِلَى ٱلْفِرْقَةِ ٱلْقَدَرِيَّةِ[75] رُكُونٌ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَعُمَّ أَحَدَكُمُ ٱلْجُذَرِيُّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُرَى وَهُوَ قَدَرِيٌّ، فَإِنَّ ٱلْجَدَرِيَّ يُوشِكُ أَنْ يَبْرَأَ وَٱلْقَدَرِيَّ لاَبُدَّ أَنْ يُؤَاخَذَ عِنْدَ ٱللَّهِ بِمَا افْتَرَى وَاجْتَرَأَ، فَمَا لِعِلَّتِهِ إِفَاقَةٌ، وَلاَ لأَحَدٍ بِأُخْذَةِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ طَاقَةٌ.

تَعَلَّمْتُ ٱلْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْطَعَ سُرُّكَ[76]، فَلاَ يَزِغْ عَنْ حُسْنِ ٱلْقَبُولِ مِنِّي سِرُّكَ، وَلَوْ تَذْكُرُ مَنْ حَضَرَكَ يَوْمَ قُطِعَتْ سِرَرُكَ لأَجْدَى عَلَيْكَ اعْتِبَارُكَ بِفَنَائِهِمْ وَتَذَكُّرُكَ، وَكَمْ ذِي سُرَّةٍ سِوَاكَ مَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهُمُ ٱلرَّضَاعَ فَضْلاً أَنْ يَبْلُغَ ٱلاِحْتِنَاكَ[77]، سَيْفُ ٱلْمَنَايَا ضَارِبٌ أَمَامَكَ وَخَلْفَكَ فَكَيْفَ تَأْمَنُ حَتْفَكَ، وَلاَبُدَّ يَوْماً مِنْ وَقْعِ ذَلِكَ ٱلسَّيْفِ حُكْماً لِرَبِّكَ لَيْسَ بِٱلْحَيْفِ، تَاللَّهِ يَبْقَى عَلَى ٱلأَرْضِ مُتَنَفِّسٌ[78]، وَمَا يَسُرُّنِي بِمَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا ٱلأَمْرِ مُنْفِسٌ[79] رَجَاءَ أَنْ آمَنَ بِٱلْعِلْمِ غَائِلَةَ ٱلْغُرُورِ، فَلاَ أُسَرُّ بِمَا لاَ نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلسُّرُورِ، وَمَا سُرُورِي بِعِلْقٍ

---

(74) نون : ويقصد حرف النون لأنه يقال حلك الغرب وحنك الغراب وهو أسود حالك وحانك. الفصيح : 317، التلويح : 88، التصريح، الورقة : 85.

(75) القدرية : بفتح الدال هم الذين ينكرون أن الله قدر على عباده الطاعات والمعاصي والأعمال، ويعتقدون أنهم هم الذين قدروها وفعلوها كما أحبوا، فأضافوا القدر إلى أنفسهم فنسبوا إليه.

(76) سرك : بضم السين والراء المضعفة : ما تقطعه المولدة من الحبل السري، وكذلك سررك بكسر السين وفتح الراء. والسرة بضم السين المضعفة وفتح الراء ما يبقى في بطن الوليد.

(77) الاحتناك : من حنكته التجارب إذا هذبته.

(78) متنفس : كل ما فيه نفس.

(79) منفس : مال كثير.

نَفِيسٍ[80] مَعَ عِلْمِي أَنْ لاَ بَقَاءَ لِمَنْفُوسٍ[81] أَوْ مَا ارْتِيَاحِي لِمُفْرَحٍ وَكُلُّ مَفْرُوحٍ بِهِ بَيْنَ غَادٍ وَمُتَرَوِّحٍ، ٱلْمَاءُ ٱلْعَذْبُ مَتَى ذَكَرْتَ هَذَا شِرِّيبٌ[82]، هَلْ بَقِيَ لَكَ فِي حَالِ دُنْيَاكَ شَكٌّ مُرِيبٌ وَقَدْ كَانَ يُقْنِعُنَا وَيَنْقَعُنَا[83] ٱلشَّرُوبُ، لَوْ لَمْ يَغُلَّ[84] شُرُوقَنَا ٱلْغُرُوبُ. كَمْ ذَاهِلٍ عَنْ هَذِهِ ٱلْغَايَةِ ٱلَّتِي حَقُّ ٱللَّبِيبِ أَنْ يَحْذَرَهَا، يَأْكُلُ خِلَلَهُ[85] مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْذَرَهَا[86]، وَلَوْ أَنَّهُ عَلِيمٌ لَرَأَى أَنَّ ٱلَّذِي يَأْكُلُ خُلاَلَتَهُ لَئِيمٌ، وَقَدْ أَمْلَيْتُ ٱلْكِتَابَ وَمَنْ لِي أَنْ أُمْلِيَ ٱلصَّوَابَ أَمْلَلْتُ[87] فَهَلْ أَخْلَلْتُ وَلاَ نُكْرَ حِينَ أَمِلُّ أَنْ أَكُونَ أُخِلُّ وَلَيْتَ ٱلْخَطَأَ مِنِّي يَقِلُّ، وَإِنِّي لأَكْتُبُ أَحْيَاناً فَأُسْقِطُ، وَلاَ تَعْدَمُ ٱلسَّقْطَةَ مَنْ يَنْتَقِدُ، كَمَا لاَ تَعْدَمُ ٱلسَّاقِطَةُ مَنْ يَلْتَقِطُ، وَأَعُوذُ بِٱللَّهِ بَعْدُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[88].

---

(80) نفيس : غال.

(81) منفوس : مولود.

(82) شريب : وشروب بمعنى واحد.

(83) ينقعنا : يروينا.

(84) يغل : يعطي غلة.

(85) خلله : وخلالته وهي ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل.

(86) يقذرها : يجدها قذرة.

(87) أمللت وأمليت لغتان جيدتان جاء بهما القرآن في قوله تعالى في الآية 5 من سورة الفرقان : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾. والشاهد الثاني في قوله تعالى في الآية 282 من سورة البقرة : ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ﴾.

(88) الآية 78 من سورة البقرة.

30 ـــ بَابُ حُرُوفٍ مُنْفَرِدَةٍ

إِنَّمَا ٱلنَّاسُ لِلْمَنَايَا نُهبٌ، وَلَيْسَ لِحَيٍّ عَنِ ٱلْمَوْتِ مَذْهَبٌ، إِنَّهُ لاَبُدَّ آخِذٌ مِنْكَ نُهْبَتَهُ، فَهَلْ أَخَذْتَ لِذَلِكَ ٱلأَمْرِ أُهْبَتَهُ، وَادِّخَارُ صَالِحِ ٱلأَعْمَالِ مِنْ خَيْرِ مَا يُعَدُّ لِلْمَآلِ، فَإِنْ أَبَيْتَ يَا هَذَا أَنْ تَدَّخِرَ فَأَبْعَدَ ٱللَّهُ ٱلأَخِرَ[1]، ٱلْجَوُّ مُنْتِنٌ بِدَفَرٍ مَا تَأْتِيهِ فَمَا هَذَا ٱلإِيعَادُ فِي بَيْدَاءِ ٱلتِّيهِ، إِحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ كَحَلْقَةِ ٱلْحَدِيدِ لاَ يُذِيبُهَا إِلاَّ ٱلنَّارُ، وَاحْضُرْ حَلْقَةَ ٱلذِّكْرِ فَرُبَّمَا أَلاَنَ ٱلْقُلُوبَ ٱلْقَاسِيَةَ ٱلتِّذْكَارُ، وَتَرَدَّدْ عَلَى ٱلْمَقَابِرِ زَائِراً فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ ٱلآخِرَةَ، وَانْظُرْ يَمْنَةً وَشَأْمَةً[2] هَلْ تَسْمَعُ رِكْزاً[3] أَوْ نَأْمَةً[4] لِتِلْكَ ٱلْعِظَامِ ٱلنَّاخِرَةِ، فَإِنْ وَجَدْتَ ٱلْقَسَاوَةَ بَعْدَ ٱلتَّرَدُّدِ بَاقِيَةً فَأَيْقِنْ أَنَّ دِرْهَمَكَ بَهْرَجٌ[5]، وَأَشْفِقْ مِنْ أَنْ لَيْسَ لِلْخَيْرِ عَلَيْكَ مُعَرَّجٌ، وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ، وَإِهْمَالُكَ رَوَاحَكَ وَمَغْدَاكَ، تَرْفِضُ مُهِمَّ أَمْرِكَ وَتَقْطَعُ فِي غَيْرِ طَائِلٍ مَسَافَةَ عُمْرِكَ، فَوَيْلٌ لَكَ مِنْ هِمَّةٍ عَلَيْكَ جَانِيَةٍ مُقْتَصِرَةٍ عَلَى مَثَلٍ : إِنَّ ٱلثَّوْبَ سَبْعٌ فِي ثَمَانِيَةٍ[6] تَنْظُرُ هَلْ يَتَأَتَّى مِنْهُ لِظَعِينَتِكَ دِرْعٌ كَاسٍ يُجَمِّلُهَا فِي خِلْعٍ وَلِبَاسٍ، وَدِرْعُ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُعَدَّةِ عِنْدَكَ لِيَوْمِ بَأْسٍ مَا عَلَيْكَ فِي إِهْمَالِهَا مِنْ بَأْسٍ وَأَهَمُّ

---

(1) ٱلأَخِر : بفتح الهمزة وقصرها مع كسر الخاء : كلمة تقال عند حكاية قول أحد المتلاعنين للآخر أبعده الله.

(2) شأمة : من اليد الشؤمى وهي اليسار، ويكنة وشأمة تعني يمينا وشمالا.

(3) رِكزا : بكسر الراء : الصوت الخفي.

(4) نأمة : الصوت.

(5) بهرج : رديء.

(6) إن الثوب سبع في ثمانية : يعني أن طول الثوب سبع أذرع ـــ لأن الذراع مؤنث ـــ وعرضه ثمانية أشبار، لأن الشبر مذكر.

مِنْ ذَلِكَ ٱلْجُنَّةُ(7) ٱلحَصِينَةُ مِنَ ٱلأَعْمَالِ، لاَ تَخْطِرُ لَكَ بِبَالٍ وَتَقُولُ لاَهِياً عِنْدِي زَوْجَانِ مِنَ ٱلحَمَامِ وَلاَ تُفَكِّرُ فِيمَا تَرْتَقِبُهُ مِنْ [جَائِي](8) ٱلْحِمَامِ، فَمَذَا وَيْحَكَ تَنْتَظِرُ أَمْ بِأَيِّ عُذْرٍ تَعْتَذِرُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلعَجْزَ لاَ يَقُودُ خَيْراً وَلاَ يَذُودُ ضَيْراً، لَوْ جَثَمَتْ بِوَكْرِهَا ٱلْقَارِيَةُ(9) لأَوْشَكَ أَنْ تَمُوتَ سَغَباً(10)، وَلَوْ لَمْ تَسِرْ طَائِرَةً لَمَا تَيَمَّنَتِ ٱلْعَرَبُ بِٱلْقَوَارِي إِذَا اسْتَقْبَلَتْ مَذْهَبَهَا، لاَ يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى حَالٍ، أَيْنَ ٱلْمُسَوِّدَةُ(11) وَٱلْمُبَيِّضَةُ(12) جَدَّ بِهِمْ مَعَ ٱلْمُحَمِّرَةِ(13) جِدُّ ٱلتَّرْحَالِ، مَضَى عَامٌ أَوَّلُ وَجَاءَكَ ثَانٍ فَعَلاَمَ ٱلْمُعَوَّلُ، وَمَنْ لَكَ عَاماً قَائِلاً أَنْ يَكُونَ عَامَ ٱلأَوَّلِ قَائِلاً، نِعْمَ ٱلْمَكَانُ ٱلْمُعَسْكَرُ إِنْ تُجُنِّبَ فِيهِ مَا يُنْكَرُ، فَإِذَا كُنْتَ فِيهِ فَوَفِّ ٱلْجِهَادَ حَقَّهُ فَلاَ جِهَادَ لِمَنْ لاَ يُوَفِّيهِ، وَاجْهَدْ أَبَداً أَنْ تَشْكُرَ ٱلْمَعْرُوفَ لأَهْلِيهِ، وَلاَ تَكُنْ لِشُكْرِ ٱلْمُنْعِمِ ذَا مَلَّةٍ(14) وَلَوْ لَمْ يُطْعِمْكَ إِلاَّ خُبْزَ مَلَّةٍ(15)، فَمَا أَوْلاَكَ قَلِيلاً مَنْ أَطْعَمَكَ عَلَى سَغَبٍ خُبْزَةً مَلِيلاً، وَتَعَوَّذْ بِٱللَّهِ مِنْ سُوءِ أَثَرِ ٱلْخُلَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا تُسِفُّ حَامِلَهَا مِثْلَ ٱلْمَلَّةِ، وَلاَ تُبَالِ بِمَا يَقُولُ ذُو ٱلإِحَنِ فَٱلْحُرُّ بِٱلأَرْذَالِ مُمْتَحَنٌ، قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ(16) آدَرُ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكَمِ افْتَرَى

---

(7) الجُنة : بضم الجيم : ما وارى الشخص من السلاح، وتطلق في معناها العام على السترة.

(8) في الأصل (جاي]، الورقة : 136.

(9) القارية : بتخفيف الراء والياء طائر قصير الرجل طويل المنقار أخضر الظهر، والعرب تتيمن به وتتشاءم، فالأول قول النابغة :

فَلاَزَالَ يَسْقِيهَا وَيَسْقِي بِلاَدَهَا   مِنَ ٱلْمُزْنِ رَجَّافٌ يَسُوقُ ٱلْقَوَارِيَا

وأما تشاؤمهم بها فمن قول الشاعر :

أَمِنْ تَرْجِيعِ قَارِيَةٍ رَمَيْتُمْ   سَبَايَاكُمْ وَأُبْتُمْ بِٱلْعَنَاقِ

(10) سغبا : جوعا.

(11)(12)(13) المسودة والمبيضة والمحمرة هم الذين يرتدون هذه الألوان من الأمراء والجند وأعوان الشرطة، وقيل هم المحاربون يتخذون هذه الألوان شعارا لهم وعلامة مميزة.

(14) ملة : اسم مرة من الفعل مل بمعنى سئم.

(15) خبز ملة : الملة هي الرماد والتراب الحار، وخبز ملة خبز طبخ على هذا الرماد الحار ويقال له أيضا مليلا.

(16) آدر : صفة للرجل يكون عظيم الخصية. وقد أشار أبو الربيع إلى ما ورد في الحديث : «إن=

ٱلْمُبْطِلُونَ عَلَى أَنْبِيَاءِ ٱللَّهِ وَأَحَالُوا، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ، وَمَا يَنْبَغِي لِلَّبِيبِ أَنْ يُبَالِي بِٱلأَغْبِيَاءِ، إِنَّ قَازُوزَةَ[17] ٱلشَّرَابِ وَإِنْ تَكَفَّلَتْ بِعَاجِلِ ٱلإِطْرَابِ فَعَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرٌ، وَسَبِيلُ مُدْمِنِهَا عُدْمٌ وَعُسْرٌ، فَحَذَارِ مِنْ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ وَاعْتَبِرْ بِمَا جَنَتِ ٱلْقَاقُوزَةُ عَلَى ٱلْقَائِلِ مِنْ أُولَئِكَ ٱلْفَرِيقِ :

أَفْنَى تِلاَدِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ قَرْعُ ٱلْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ ٱلأَبَارِيقِ[18]

[البسيط]

هَذِهِ جِنَايَتُهَا فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْمَالِ، فَكَيْفَ غَايَتُهَا فِي ٱلْمَآلِ وَكِلاَ ٱلأَمْرَيْنِ شَدِيدٌ، وَلَكِنْ بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ، لاَ تَنْظُرْ إِلَى أَخِيكَ ٱلْمُسْلِمِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي شَيْنِكَ، إِنَّمَا هُوَ أَخُوكَ حَقُّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ فَانْظُرْ إِلَيْهِ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ بِهَا إِلَيْكَ، آثِرِ ٱلْعَاطِشَ بِجَرْعَةِ ٱلْمَاءِ فَإِنَّ ٱلأَجْرَ عَظِيمٌ فِي إِرْوَاءِ ٱلظَّمَاءِ، فَبَادِرْ بِهَا إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَلَوْ لَمْ تَمْلِكْ غَيْرَ تِلْكَ ٱلْجَرْعَةِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ ٱلْحُبُّ[19] مَلآنَ مَاءً وَٱلْجَرَّةُ مَلأَى فَاحْذَرْ أَنْ تَمْنَعَهُ[20] فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْعَدُ لَكَ

= بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدر من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده». وقد برأه الله تعالى في قوله الآية 69 من سورة الأحزاب : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾.

(17) قازوزة : ويقال لها أيضا القاقوزة : وهي إناء لشرب الخمر.

(18) البيت للأقيشر الأسدي وهو المغيرة بن الأسود بن وهب، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر. شاعر إسلامي كنيته : أبو معرض. أما الاقيشر فلقب غلب عليه، كان صاحب شراب وتتمة البيت :

كَأَنَّهُنَّ وَأَيْدِي ٱلْقَوْمِ مُعْمِلَةٌ إِذَا تَلأْلأْنَ فِي أَيْدِي ٱلْغَرَانِيقِ

بَنَاتُ مَاءٍ مَعاً بِيضٌ جَنَاجِنُهَا حُمْرٌ مَنَاقِرُهَا صُفْرُ ٱلْحَمَالِيقِ

هِيَ ٱللَّذَاذَةُ مَا لَمْ تَأْتِ مَنْقَصَةً أَوْ تَرْمِ فِيهَا بِسَهْمِ ٱلسَّاقِطِ ٱلْفُوقِ

الشعر والشعراء، ص 465، وفي **إصلاح المنطق** غير منسوب، ص 338، وفي **شواهد المغني** : 936 روى أفواه بالرفع على أنها فاعل للمصدر مع التمكن من النصب على المفعولية. انظر أيضا **أوضح المسالك**، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد : 244/2، **والتصريح** للتدميري، الورقة : 89.

(19) الحُب : بضم الحاء : الجرة العظيمة. ووردت الكلمة في الفصيح الجب بالجيم وكذا في التلويح، ص 92. أما في التصريح للتدميري فهي بالحاء، الورقة : 89. وكذا في شرح ابن هشام بالحاء، ص 111.

(20) هكذا وردت في المخطوط بالسكون فوق العين وَكَتَبَ الناسخ فوقها كذا، الورقة : 136.

عَنِ ٱللَّهِ وَٱلْنَّأى، وَإِذَا كَانَ فَضْلُ ٱلْمَاءِ مَحْظُوراً مَنْعُهُ لِتَمْنَعَ بِهِ ٱلْكَلأُ فَكَيْفَ تَرَاهُ يَكُونُ إِذْ تُرْوِي بِهِ ٱلظِّمَاءَ، فَاغْتَنِمْ فُرَصَ ٱلإِمْكَانِ، فَمَا كُلَّ حِينٍ تَجِدُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى [ٱلإِحْسَانِ][21] وَنَوَائِبُ ٱلأَيَّامِ عَلَى ذِي ٱلْمَقْدِرَةِ أَعْدَى[22] مِنَ ٱلصَّوْلَجَانِ عَلَى ٱلْكُرَةِ يَضْرِبُهَا فَلاَ يَتْرُكُ وَيُنَزِّيهَا فَلاَ تَسْتَمْسِكُ، كَذَلِكَ عَوَارِضُ ٱلأَقْدَارِ إِذَا أَرْسَلَهَا ٱللَّهُ عَلَى ذِي ٱلْمَقْدُرَةِ أَوْ ذِي ٱلْمِقْدَارِ تَرَكَتْهُ كَأَنْ لَيْسَ إِنْسَاناً وَلَمْ تَدَعْ لَهُ مِعْوَزاً[23] وَلاَ طَيْلَسَاناً[24] وَرُبَّمَا اِضْطَرَّهُ أَثَرُ حَرْبِهَا ٱلزَّبُونِ[25] وَرَحَاهَا ٱلطَّحُونِ مِنْ صَالِحَةِ ٱلْمَغْرِبِ إِلَى ٱلسَّيْلَحُونِ[26] إِنَّ لِلَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ أَسْبَاباً عَجِيبَةَ ٱلتَّأْثِيرِ، أَوَ لَمْ تَرَ ٱلتُّوتَ مَادَّةً لِلْحَرِيرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ كَسَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْوَرَقِ نَفِيسَ ٱلسُّنْدُسِ وَٱلإِسْتَبْرَقِ إِنَّ رَبَّنَا لَحَكِيمٌ قَدِيرٌ، جَهِلَ ٱلنَّاسُ أَنْ قَدْ أُحْكِمَ ٱلْمَقْدُورُ، فَكَرِهُوا يَوْمَ ٱلأَرْبِعَاءِ[27] وَخُصُوصاً مَا لاَ يَدُورُ، وَإِنَّمَا ٱلأَيَّامُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ فَرَغَ سُبْحَانَهُ مِمَّا دَقَّ مِنَ ٱلأَقْدَارِ وَجَلَّ فَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ، وَلاَ تَسْمَعْ كُلَّ أَقْوَالِ ٱلْقَائِلِينَ. أُسْرُ[28] عَنْ قَلْبِكَ بِٱلتَّذْكِرَةِ حِجَابَ ٱلرَّيْنِ[29] وَٱنْظُرْ كَيْفَ أَجْرَى رَبُّكَ عَلَى ٱلْبَسِيطَةِ بَحْرَيْنِ مِنْهُمَا سَاكِنٌ وَمُهْتَاجٌ، ﴿هَذَا عَذْبٌ

---

(21) الإحسان تصحيح من هامش الورقة : 136.

(22) وردت الكلمة مكررة مرتين في الأصل، الورقة : 136 : «ونوائب الأيام أعدى على ذي المقدرة أعدى من الصولجان».

(23) معوز : خرقة يلف بها الصبي، جمعها معاوز.

(24) طيلسان : ضرب من الأكسية.

(25) الزبون : الحرب الزبون التي تزبن الناس أي تصدمهم وتدفعهم.

(26) السيلحون : مدينة تقع بين الكوفة والقادسية تبعد عن بغداد بثلاثة فراسخ كان بها قوم مسلحون تابعون لكسرى، **معجم البلدان** : 298/3.

(27) في الحديث النبوي : «.. واحتجموا يوم الاثنين فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء». أنظر **سلسلة الأحاديث الصحيحة** لمحمد ناصر الدين الألباني : 404/2.

(28) أسر : فعل أمر من سرى بمعنى كشف ونزع.

(29) الرين : ما يسودّ منه القلب من الذنوب.

فُرَاتٌ [سَائِغٌ شَرَابُهُ][30] وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[31]، وَمِنْ مَطَاعِمِهِ ٱلسَّمَكُ ٱلْمَمْلُوحُ وَفِيهِ لِبَعْضِ ٱلطَّاعِمِينَ صُلُوحٌ، وَنِعْمَ غِذَاءُ ٱلصَّحِيحِ حَدِيثُ ٱلسَّمَكِ ٱلْمَلِيحِ، فَفِيهِ لِلشَّهْوَةِ تَنْبِيهٌ، وَمَا لَهُ فِي ٱلْمَطَاعِمِ شَبِيهٌ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. قُلْ لِشَآمٍ[32] وَيَمَانٍ لَسْتُمَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ فِي أَمَانٍ، كَمْ لِقَوْسِ ٱلْمَنِيَّةِ مِنْ سِهَامٍ لاَ يَنْجُو مِنْهَا نَجْدِيٌّ وَلاَ تَهَامٍ[33] فَكُنْ مِنَ ٱلْفِرَاقِ عَلَى يَقِينٍ أَجَلُّكَ مَنْ فَعَلَ ٱلْخَيْرَ مِنْ أَجْلِكَ فَأَنْعِمْ لَهُ مِنْ سَجْلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِعَيْنِ ٱلتَّجِلَّةِ يَرَاكَ لَمَا تَكَلَّفَ ٱلْخَيْرَ مِنْ جَرَّاكَ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ، رُبَّ مُقْبِلٍ مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ[34] أَتَاهُ وَقَدْ عَبَرَ دِجْلَةَ مَقْدُورُ ٱلْحَيْنِ بِأَسْوَدَ[35] سَالِخٍ[36] يَسْتَتْبِعُ أَسْوَدَةً[37] أَفَاتَ نَفْسَهُ بِمَا لَمْ تَكُنْ مُتَعَوَّدَةً وَكُلُّ ذَلِكَ لاَ يَكُفُّ غُلَوَاءَ ٱلْبَاقِي وَلاَ يُبَالِي بِمَنْ أُصِيبَ إِذَا وَقَتْهُ ٱلأَوَاقِي، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ذُهُولُهُ عَنِ ٱلأَمَدِ وَاسْتِقْصَارُهُ فِي كَنَفِ ٱلْعَافِيَةِ طَوَائِلَ ٱلْمُدَدِ وَاعْتِدَادُهُ أَيَّاماً مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّنِينِ ذَوَاتِ ٱلْعَدَدِ كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ مَا آنَ أَوْ كَأَنَّمَا قَدَّ سَيْرَهُ ٱلآنَ، فَلَوْ سُئِلْتَ أَيُّهَا ٱلذَّاهِلُ وَقَدِ اضْطَرَّتْكَ إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْمَنَاهِلُ. مَتَى جَاءَكَ ٱلنَّذِيرُ وَمُنْذُ كَمْ ذَوَى غُصْنُ شَبَابِكَ ٱلنَّضِيرُ لَقُلْتَ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْكَ مِنْ ذُهُولِ ٱلنَّفْسِ لَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْسِ أَوْ أَوَّلَ [مِنْ][38] أَمْسِ، فَإِذَا ضُيِّقَتْ عَلَيْكَ

(30) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 137.

(31) الآية 12 من سورة فاطر.

(32) لشآم ويمان : لرجل أو شخص من الشام ومن اليمن.

(33) نجدي : نسبة إلى نجد، وتهام نسبة إلى تهامة.

(34) رأس عين : تقدم تعريفها ص ، مدينة كبيرة ومشهورة من مدن الجزيرة. معجم البلدان : 13/3. وجاءت في الشعر معرفة بالألف واللام. قال المخبل السعدي يهجو الزبرقان ابن بدر لما أهدر دم هَزَّال ثم عاد فزوجه أخته خليدة :

وَأَنْكَحْتَ هَزَّالاً خُلَيْدَةَ بَعْدَمَا ... زَعَمْتَ بِرَأْسِ ٱلْعَيْنِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ

التصريح للتدميري، الورقة : 95.

(35) أسود : نوع من الحيات يطلق على المذكر منها.

(36) سالخ : صفة للحية.

(37) أسودة : مؤنث أسود : ضرب من الحيات.

(38) [من] تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 137.

بِٱلإِنْكَارِ ٱلْمَسَالِكُ قُلْتَ مُذْ أَوَّلِ مِنْ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ وَلاَ تُجَاوِزْ[39] ذَلِكَ، هَيْهَاتَ طَابَ لَكَ ٱلْمَقِيلُ فِي ظِلِّ دَوْحَةِ ٱلْحَيَاةِ وَأَذْهَلَكَ اسْتِصْحَابُ أَحْوَالِكَ ٱلْمَاضِيَاتِ فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا أُخْرِجْتَ عَنْ ذَلِكَ ٱلْمَقِيلِ وَأُسْلِمْتَ لِحُفْرَةٍ يَؤُودُكَ وَقْعُ رَدْمِهَا ٱلثَّقِيلِ :

فَلاَ ٱلظِّلُّ مِنْ بَرْدِ ٱلضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلاَ ٱلْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ ٱلْعَشِيِّ تَذُوقُ[40]

[الطويـل]

فَكِّرْ فِي أَحْوَالِكَ وَاعْتَبِرْ أَبداً مُسْتَعْمَلاَتِ أَقْوَالِكَ، فَإِذَا قُلْتَ لِلأَمَةِ تَشْتِمُهَا يَا لَكَاعِ[41] يَا غَدَارِ، فَاعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ أَوْلَى بِٱلتَّعْنِيفِ وَٱلإِنْكَارِ، وَأَحَقُّ بِٱلْفُحْشِ عَلَيْهَا وَٱلإِهْجَارِ، وَإِذَا نَادَيْتَهَا يَا خَبَاثِ[42] يَا فَجَارِ، فَأَشْعِرْ نَفْسَكَ حُسْنَ ٱلإِنْتِهَاءِ وَٱلإِزْدِجَارِ، فَتِلْكَ خَلاَّتٌ مَوْجُودَةٌ فِيكَ فَاسْتَحْيِ مِنْ أَنْ تَقُولَهَا لِغَيْرِكَ بِفِيكَ، يَا لُكَعُ يَا غُدَرُ ٱللَّهُ عَلَيْكَ أَقْدَرُ يَا فُسَقُ يَا خُبَثُ أُذْكُرْ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ٱلضُّلُوعُ وَتَضُمُّهُ هَذِهِ ٱلْجُثَثُ إِذَا قِيلَ لَكَ أُدْنُ فَتَغَدَّ أَوْ تَعَشَّ وَشعَرْتَ فِي ٱلطَّعَامِ بِغِشٍّ فَقُلْ مَا بِي تَغَدٍّ أَوْ مَا بِي تَعَشٌّ، فَمِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تَنْكَلَ وَتَقُولَ مَا بِي أَكْلٌ إِذَا أُمِرْتَ أَنْ تَأْكُلَ. كَمْ مُودٍ بِأَنْ قِيلَ لَهُ اِطْعَمْ فَطَعِمَ أَوِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ، طَاوَعَ فِي ذَلِكَ أَجَلَهُ ٱلْمُقْتَرِبَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَنِيَّتِهِ قُرْبٌ لَيَسَّرَ إِلَى أَنْ يَقُولَ

---

(39) يقصد أبو الربيع أن هذا التعبير [أول من أول من أمس] يستعمل للدلالة على يومين قبل إمس ولا يتجاوز هذا الحد.

(40) البيت لحميد بن ثور الهلالي، وهو شاعر مخضرم أسلم ومات في خلافة عثمان. والبيت من قصيده مطلعها : الديوان 40

نَـأَتْ أُمُّ عَمْـرٍو فَٱلْفُـؤَادُ مَشُوقُ يَحِـنُّ إِلَيْهَـا وَالِهـاً وَيَتُـوقُ

والبيت موصول قبله وهو في الغزل. كنى عن المرأة بالشجرة لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن ذكر النساء في الشعر :

وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنَ ٱلسَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَيَّ طَرِيـقُ
أَبَى ٱللَّهُ إِلاَّ أَنَّ سَرْحَةَ مَـالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْنَانِ ٱلْـعِضَاهِ تَـرُوقُ
فَلاَ ٱلظِّلُّ مِنْ بَرْدِ ٱلضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلاَ ٱلْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ ٱلْعَشِيِّ تَـذُوقُ

(41) اسم مؤنث معدول في حال النداء عن اللكعاء وهي صفة للوسخ واللؤم والذل.

(42) غدار وخباث، فجار أسماء معدولة في حال النداء عن الغادرة والخبيثة والفاجرة.

مَا بِي طُعْمٌ أَوْ مَا بِي شُرْبٌ. لاَ تَغْتَرَّ بِفَسَادِ ٱلْعَمَلِ وَنَجَاحِ ٱلأَمَلِ، فَقَدْ تُسْلَكُ ٱلْمَحَجَّةُ وَٱلْعَصَا مُعْوَجَّةٌ، وَرُبَّمَا صَادَفَ صَاحِبُهَا مَغْوَاةً فَخَرَّ لِفِيهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ نَجَاةً، وَقَدْ يَكُونُ ٱلزَّلَلُ بِقَدَرِ ٱللَّهِ مَعَ اسْتِقَامَةِ ٱلْعَصَا، وَلَكِنْ ظَنُّ مَنْ أَحْسَنَ وَأَطَاعَ أَحْسَنُ مِنْ ظَنِّ مَنْ أَسَاءَ وَعَصَا، فَقَيِّدْهَا[43] وَتَوَكَّلْ، وَانْكُلْ عَنِ ٱلْمَآثِمِ فَلَعَلَّ ٱلأَنْجَى هُوَ ٱلأَنْكَلُ، وَأَنْتَ رَجُلٌ صَنَعُ[44] ٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ فَأَحْسِنِ ٱلْعَمَلَ لِلَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ تَمَامَ ٱلإِحْسَانِ، وَٱلْمَرْأَةُ ٱلصَّنَاعُ ٱلْيَدِ مَعُونَةٌ لِلْقَرِينِ عَلَى دَهْرِهِ ٱلأَنْكَدِ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَعَاوِنِينَ، لِيَكُنْ سَيْرُكَ[45] [مَضْفُوراً][46] لِلْمَسِيرِ، وَجِدَّ أَيُّهَا ٱلْعَافِي فَٱلْجِدُّ جُهْدُ ٱلأَسِيرِ، وَاعْمَلْ لِرَبِّكَ رَجَاءَ مَغْفِرَتِهِ فَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي لَهَا ضَفِيرَتَانِ، أَعَلِمْتِ أَنَّهُمَا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ مُتَمَرِّطَتَانِ[47]، فَإِذَا ضَفَرْتِ رَأْسَكِ فَاسْتَشْعِرِي مِنْ طُولِ ٱلْبَقَاءِ يَأْسَكِ، فَيَحْسُنُ بِٱلْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَذْكُرَ ٱلْمَوْتَ أَبَداً، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ حَيَاتَهَا إِلَى مَدَى، وَنِعْمَ مَا أَعَدَّ ٱللَّهُ لِلذَّاكِرَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ. رُبَّ حَبِيبٍ لَقِيتَهُ لَقْيَةً آنَسْتَ أُنْسَكَ عِنْدَهَا وَلَمْ تَعْلَمْ أَنْ لاَ لِقَاءَةَ بَعْدَهَا، وَهِيَ ٱلْمَنَايَا لاَ تُخْلِفُ وَعْدَهَا، وَٱلدُّنْيَا خُصَّتْ بِٱلْغَدْرِ وَحْدَهَا :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ   وَكُلُّ ٱلَّذِي دُونَ ٱلْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ   دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَ يَدُومَ خَلِيلُ[48]

[الطويـل]

---

(43) حديث نبوي، الترمذي : 60.

(44) صنع اليد : ماهرها وحاذقها.

(45) سيرك : السير : الشراك.

(46) في الأصل [مصفورا] بصاد، الورقة : 138، والتصويب من الفصيح : 320، والتصريح، الورقة : 93.

(47) متمرطتان : من الفعل تمرط شعره إذا تحات وسقط.

(48) البيتان لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في رثاء زوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ والبيتان موصولان قبلهما :

أَرَى عِلَـلَ ٱلدُّنْيَـا عَلَـيَّ كَثِيـرَة   وَصَاحِبُهَـا حَتَّـى ٱلْمَمَـاتِ عَلِيـلُ

انظر **ديوان الإمام علي**، ص 243، وانظر **الامتاع والانتفاع** لابن الدراج السبتي، ص 52، تحقيق : د. محمد بنشقرون.

نِعْمَتِ الْعُدةَ لِلْمُنْقَلِبَ الصَّدَقَةُ وَلَوْ بِحَبَّةِ الْعِنَبِ، تَقُولُ عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ البَرَّةُ، كَمْ تَرَيْنَ فِيهَا مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَإِذَا كَثُرَتِ الاجْزَاءُ وَصَحِبَ ٱلصَّدَقَةَ مِنْ حُسْنِ ٱلنِّيَّةِ مَا يَحْصُلُ بِهِ ٱلإِجْزَاءُ عَظُمَ بِحَسَبِ ذَلِكَ ٱلْجَزَاءُ. إِنَّ أَبَا ٱلدَّحْدَاحِ[49] لَمَّا كَمُلَ إِيمَانُهُ وَتَمَكَّنَ تَحْتَ حَائِطِ ٱلإِسْلاَمِ مَكَانُهُ، وَسَمِعَ قَوْلَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ضَمَّنَهُ تَنْزِيلُهُ ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَقْرِضُ ٱللَّهَ [قَرْضاً][50] حَسَناً فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾[51]. هَجَرَ فِي مَرْضَاةِ مَوْلاَهُ ٱلْعَيْنَ[52] وَٱلْعَرَضَ[53]، وَاحْتَقَرَ فِي جَنْبِ مَا تَقَاضَاهُ ٱلنَّخْلَ وَٱلأَرْضَ، وَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَوَ أَنَّ رَبَّنَا يُحِبُّ مِنَّا ٱلْقَرْضَ، ثُمَّ تَصَدَّقَ لِلَّهِ بِحَائِطٍ فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ قَدِ اكْتَمَلْنَ فِي ٱلصَّلاَحِ، فَأَسْمَعَهُ دَاعِي ٱلْمُجَازَاةِ مِنَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْفَتَّاحِ عَلَى لِسَانِ خَيْرِ مَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشُ ٱلْبِطَاحِ، «كَمْ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ فِي ٱلْجَنَّةِ لأَبِي ٱلدَّحْدَاحِ»[54] وَزَادَهُ فِي ٱلإِحْسَانِ أَمَلاً أَنَّا ﴿لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[55] لِيَحْذَرِ ٱلْعَزَبُ قُرْبَ ٱلْعَزَبَةِ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ طَوِيلُ ٱلْعَذَبَةِ[56] يَعْمَلُ بِكِلْتَيْ يَدَيْهِ، وَكُلُّ ٱلشَّرِّ حَاضِرٌ لَدَيْهِ، فَكَأَنَّهُ أَعْسَرُ[57] يَسَرٌ إِلاَّ أَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يُيَسِّرْهُ

---

(49) أبو الدحداح : رجل من الصحابة توفي في حياة رسول الله ﷺ، ويقال له أبو الدحداحة وابن الدحداح في صحيح مسلم : وأبو الدحداح هو الذي اشترى نخلة لأبي لبابة فخاصمه من أجلها غلام يتيم فقال النبي ﷺ لأبي لبابة اعطه إياها ولك بها عذق في الجنة فأبى أبو لبابة فسمع بذلك أبو الدحداح فاشتراها من أبي لبابة بحديقة له ثم قال للنبي ﷺ أيكون لي بها عذق في الجنة إن أعطيتها لليتيم قال : نعم. فأعطاها اليتيم. فلما توفي أبو الدحداح وصلى عليه الرسول وهو عائد من جنازته قال : «كم عذق معلق أو مدلى لابن الدحداح أو قال شعبة لأبي الدحداح». **صحيح مسلم** : 61/3.

(50) تصحيح فوق السطر، الورقة : 138.

(51) الآية 11 من سورة الحديد.

(52) العين : انظر ص 36.

(53) العرض : انظر ص 36.

(54) حديث نبوي شريف، انظر **صحيح مسلم** : 61/3.

(55) سورة الكهف، الآية : 30.

(56) العذبة : طرف اللسان الأمامي.

(57) أعسر يسر : الذي يعمل بيديه جميعا.

لِلْيُسْرَى[58] فِي مَا يَسَّرَ، أَشْعَرْتَ لِرَيْطَةَ[59] ٱلْكَعَابِ إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّيْطَةِ[60] مِنَ ٱلثِّيَابِ كِلْتَاهُمَا لاَ تَبْقَى عَلَى [ٱلأَحْقَابِ][61] فَٱلْعَاقِلُ مِنْهُمَا يَذْهَبُ كَهْلاً أَوْ يَفَنَا[62]، وَرُبَّمَا كَانَتِ ٱلثَّانِيَةُ لِلأُولَى كَفَناً، فَاشْتَرَكَتَا فِي ٱلْفَنَاءِ وَخَلَتْ مِنْهُمَا سَاحَةُ ٱلْفِنَاءِ، يَأْتِي مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ عَلَى ٱلْمِرْطِ[63] نَحْوُ ٱلَّذِي يَأْتِي عَلَى رَبَّةِ ٱلْقُرْطِ[64]، وَمَا غَنَاءُ ٱلْقِرَطَةِ عَلَى ٱلْمُقَرَّطَةِ حَيَاتُهَا لاَبُدَّ حَائِلَةٌ وَمَا لِلْمَوْتِ مِنْ عُقَابِ ٱلْقُرْطِ غَائِلَةٌ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ كَانَتْ فِي جُحْرٍ أَوْ بَحْرٍ لَغَاضَ ٱلْعُبَابَ وَخَرَقَ ٱلتُّرَابَ حَتَّى يَفْجَعَ بِهَا ٱلأَتْرَابَ، وَيَنْفِذَ أَمْرَ ٱللَّهِ لاَ تَرَدُّدَ وَلاَ ارْتِيَابَ، وَلَوْ أَنْجَى مِنَ ٱلْمَوْتِ جُحْرٌ لاَتُّخِذَتِ ٱلأَرْضُ [كُلُّهَا][65] جِحَرَةً[66] أَوْ لَوْ دَفَعَ عَادِيَتَهُ بَحْرٌ لَسِعْيَ[67] بِٱلصَّنْعَةِ فِي أَنْ تَكُونَ ٱلْبَسِيطَةُ كُلُّهَا مُسْتَبْحَرَةً، وَلَكِنَّهُ أَمْرُ ٱللَّهِ لاَ مَرَدَّ لَهُ وَٱلدُّنْيَا مُدَالَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا مُبَدَّلَةٌ، ذَلِكَ دَأْبُهَا إِلَى يَوْمِ ٱلْعَرْضِ وَشَأْنُهَا حَتَّى يُبَدِّلَ ٱللَّهُ أَرْضَهَا غَيْرَ ٱلأَرْضِ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً. أَعِدَّ لِلأَعْدَاءِ حَدَّ ٱلسِّلاَحِ، وَاجْعَلِ ٱلْجُرْزَ[68] فِي عِدَادِ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحِ [فَمَقَامُ ٱلْجِرَزَةِ مَحْمُودٌ[69] وَقَدْ تُجْدِي حَيْثُ][70] لاَ يُجْدِي ٱلرُّمْحُ وَهُوَ مَوْجُودٌ، وَأَعْقِدْ نِيَّتَكَ عَلَى أَنَّ مَا تَفْعَلُهُ

---

(58) اقتباس من الآية 8 من سورة الأعلى.

(59) ريطة : اسم علم للمرأة والكعاب صفة لها.

(60) الريطة من الثياب : كلا ملاءة واسعة.

(61) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 138.

(62) اليفن : الشيخ الكبير.

(63) المرط : بكسر الميم وسكون الراء : كساء من خز أو كتان.

(64) القرط : الحلية التي تضعها المرأة في أذنها وربة القرط كناية عن المرأة، جمعها قرطة بكسر القاف وفتح الراء والطاء.

(65) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 138.

(66) حجرة : جمع جحر.

(67) لسغي في الأصل بغين، الورقة : 138.

(68) الجرز : نوع من الأسلحة عبارة عن عمود من حديد أو عصا في رأسها حديدة كالدبوس.

(69) غير واضحة في الكتاب وهي تكملة تستقيم بها الجملة، الورقة : 139.

(70) الجملة استدركها الناسخ فكتبها في طرة الكتاب فوق السطر الورقة : 139.

مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ لِلَّهِ خَالِصٌ وَظِلُّ ذُلِّ ٱلرِّيَاءِ عَنْهُ قَالِصٌ، وَتَقَيَّدْ بِحَقَائِقِ ٱلدِّينِ فَنِعْمَ ٱلْقَيْدُ وَأَظْهِرْ شَعَائِرَهُ فَبِهَا يَهِنُ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْكَيْدُ، وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ آيَاتٌ يَزْدَادُ بِاحْتِسَابِ ٱلسَّعْيِ لِمُشَاهَدَتِهَا ٱلإِيمَانُ وَتَقْوَى ٱلْمُنَّةُ[71] مِنَ ٱلتَّقْوَى وَٱلأَيْدُ[72]، وَلَنْ يَزَالَ ٱلنَّاسُ مِنْهُ بِخَيْرٍ مَا غَصَّتْ بِٱلْحُجَّاجِ فَيْدٌ[73]، وَلِلإِسْلاَمِ دَعَائِمُ مَا أَقَامَهَا ٱلنَّاسُ فَٱلدِّينُ قَائِمٌ، وَلاَتَزَالُ ٱلصَّحَارِي خِصْباً فِي حُكْمِ ٱلرِّيفِ مَا عَمِلُوا بِٱلْمَعْرُوفِ، وَإِذَا جَاهَرُوا بِٱلْمُنْكَرِ اسْتَقْبَلَهُمُ ٱلزَّمَنُ بِوَجْهِهِ ٱلْمُتَنَكِّرِ فَتُصْبِحُ أَحْوَالُ ٱلْخَيْرِ حَائِلَةً، وَتُرَى لَبُونُ ٱلْقَوْمِ أَمْسِ وَهِيَ ٱلْيَوْمَ شَائِلَةٌ[74] وَبِيَدِ ٱللَّهِ زِمَامُ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْحَوْلِ، وَهُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُدِرَّ بِٱلرِّسْلِ ٱلْغَزِيرِ أَخْلاَفَ ٱلشَّوْلِ[75]، وَإِذَا رَأَيْتَ نِيَاقَكَ بِأَذْنَابِهَا شُوَّلاً[76] فَارْتَقِبْ أَنْ تُنْتِجَ كُلُّ شَائِلٍ نَاقَةً أَوْ جَمَلاً، وَٱللَّهُ يَقِي سَرْحَ مَالِكَ أَفْذَاذاً[77] أَوْ جُمَلاً، مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ لِلسَّبُعِ أَكِيلَةٌ أَوْ تُصْبِحَ أُكُولَةَ ٱلرَّاعِي وَهِيَ نَبِيلَةٌ، إِذْ تَنَاهَتْ بَقَرَتُكَ سِمَناً لَمْ تَعْدَمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ ٱلسَّمْنِ مَنًّا[78]، وَإِذَا بَارَكَ عَلَيْهَا رَبُّكَ فَمَا ٱلْمَنَوَانِ[79] وَٱلأَمْنَاءِ حَسْبُكَ قَصُّ[80] ٱلشَّاةِ إِذَا نَشَرَ ٱلْخِصْبُ رِينَتَهُ[81] خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِهَا إِذَا حَجَّرَ ٱلْجَدْبُ طِينَتَهُ، وَمَا تَفِي لِسَانُ ٱلْقَصَصِ بِجُزْءٍ مِنْ أَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ زَمَانَ ٱلْخِصْبِ فِي ٱلْقَصَصِ، أُبْذُلْ

---

(71) المنة بضم الميم : القوة وخصت بها قوة القلب.

(72) الأيد : القوة وجمعها الآد.

(73) فيد : قرية في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة في طريق الحجاج، **معجم البلدان** : 228/4.

(74) شائلة : صفة للناقة إذا ارتفع لبنها أي قل وجف ضرعها.

(75) الشول : جمع شائلة.

(76) شولا : مفردها شائل : صفة للناقة إذا رفعت ذنبها تري الفحل أنها لاقح.

(77) أفذاذا : مفردها فذ بمعنى فرادى، وجملا بمعنى جماعات.

(78) منا : عطاء، ويقصد به الكيل أيضا وهو رطلان.

(79) الأمناء : جمع مفرده مَناً مُخفف النون مقصور والمثنى منوان وهو وحدة لقياس الكيل.

(80) قص الشاة : رأسها وصدرها.

(81) رينته : غطاؤه.

صقْرَ[82] ٱلنَّخْلَةِ لِزَائِرِكَ وَاحْذَرْ صقْرَ ٱلْجَوِّ عَلَى طَوَائِرِكَ، وَأَنَّ تَفْرِيقَ مَالِكَ بَيْنَ ٱلصَّدَقَةِ وَٱلصَّدِيقِ لأَجْدَى عَلَى آمَالِكَ مِنِ احْتِجَانِهِ[83] فِي ٱلصُّنْدُوقِ، هَلْ يَرُدُّ عَنْكَ كَنْزُكَ مَنِيَّةً أَوْ تَنَالُ بِهِ وَقَدْ مَنَعْتَ مِنْهُ ٱلْحُقُوقَ حَالاً سَنِيَّةً لَقَدْ حَكَّ[84] مِنَ ٱلأَمْرِ فِي صَدْرِي أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ يُذْهَبُ بِي وَمَا أَدْرِي فَمَا لِي أَشُحُّ مَعَ هَذَا بِمَالِي وَمَا شَأْنِي أَبْخَلُ وَلاَ أَبْذُلُ مَجْهُودِي مَتَى مَرَرْتُ عَلَى رَجُلٍ يَسْأَلُ[85]، وَقَدْ أَوْرَثَنِي ٱلْكِتَابُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْيَقِينَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ، وَهَلاَّ أَصْلَحْتُ دَائِباً ٱلْقَلْبَ خَيْراً مِنْ أَنْ أَكُونَ أَشْلَيْتُ[86] ٱلْكَلْبَ، أَمَا هَذَا مِنَ ٱلْعَبَثِ، وَلَوْ كُنْتُ أَسَدْتُهُ[87] عَلَى ٱلصَّيْدِ لَكَانَ أَبْعَدَ مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلْمُسْتَخْبَثِ، وَلَعَلِّي إِنْ أَوْسَدْتُهُ[88] بِنِيَّةِ أَنْ أُشْبِعَ جَائِعاً أَوْ يَكُونَ ذَلِكَ لِي عِنْدَ ٱللَّهِ نَافِعاً. يَا عَجَباً لَكَ يَوْمَ يَصْدُرُ ٱلْقَبِيحُ عَنْكَ فَتَتَوَارَى عَنْ صَدِيقِكَ وَتَقُولُ اسْتَخْفَيْتُ[89] مِنْكَ، أَمَا وَعَظَكَ قَوْمٌ عَلَّقُوا بِالْكِتَامِ مِثْلِ هَذَا طَمَعَهُمْ فَأُنْزِلَ فِيهِمْ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾[90] سِيَّانِ فِي حَقِّ ٱللَّهِ مَا اسْتَخْفَيْتَ وَاخْتَفَيْتَ[91] فَلَيْتَكَ بِهَذَا ٱلْقَدْرِ اكْتَفَيْتَ. كُنْ مِمَّنْ يَأْلَفُ وَيُؤْلِفُ، وَأَنْفِقْ فَعَلَى ٱللَّهِ ٱلْخَلَفُ، وَٱلإِمْسَاكُ مَقْرُونٌ بِهِ ٱلتَّلَفُ، وَإِنَّ مَثَلَ ٱلَّذِي لاَ يُؤَالِفُ مَثَلُ ٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي لاَ تُرَادِفُ[92]، فَفِرَّ عَنْ هَذَا ٱلشَّبَهِ، وَارْبَأْ عَنْهُ بِقَدْرِكَ ٱلأَنْبَهِ، إِنْ بَذَلْتَ بِمَا

---

(82) صقر الدبس عند أهل المدينة، وما تحلب من الرطب.

(83) احتجانه : ادخاره.

(84) حك الأمر في صدري : أثر فيه، وأوقع فيه شكا وهو على يقين.

(85) يسأل : يطلب صدقة.

(86) شليت الكلب : دعوته باسمه.

(87) أسدته : أغريته على الصيد.

(88) أوسدته : بمعنى أسدته أي غريته على الصيد.

(89) استخفيت : تواريت.

(90) الآية 108 من سورة النساء.

(91) اختفيت : ظهرت.

(92) ترادف : تحمل رديفا، والرديف الذي يركب وراء الراكب.

يُسَاوِي أَلْفاً مِنَ ٱلدَّنَانِيرِ أَفَمَا يَسُرُّكَ أَنَّ لَكَ بِكُلِّ ذَرَّةٍ مَا لاَ يَقْلِصُ مِنَ ٱلظِّلِّ وَلاَ يُطْفَأُ مِنَ ٱلنُّورِ، أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فُلاَنٌ يَتَنَدَّى(93) عَلَى أَصْحَابِهِ، وَيُسَاجِلُ [هَاطِلاَتِ](94) ٱلسُّحُبِ بِسَحَابِهِ، أَوْ يُقَالَ إِنَّ فُلاَناً لَشَدَّ مَا خَبُثَ، سُئِلَ مَعْرُوفاً فَأَخَذَهُ مَا قَدُمَ(95) وَمَا حَدُثَ، فَهَذَا ٱلَّذِي لَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلدِّينِ، وَقَدْ بَيَّنْتَ لَكَ ٱلنَّهْجَيْنِ، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْمُعْتَدِينَ، إِذَا كَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ فَلْيَحْسُنْ مِنْكَ ٱلْمُظْهَرُ وَٱلْمُضْمَرُ فَإِنَّمَا هِيَ مَزْجَرَةٌ عَنِ [ٱلْخِيَانَاتِ](96) وَتَذْكِرَةٌ بِٱلْغَايَاتِ، وَيُخَوِّفُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ هَذِهِ ٱلآيَاتِ. وَمَتَى شَوَيْتَ ٱللَّحْمَ فَانْشَوَى فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ أَنْضَجَهُ ٱلْمُشْتَوِي لاَ يَسْتَقِيمُ شَيْءٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلاَ يَسْتَوِي، فَإِنْ قَلَيْتَ ٱللَّحْمَ وَٱلسَّوِيقَ فَكِلاَهُمَا مَقْلِيٌّ بِمَا رِيءَ ٱللَّحْمُ بِهِ وَهُوَ مَشْوِيٌّ [لاَ خِلاَفَ](97) وَلاَ تَفْرِيقَ، وَرُبَّمَا قَلَوْتَ ٱلسَّوِيقَ(98) وَٱلْبُسْرَ فَتَعَرَّفْتَ فِي [ٱلْمَقْلُوَيْنِ](99) ٱلْعُسْرَ أَوِ ٱلْيُسْرَ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ ٱللَّهِ لاَ يُخَالِجَنَّكَ فِيهِ عَارِضُ ٱلشَّكِّ وَٱلإِشْتِبَاهِ. إِنَّ مِنْ أَدَبِ ٱلْعَرَبِ إِذَا عُرِضَ [عَلَيْهِمَا](100) ٱلصَّفَدُ(101) أَوِ ٱلشَّيْءُ يَسْخُو بِهِ ٱلْيَدُ أَنْ يَقُولُوا لِلْعَارِضِ تُوفَرُ وَتُحْمَدُ، فَإِنْ عَرَضَ مِثْلَ هَذَا أَحَدٌ فَٱلْقَوْلُ حَسَنٌ قَوْلُهُ، وَٱلْقَبُولُ مَصْرُوفٌ إِلَى ٱخْتِيَارِكَ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْبَلَهُ فَاقْبَلْهُ، إِنْ قَبِلْتَ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِنْ نَازَعَتْكَ هِمَّةٌ فِي ٱلْقَبُولِ فَٱلْقَنَاعَةُ خَيْرُ مَا بِهِ ٱلنَّفْسُ هَمَّتْ. أَرِعْنِي سَمْعَكَ فَلَنْ أَغْمُرَهُ إِلاَّ بِنُصْحٍ وَلاَ أَدُلُّكَ إِلاَّ

---

(93) يتندى : يعطى الندى، العطاء، يتسخى.

(94) في الأصل [هاطات]، الورقة : 139.

(95) أخذه ما قدم وما حدث بضم الدال : أصابه من الهم والحيرة ما قد طال عهده.

(96) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(97) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(98) السويق : دقيق الحنطة أو الشعير المقلوين.

(99) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(100) كذا في الأصل، الورقة : 140، وربما كان الضمير «هما» يعود على الشك والاشتباه.

(101) الصفد : بفتح الفاء وسكونها : العطاء.

عَلَى مَا يُؤَدِّيكَ إِلَى نُجحٍ، إِنْ بَخَصْتَ[102] عَيْنَ رَجُلٍ فَكُنْ مِنَ ٱللَّهِ عَلَى وَجَلٍ مَعَ اعْتِقَادِ ٱلإِسْتِحْقَاقِ لِحُكْمِهِ ٱلْمُعْجَلِ، وَإِنْ بَخَسْتَهُ[103] حَقَّهُ أُلْزِمْتَ [لَه][104] مَغْرماً، يَوْمَ لاَ تَجِدُ دِيناراً وَلاَ دِرْهَماً فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِكَ مَا لَعَلَّهُ يُجْحِفُ بِكَ كُلَّ ٱلإِجْحَافِ، فَإِنْ قَصَّرَتْ طُرِحَ عَلَيْكَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ مَا يَنْتَهِي بِهِ إِلَى ٱلإِنْتِصَافِ، فَتُصْبِحُ صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مُثْقَلَ ٱلظَّهْرِ بِمَا جَنَى غَيْرُكَ مِنَ ٱلتَّبِعَاتِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ. اِقْتَنِ مَعَالِيَ ٱلأُمُورِ لِتَعْلُوَ وَاغْلِ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَخَيْراً تَزْدَادُ بِأَنْ تَغْلُوَ يَحْمَدُكَ ٱلشَّاهِدُ وَٱلْغَائِبُ وَيَنْصَرِفُ عَنْكَ بِغُصَّتِهِ ٱلْعَائِبُ. إِنَّ ٱلنَّخْلَ إِذَا بَسَقَ[105] لَمْ يَضُرَّهُ أَنَّ أَحَداً نَحْوَ ٱلْعَالِيَةِ بَصَقَ، مَا يَضُرُّ ٱلنَّخْلَ ٱلْبُصَاقُ إِذَا طَالَ ٱلسَّاقُ، كَذَلِكَ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَمِيلُ لاَ يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْقَالُ وَلاَ ٱلْقِيلُ، إِنْ لَصِقْتَ[106] بِعَالِمٍ أَفَادَكَ [عِلْماً][107]، وَإِنْ لَصِقْتَ بِظَالِمٍ لَمْ تَأْمَنْ هَضْماً وَلاَ ظُلْماً فَاخْتَرْ بَيْنَ [ ][108] وَإِنَّ ٱلْخِيرَةَ لَبَيِّنَةٌ، وَاسْعَ فِي ٱلسَّعَادَةِ ٱلدَّائِمَةِ وَإِنَّهَا [ ][109] ٱللَّهُ عَلَيْهِ لَهَيِّنَةٌ، وَاحْذِ[110] مِنْ لَبَنِكَ ٱلْقَارِصَ وَٱلْحَلِيبَ فَإِنَّ [ٱلْحُذْيَا][111] حَسَنَةٌ، وَإِذَا رَأَيْتَ جَرِيحَ ٱلنَّوَائِبِ فَاجْهَدْ أَنْ [تَأْسُوَهَ][112] وَإِذَا اسْتَكْسَاكَ عَارٍ بَائِسٌ وَٱلْبَرْدُ قَارِسٌ فَلاَ تَأْلُ أَنْ تَكْسُوَهُ وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ صَفَقَ

---

(102) بخصت : فقأتها وخلعتها.

(103) بخسته : نقصته حقه.

(104) مما استدركه الناسخ فكتبها فوق السطر، الورقة : 140.

(105) بسق : إذا ارتفع وطال.

(106) لصقت : اتصلت به على بعض الوجوه.

(107) غير واضحة في الأصل، الورقة : 140.

(108)(109) ممسوحة في الأصل، الورقة : 140. وتقدير الكلام عالم وظالم.

(110) احذ : اعط.

(111) الحذيا : بسكون الذال وفتحها : العطية. وهي مطموسة أتممتها بما يليق بمعنى الفعل : احذ.

(112) غير واضحة في الأخير. وجاءت الألفاظ في هذا الجانب من الورقة مطموسة، الورقة : 140. حاولت إكمالها بما يفهم به المعنى ويستقيم به السجع.

ٱلْبَابَ فِي وَجْهِ مَنِ ٱنْتَابَ، فَذَلِكَ مِنَ [ٱلنَّجْهِ][113] وَلاَ [يَصْفَقُهُ][114] إِلاَّ صَفِيقُ ٱلْوَجْهِ فَارْفِضْ مِثْلَ هَذَا ٱلْعَمَلِ، وَكُنْ أَبَداً مَعَ [ٱلْمَقْصَدِ][115] ٱلأَجْمَلِ ﴿وَابْتَغِ فِي مَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[116].

---

(113) النجه مصححة في هامش الكتاب، الورقة : 140. ومعناها : الزجر والردع.

(114) مطموسة في الأصل في نفس الورقة، وأكملتها استنادا على الفعل صفق.

(115) غير واضحة في الأصل، نفس الورقة.

(116) الآية 77 من سورة القصص.

31 ـ بَابٌ مِنَ ٱلْفَرْقِ[1]

أَلاَ إِنَّ شَرَّ بَنَاتِ ٱلزَّمَانِ بِنْتُ ٱلشَّفَةِ[2] مِنَ ٱلإِنْسَانِ إِنْ حَسُنَتْ غَرَّتْ وَإِنْ قَبُحَتْ ضَرَّتْ، وَقَادَتْ نَحْوَ ٱلْمَكْرُوهِ وَجَرَّتْ، فَجِدْ جُهْدَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلصِّفَةِ وَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ نَسْلَ ٱلشَّفَةِ وَإِنَّ ٱلْمِشْفَرَ لِذَوَاتِ ٱلْخُفِّ لأَجْدَى بِهَذَا ٱلإِعْتِبَارِ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّفَةِ عَلَى مَنْ تُعْزَى إِلَيْهِ أَوْ يُعْزَى إِلَيْهَا، إِنَّمَا تَلُسُّ بِهِ ٱلْكَلأَ، وَلاَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْقُلَ بِهِ ٱلنَّبَأَ، فَقَدْ سَلِمَتْ مِنَ ٱلنَّمِّ[3] ٱلْمَلْحِيِّ[4]، وَوُقِيَتْ غَائِلَةَ هَذَا ٱلسَّمِّ[5] ٱلْوَحِيِّ[6]. يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ دَابَّتَهُ مِنْ إِعْمَالِ ٱلْجَحْفَلَةِ[7] فِي شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَ عَمَلُهَا جُبَاراً[8] فَإِنَّمَا تَأْكُلُ فِي بَطْنِهَا نَاراً إِلَيْهِ مَصْرِفُ شَرَرِهَا وَعَلَيْهِ عَائِدُ ضَرَرِهَا وَهُوَ ٱلْمَطْلُوبُ دُونَهَا بِمَا عَرَّضَهَا لَهُ مِنْ سُوءِ أَثَرِهَا، لَوْ عَلِمَتْ ذَوَاتُ ٱلأَظْلاَفِ إِذَا أَرْسَلَتْ مِقَمَّتَهَا[9] أَوْ مَرَمَّتَهَا فِي مَنَابِتِ ٱلْقَضْبِ[10] وَٱلْخِلاَفِ[11] أَنَّ رُبَّ قِمَمٍ تَحْتَ مَرْعَاهَا كَانَتْ [تُقِيمُ][12] ٱلدَّهْرَ

---

(1) المقصود بالفرق الاختلاف في مُسميات لأعضاء تشترك فيها كل الحيوانات.

(2) بنت الشفة : الكلمة.

(3) النم : النميمة.

(4) الملحي : من اللحاء، الملعون.

(5) السم : فيه ثلاث لغات بفتح السين وضمها وكسرها.

(6) الوحي : المسرع العاجل.

(7) الجحفلة : الشفة بالنسبة للدواب والمقصود بـ«إعمال الجحفلة في شيء ليس له» : ترك الدابة تأكل في مرعى غير مرعاها.

(8) جبارا : بضم الجيم هدرا، أي لا تؤخذ به.

(9) المقمة والمرمة : الشفة بالنسبة لذوات الاظلاف وتكون بفتح الميم وكسرها.

(10) القضب : شجر سهلي له ورق كورق الكمثرى إلا أنه أرق وأنعم ترعى الإبل ورقه وأطرافه.

(11) الخلاف : شجر الصفصاف، وسمي أيضا السوجر.

(12) مكملة من الهامش، الورقة : 141.

وَتُقْعِدُهُ، وَرِمَمٍ مَا رَامَ مَدىً مَسْعَاهَا إلاَّ دَنَا عَلَيْهَا أَبْعَدُهُ، لأَلِمَتْ إذْ عَلِمَتْ فَمَا لَنَا نَعْلَمُ وَلاَ نَأْلَمُ، كَأَنَّ مِنْ تِلْكَ ٱلدَّائِرَةِ نَسْلَمُ، إنَّا إذاً لَمِنَ ٱلْجَاهِلِينَ. ٱلأَقْدَارُ تَدُورُ كَمَا تُدَارُ لاَ يُنْجِي مِنْهَا ذَا ٱلْمَقْدُرَةِ ٱلإقْتِدَارُ، وَفِي وُسْعِ ٱلْقَدَرِ ٱلْحَطُومِ أَنْ يُسَلِّطَ ٱلنَّمْلَ عَلَى ٱلْخَطْمِ(13) مِنَ ٱلأَسَدِ وَٱلْخُرْطُومِ فَلاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا دِفَاعاً وَلاَ يَطِيقُ مِنْهَا امْتِنَاعاً، وَاهاً لِلْقَدَرِ كَمْ ثَبَّطَ شَهْماً عَنِ ٱلإنْبِعَاثِ، وَأَنْهَضَ ٱلضَّعِيفَ بِأَقْوَى ٱلأَيْدِ(14) وَأَحَثَّ الاحْتِثَاثِ حَتَّى قَصَّرَ مِنْسَرُ ٱلْجَارِحِ عَنْ مِنْقَارِ ٱلْبُغَاثِ، تَمَامُ حِكْمَةِ ٱللَّهِ أَيَّدَتْ يَدَ ٱلإنْسَانِ بِٱلظُّفْرِ وَزَيَّنَتِ ٱلْعَيْنَيْنِ بِٱلشُّفْرِ فَانْظُرْ إلَى أَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، وَاعْجَبْ لِتَمَامِ حِكْمَةِ ٱللَّهِ، وَكَلاًّ لاَ عَجَبَ فَٱلْكَمَالُ إنَّمَا حُقَّ لِجَلاَلِهِ وَوَجَبَ، يَا مُمْتَطِينَ ٱلرَّوَاحِلَ فِي ٱلأَسْفَارِ رِفْقاً بِهِنَّ فِي ٱلْقِفَارِ، سُومُوهُنَّ ٱلْبُطْءَ لِيُخَفِّفْنَ ٱلْوَطْءَ، فَلَعَلَّ(15) أَدِيمَ ٱلأَرْضِ مِنْ هَذِهِ ٱلْجُسُومِ وَلاَ نَكْرَ أَنْ يُصَادِفَ وَقْعُ ٱلْمَنْسِمِ مَوْضِعَ ٱلْمَبْسَمِ مِنَ ٱلْوَجْهِ ٱلْوَسِيمِ، فَيَا رَحْمَةً لِلْجَمَالِ وَيَا غَفْلَةَ ٱلْقُلُوبِ عَنْ هَذَا ٱلْمَآلِ حَافِرُ ٱلدَّابَّةِ إذَا صَلُبَ أَدْرَكَ رَاكِبُهَا مَا طَلَبَ وَظِلْفُ ٱلْوَحْشِيَّةِ إذَا نُكِبَ اسْتَبْشَرَ ٱلصَّائِدُ بِدَمِهَا أَنْ يَنْسَكِبَ، إذَا نَشِبَ مَخْلَبُ ٱلسَّبُعِ فِي ٱلنَّسَا(16) مِنْ ذَوَاتِ ٱلأَرْبَعِ فَلاَ نَظِرَةَ وَلاَ نِسَاءَ وَلاَ صَبَاحَ لِلطَّرِيدَةِ وَلاَ مَسَاءَ، وَإذَا ضَبَثَ(17) بِبُرْثُنِ(18) ٱلْحَمَامَةِ مِخْلَبُ ٱلصَّقْرِ أَوْشَكَ أَلاَّ تَعُودَ إلَى ٱلْوَكْرِ، كَذَلِكَ ٱلْمَنِيَّةُ إذَا أَنْشَبَتْ(19) أَظْفَارَهَا تَعَرَّفَتِ ٱلتَّمَائِمُ خِذْلاَنَ ٱلْعَوَائِدِ

---

(13) الخطم والخرطوم : الشفة للسباع.

(14) الأيد : القوة.

(15) نثر قول أبي العلاء المعري :

خَفِّفِ ٱلْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيـ ـمَ ٱلأَرْضِ إلاَّ مِنْ هَذِهِ ٱلأَجْسَادِ

(16) النسا : عرق من الورك إلى الكعب.

(17) ضبث : قبض على الشيء بقوة.

(18) برثن : المخلب بالنسبة للطير ويجوز في السباع.

(19) نثر قول أبي ذؤيب الهُذَلي :

وَإذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

وَإِخْفَارَهَا. وَإِذَا أَتَى عَلَى بُرْثُنِ ٱلْكَلْبِ بُرْثُنُ ٱلسَّبُعِ عَادِياً، فَلَعَلَّ ٱللَّهَ أَذِنَ لَهُ فِي ٱلشِّبَعِ مَا كَانَ لَهُ ٱلْكَلْبُ رَاعِياً.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ثَدْيَ ٱلْمَرْأَةِ مُتَكَفِّلاً بِرِزْقِ وَلِيدِهَا وَقَضَى فِي كِلْتَي ٱلنَّسَمَتَيْنِ أَلاَّ سَبِيلَ إِلَى خُلُودِهَا، وَخَصَّ بِٱلأَخْلاَفِ[20] ذَوَاتِ ٱلأَخْفَافِ[21] ثُمَّ هَدَى ٱلْحُوَارَ[22] إِلَى ٱلْخِلْفِ كَأَنَّمَا أَلِفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ أَطْوَلَ ٱلإِلْفِ :

فَفِـي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدُ[23]

[المتقـارب]

أَيُّهَا ٱلْعَائِلُ ٱلْمُعِيلُ لاَ يَغُرَّنْكَ أَنْ يُخِيلَ لَكَ ٱلْقَاسِي ٱلْبَخِيلُ فَلاَ تَصِلُ مِنْهُ إِلَى ٱلْحِبَاءِ[24] أَوْ تَصِلَ إِلَى دَرِّ أَطْبَاءِ[25] ٱلسِّبَاعِ ٱلْعَادِيَةِ بِٱلأَطِبَّاءِ، وَإِنَّ وُصُولَكَ مِنْ طُبْيِ ٱللَّبُوَةِ إِلَى قَطْرَةٍ مُسْتَدَرَّةٍ أَقْرَبُ مِنْ ظَفَرِكَ مِنْ هَذَا ٱلْبَخِيلِ بِذَرَّةٍ، فَصُنْ مَاءَ وَجْهِكَ عَنِ ٱلْبَاخِلِينَ، إِذَا دَرَّتْ أَطْبَاءُ ٱلْخَيْلِ فَبُشْرَى ٱلْغَازِينَ بِمُهَارٍ[26] تَقْطَعُ أَجْوَازَ ٱللَّيْلِ وَإِذَا سَمَحَ بِقَطْرَةٍ ضِرْعُ ٱلشَّاةِ، قَنِعَ ٱلْفَقِيرُ مِنْ دَهْرِهِ بِهَذِهِ ٱلْمُمَاشَاةِ،

---

(20) الاخلاف : مفردها خلف بكسر الخاء وسكون اللام وهو الثدي عند الإبل.

(21) الأخفاف : مفردها خف بضم الخاء وهو الجلدة الغليظة التي تلي الأرض من باطن قدم البعير.

(22) الحوار : ولد الناقة.

(23) البيت لأبي العتاهية وهو من مقطوعة هي :

أَلاَ إِنَّنَـا كُلُّنَـا بَائِـدٌ   وَأَيُّ بَنِـي آدَمَ خَالِـدُ
وَبَدْؤُهُـمْ كَـانَ مِـنْ رَبِّهِـمْ   وَكُـلٌّ إِلَـى رَبِّـهِ عَائِـدُ
فَيَا عَجَباً كَيْـفَ يُعْصَى ٱلإِلَـ   ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ ٱلْجَاحِـدُ
وَلِلَّـهِ فِـي كُـلِّ تَحْرِيكَـةٍ   عَلَيْنَـا وَتَسْكِينَـةٍ شَاهِـدُ
وَفِـي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدُ

أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق : الدكتور شكري فيصل، ص 102. ونسبه ابن كثير في تفسير القرآن لابن المعتز، المجلد 44/1.

(24) الحباء : بكسر الحاء : العطاء.

(25) الأطباء : مفرده طبي بضم الطاء وكسرها وهي الثدي بالنسبة للسباع.

(26) مهار : جمع مهر بضم الميم صغير الفرس.

وَٱللَّهُ بِعِبَادِهِ لَطِيفٌ، وَإِحْسَانُهُ بِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ مُطِيفٌ، لَعَلَّهُ مَا ضَبِعَتِ[27] ٱلنَّاقَةُ ٱلضَّبِعَةُ فَاشْتَدَّتْ ضَبَعَتُهَا إِلاَّ لِتَعْظُمَ لِعِيَالِ ٱلْعَائِلِ مَنْفَعَتُهَا، وَمَا اسْتَوْدَقَتِ[28] ٱلْخَيْلُ إِلاَّ لِيَكْثُرَ لِمُنْتِجِهَا ٱلنَّيْلُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِلُطْفِ ٱللَّهِ ٱلْكَرِيمِ وَفَضْلِهِ ٱلَّذِي يَنْعَشُ عَثْرَةَ ٱلْبَائِسِ وَيُحْسِنُ حَالَةَ ٱلْعَدِيمِ. أَوْدَقَتِ ٱلْفَرَسُ فَتَأَلَّقَتِ ٱلْخِرْصَانُ[29] لِعَدُوٍّ يُفْتَرَسُ وَظَهَرَ بِٱلْحِجْرِ وِداقٌ[30] فَكَانَ لِسُوقِهَا نَفَاقٌ، وَإِذَا رَأَى ٱلضَّعِيفُ أَتَانَهُ وَدِيقاً رَجَا لأَثَرِ ذَلِكَ تَصْدِيقاً وَلاَ رَجَاءَ لَهُ فِي ٱلْوَدُوقِ مِنَ ٱلْبِغَالِ إِذْ لَمْ يَأْذَنِ ٱللَّهُ [لَهَا][31] بِشَهَادَةِ ٱلْعَادَةِ فِي ٱلإِنْسَالِ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُخْرِقَ ذَلِكَ ٱلْمُعْتَادَ خَرَقَهُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَخْلُقُهُ وَبِمَا خَلَقَهُ، ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ﴾[32] وَمَا تَزْدَادُ، إِسْتَحْرَمَتِ[33] ٱلْمَاعِزَةُ وَحَنَّتِ ٱلنَّعْجَةُ فَلَعَلَّ ٱلْحَرْمَى[34] إِنَّمَا هَاجَ بِهَا ٱلْحِرَامُ[35] لِتَكْثُرَ لِمَالِكِهَا ٱلْبَائِسِ ٱلْبِهَامُ[36] وَلَعَلَّ [ٱلْحَانِيَ][37] إِنَّمَا لَجَّ بِهَا ٱلْحِنَاءُ لِيَتَأَّقَ[38] لِلْمُقْفِرِ ٱلْعَيْمَانِ[39] بِٱلرِّسْلِ الإِنَاءُ، حِكْمَةٌ مَا لِمَرِيرِهَا ٱلْمُبْرَمِ مِنْ نَقْضٍ، وَٱللَّهُ يَرْزُقُ بَعْضَ ٱلْحَيَوَانِ مِنْ بَعْضٍ. إِذَا

---

(27) ضبعت الناقة : إذا اشتهت الفحل.

(28) استودقت الخيل : بمعنى اشتهت وكذلك أودقت.

(29) الخرصان : بكسر الخاء مفردها خرص بضم الخاء من معانيها : الرماح وبالأخص القسم الأعلى من الرمح الذي يسمى خرصا.

(30) وداق : اسم للفعل ودق.

(31) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 142.

(32) الآية 8 من سورة الرعد.

(33) استحرمت الماعزة : إذا اشتهت.

(34) حرمى : صفة للمؤنث من استحرمت.

(35) الحرام : الاسم.

(36) البهام : مفرده بهمة وهي كل صغير من أولاد الغنم.

(37) الحاني : صفة للنعجة إذا حنت أي اشتهت.

(38) ليتأق : يمتلىء.

(39) العميان : صفة للإنسان الذي اشتدت به العمية وهي الشهوة إلى اللبن.

صَرَفَتِ[40] ٱلْكَلْبَةُ فَلاَبَأْسَ أَنْ يُرْتَادَ لِلصَّارِفِ غَاشٍ مِنَ ٱلضُّرَّاءِ[41] لِتَأْتِي بِجُرَآءِ ٱلْجِرَاءِ، وَيَحِقُّ أَنْ يُبْذَلَ فِي ارْتِيَادِ نَجَابَةِ ٱلنَّسْلِ جِدُّ ٱلطِّلاَبِ حَتَّى فِي ٱلْكِلاَبِ، وَأَحَقُّ مَنْ يُرْتَادُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ يُعَدُّ لِلْحِرَاسَةِ وَٱلْغِلاَبِ، وَإِذَا أَجْعَلَتِ[42] ٱلْكَلْبَةُ وَٱلذِّئْبَةُ فَلَعَلَّ ٱللَّهَ إِنَّمَا جَعَلَهُمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مُجْعِلَيْنِ لِلْمُعْتَادِ كَثِيراً فِي حِكْمَتِهِ مِنْ مُرَاعَاةِ ٱلتَّمَاثُلِ بَيْنَ ٱلشَّيْئَيْنِ وَمُقَابَلَةِ ٱلشَّدِيدِ بِٱلشَّدِيدِ وَٱللَّيِّنِ بِٱللَّيِّنِ، فَإِذَا وَلَدَتِ ٱلذِّئْبَةُ نِكَايَةً لِلنَّقَدِ[43] وَأَذَاةً، وَلَدَتِ ٱلْكَلْبَةُ حَفَظَةً لَهَا فِي ٱلْمَسْرَحِ وَٱلْمَرْقَدِ وَرُعَاةً، وَٱللَّهُ يَحْرُسُ ٱلْكُلَّ وَيُفْنِيهِ وَيُفْقِرُ مَنْ شَاءَ أَوْ يُغْنِيهِ، وَإِنْ بَعَثَ خَاطِراً إِلَى تَمَامِ ٱلتَّعْلِيمِ بَاعِثُ ٱلاِرْتِيَاحِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلْوَحْشِيَّةَ كَٱلنَّعْجَةِ وَٱلظَّبْيَةَ كَٱلْمَاعِزَةِ فِي هَذَا ٱلإِصْطِلاَحِ[44]، وَهَذِهِ كُلُّهَا فُنُونُ مُلَحٍ مَالِي [بِهَا][45] عِلْمَ ٱللَّهُ كَبِيرَ فَرَحٍ، فَمَنْ ذَا يَبِيعُنِي بِهَا فَضْلَ عَمَلٍ مُصْلِحٍ، فَلاَ ذُخْرَ كَصَالِحِ ٱلأَعْمَالِ، وَدَعْ عَنْكَ ذَخَائِرَ ٱلْمَالِ فَمَا جَدْوَاهَا فِي ٱلْمَآلِ، وَمَا هَذِهِ ٱلْحَيَاةُ إِلاَّ خَطْفَةٌ لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ، وَخُلَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَلَى أَحَدٍ إِبْقَاءٌ، سُرُورُهَا يَغُمُّ وَنَوَائِبُهَا تَعُمُّ، فَبَيْنَا زَخَارِفُهَا تَغُرُّ وَأَحْلاَمُهَا تَسُرُّ، مَاتَ ٱلإِنْسَانُ فَسُبْحَانَ ٱلْمُحْيِي ٱلْمُمِيتُ أَوْ نَفَقَتْ[46] دَابَّتُهُ فَأُبْدِعَ[47] بِهِ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلسَّبَارِيتِ[48]، أَوْ تَنَبَّلَ[49] ٱلْبَعِيرُ بَعْدَمَا تَنَبَّلَ ٱلإِنْسَانُ وَٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ هِيَ ٱلْحَيَوَانُ، فَكَمْ بَعِيرٍ أُصْبَحَ نَبِيلَةً[50] وَطَالَ مَا عَالَ قَبِيلَةً

---

(40) صرفت الكلبة : إذا اشتهت.

(41) الضراء : جمع ضار، وهو صفة للكلب الذي عوده صاحبه على الصيد.

(42) أجعلت : بمعنى صرفت.

(43) النَقَد : بفتح النون والقاف : صغار الغنم.

(44) الاصطلاح : يقصد به أبو الربيع أن الضائنة والظبية عند العرب ماعزة والبقرة التي كنى عنها بالوحشية كالنعجة. انظر الفصيح : 322.

(45) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 142.

(46) نفقت : ماتت.

(47) أبدع به : كلّت راحلته أو عطبت وبقي منقطعا به.

(48) السباريت : مجموع سبريت وسبروتة ومعناها القفر والأرض لا نبات فيها.

(49) تنبل : مات.

(50) نبيلة : جيفة.

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ تَتَأَذَّى بِمَكَانِهِ وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ تَأْنَسُ بِمُلْقَى جِرَانِهِ(51)، وَاسْمَعْ يَا مَنْ أُوتِيَ لَسَناً وَخُوِّلَ مِنَ ٱلْإِبْدَاعِ حَظّاً حَسَناً، مَتَى اضْطُرِرْتَ إِلَى مُسْتَقْبَحِ ٱلْأَلْفَاظِ فَأَغْمِضْ قُبْحَهَا بِالْكُنَا، وَاقْتَدِ بِالْمَسْؤُولِ عَنْ مَوْضِعِ قَرْحَةٍ مِنْ جَسَدِهِ إِذْ قَالَ لِسَائِلِهِ بَيْنَ ٱلرَّانِفَةِ(52) وَٱلصَّفَنِ(53) فَأَعْجَبَهُ حُسْنُ مَا كَنَا(54)، وَحَسْبُنَا بَعْدُ [غُنْيَةً](55) عَنْ ذِكْرِ ٱلْقُنْبِ(56) وَٱلثِّيلِ(57) بِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ ٱلتَّمْثِيلِ، وَلَيْسَ لِلدُّنْيَا عِنْدَ تَحْقِيقِ ٱلْمَذْهَبِ فِي رَكَاكَةِ ٱلْحَاضِرِ وَٱلْمُغَيَّبِ مَثِيلٌ، أَنْقَى أَوْصَافِهَا أَنَّهَا عِقْيٌ(58) وَرَدَجٌ(59) وَسُخْتٌ(60) هُوَ إِلَى سُحْتِهَا(61) دَرَجٌ، جِدُّهَا لِمَنْ أَبْصَرَ لَعِبٌ، وَمُحَاوِلُ ٱلرَّاحَةِ فِيهَا إِذَا اعْتَبَرَ تَعِبٌ، وَجَمَالُهَا إِلَى

---

(51) جِرَانه : بكسر الجيم : مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره. وإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل : ألقى جرانه بالأرض.

(52) الرَّانِفَة : أسفل الالية وطرفها الذي يلي الأرض من الإنسان إذا كان قائما.

(53) الصَّفَن : بصاد مشددة مفتوحة وفاء مفتوحة تقال لجلد بيضة الإنسان ــ وعاء الخصية ــ ووردت في كتاب الفصيح بتحقيق عاطف مدكور بالضاد ــ الضفن ــ وهو خطأ والصواب ما أثبته أبو الربيع. وقد جاء في التلويح للهروي الصفن. وزاد الشارح «بفتح الصاد والفاء» : التلويح ص 103. وكذا جاء في لباب تحفة المجد الصريح للفهري اللبلي ص 244 : ولم ترد هذه الكلمة في شرح ابن هشام اللخمي.

(54) من حديث عبد الملك : «أن رجلا قال له خرجت في قرحة فقال له : في أي موضع من جسدك ؟ فقال : بين الرانفة والصفن، فأعجبني حسن مكنى». اللسان [رنف].

(55) استدركها الناسخ في طرة الكتاب، الورقة : 142.

(56) القُنْب : بضم القاف وسكون النون : وعاء قضيب الفرس وغيره من ذي الحافر وقد وردت الكلمة في كتاب الفصيح بتحقيق عاطف مدكور القنت ــ بتاء ــ وهو تحريف. ووردت في التلويح قنب بالباء ص 103 وكذلك في اللسان [قنب] وكذلك وردت في التصريح للتدميري قنب، الورقة : 98.

(57) الثِّيل : وعاء قضيب البعير بكسر الثاء.

(58) عِقْي : بكسر العين وسكون القاف : يقال لما يخرج من بطن المولود من الناس قبل أن يأكل شيئا.

(59) رَدَج : بفتح الراء والدال : ما يخرج من بطن كل ذي حافر إذا ولد وذلك قبل أن يأكل شيئا.

(60) سُخْت : بضم السين وسكون الخاء : أول ما يخرج من بطن ذي الخف ساعة تضعه أمه قبل أن يأكل شيئا.

(61) سحتها : بضم السين وسكون الحاء : وهو ما خبث وحرم من المكاسب.

ٱلسَّمَاجَةِ مَا يَؤُولُ، وَٱلْمُفْتَخِرُ بِحَظِّهِ مِنْهَا بِمَا يَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ قَؤُولٌ وَٱلْمُكَاثِرُ فِيهَا بِٱلْبَنِينِ وَٱلْمَالِ سَبِيلُ ٱلذِّلَّةِ وَٱلإِقْلاَلِ، وَقَدْ صَدَعْتُ لَكُمْ بِحَالِهَا قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ، وَكَشَفْتُ لَكُمْ عَنْ وَبَالِ أَمْرِهَا فِي ٱلْمَآلِ وَسَأَزِيدُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ بِعُيُوبِهَا تَبْصِيراً، وَآتِيكُمْ فِيهَا مِنْ كِتَابِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنِ تَفْسِيراً ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ﴾(62).

تم الكتاب بحول الله وقوته والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما.

---

(62) الآية 19 من سورة الحديد.

فهرس المحتويات

القسم الأول : الدراسة

القسم الثاني : التحقيق

الفهارس